المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية



الحياة العلمية في مدينة حماة في العصر الأيوبي

"578هـ - 698هـ/1182- 1298م"

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالبة:

سميرة سالم السعيدي

إشراف :

أ. د/ مريزن سعيد مريزن عسيري

1432هـ/ 2011م


بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، أما بعد ..

فتعد مدينة حماة مركزاً حضارياً وعلمياً منذ نشأتها ، كما تردد اسمها كثيراً ضمن المدن العلمية خلال الدولة الإسلامية في مختلف العصور ، وهذه الدراسة تسهم في بيان الدور الرائد لعلماء حماة في نشر العلوم الشرعية في العهد الأيوبي تحت رعاية حكام حماة والذين عنوا بنشر العلم الشرعي ، وسائر العلوم .

وقد جاءت الدراسة في مقدمة وتمهيد وخمسة فصول ، بينت في المقدمة أسباب اختيار الموضوع وأهميته والتعريف بأهم مصادر البحث ، وأما التمهيد فخصصته لبيان الإطار الجغرافي لمدينة حماة .

والفصل الأول : خصصته لبيان (الأوضاع العامة وأثرها على الحياة العلمية في حماة) ، تناولته في أربعة مباحث ، درست فيها الأوضاع السياسية وأثرها على الحياة العلمية في حماة ، ثم تحدثت عن الأوضاع الاقتصادية وأثرها على الحياة العلمية . فتطرقت إلى مقومات التجارة والصناعة في حماة ، إضافة إلى وحرف السكان ، كما تحدثت عن الأوضاع الاجتماعية وأثرها على الحياة العلمية ، فتحدثت عن طبقات المجتمع ، وأهم المظاهر الاجتماعية من عادات وتقاليد واحتفالات ، وما إلى ذلك ، كما تناول البحث دراسة الأوضاع الدينية وأثرها على الحياة العلمية ، وكيف كانت المذاهب الفقهية الأربعة موجودة في حماة مع عدم التعصب لمذهب دون آخر ، وكذلك تطرقت للمذهب الصوفي وأثره على الحياة العلمية في حماة الأيوبية .

وأما الفصل الثاني : فخصصته لبيان (دور العلماء في الحياة العلمية في حماة) ، وتناولته في مبحثين ، خصصت الأول لبيان دور العلماء في الحفاظ على المذهب السني ومقاومة المذاهب والتيارات الضالة ، وذلك من خلال تصدي العلماء بمؤلفاتهم لفضح الفرض الضالة ، وتناول المبحث الثاني دور العلماء في تنشيط الحركة العلمية . فأوضحت كيف كان علماء حماة يتسابقون على بناء المدارس التي تعمل على نشر العلم ، واحتضان المدرسين ، واستقطاب الطلبة .

وأما الفصل الثالث : فخصصته لبيان (مظاهر الاهتمام بالنشاط العلمي) . فتحدثت فيه عن اهتمام سلاطين حماة بالحركة العلمية ، وكذلك اهتمام الوزراء والأعيان في حماة بالحركة العلمية ، كما تناولت الحديث عن الوراقة والوراقين ودورهم في تنشيط الحركة العلمية في حماة ، كذلك أبان البحث خزائن الكتب في حماة ، وتنوعها من خزائن خاصة وعامة ، كما تطرق البحث إلى العلاقات العلمية بين حماة والمراكز العلمية الأخرى ، فتناوله في جزئيين الأول عن العلاقات العلمية بين حماة ومدن الشام . والثاني عن العلاقات العلمية بين حماة والمراكز العلمية في العالم الإسلامي .

وأما الفصل الرابع : فخصصته لبيان (التعليم في حماة " أماكنه ونظمه ووسائله ") ، فكان المسجد هو المكان الأول لتلقي العلوم، إضافة إلى الكتاتيب ، ودور القرآن ودور الحديث ، والأربطة والزوايا ، والمجالس العلمية ، والمدارس . كما تناول الدراسة نظم التعليم ووسائله . ثم كان آخر المباحث بيان الرحلة في طلب العلم وكيف رحل علماء حماة شرقاً وغرباً طلباً للعلم .

وأما الفصل الخامس : فخصصته لدراسة (الإنتاج العلمي لمدينة حماة) . درست فيه النشاط العلمي من خلال العلوم الشرعية : (التفسير – الحديث – الفقه وأصوله) . ثم علوم اللغة العربية وآدابها (علم اللغة – علم الأدب – علم النحو) . ثم العلوم الاجتماعية (التاريخ والتراجم – الجغرافيا – التربية والتعليم) . ثم العلوم التطبيقية والطبيعية والبحتة (الطب – الصيدلة – علم الحيل – الحساب — الفلك) . وقد بحثت في ذلك كله أثر العلماء في نشاطاتهم في التدريس والتأليف ، وبحثت كذلك فيه أهم الكتب المتداولة في حماة في هذه العلوم ، وكذلك المؤلفات في مما يتعلق بهذه العلوم ، وأما الخاتمة : فقد خصصتها لبيان أهم نتائج البحث وتوصياته .

وفي النهاية أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وينفعني به في الدارين.. آمين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الطالبة	المشرف	عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
سميرة سالم السعيدي	**أ.د. مريزن عسيري**	**د. سعود بن إبراهيم الشريم**

An abstract

Praise be to Allah, peace and prayer be upon his messenger our prophet ,and upon all his relatives, followers and companions .

Deemed the city of Hama center culturally, scientifically since its inception, is also rumored name a lot in science cities in the Islamic state throughout the ages, and this study contributes in a statement the leading role of scientists protectors in the dissemination of forensic science in the Ayyubid under the auspices of the rulers of Hama, who cursed the deployment of forensic science, and other Science.

The study came in the introduction, preface, five chapters, shown in the introduction the reasons for selecting the topic and its importance and definition of the most important sources of research, and the boot Fajssth to indicate the geographical framework of the city of Hama.

Chapter I: devoted to the statement (the general situation and its impact on scientific life in Hama), addressed in four sections, examined the political situation and its impact on scientific life in Hama, and then talked about the economic situation and its impact on life science. Vttrguet to the elements of trade and industry in Hama, in addition to the character of the population, also talked about social conditions and their impact on life science, talked about the layers of society, and the most important manifestations of social customs, traditions, ceremonies, etc., also addressed the Study of the conditions of religious and its impact on the scientific life , and how the four schools of Islamic jurisprudence are in Hama with the doctrine of non-discrimination without the other, and also touched on the mystic doctrine and its impact on scientific life in Hamah Ayyubid.

The Chapter II: Fajssth to a statement (the role of scientists in the scientific life in Hama), and addressed in two sections, devoted first to demonstrate the role of scientists in the preservation of the doctrine and Sunni resistance sects and currents stray, and through addressing scientists Bmwlvathm to expose the obligatory stray, and address the second topic the role of scientists the revitalization of the scientific movement. Explained how the scientists Hama compete to build schools that work to spread knowledge, and embrace the teachers, and attract students.

The third chapter: Fajssth the statement of (manifestations of interest in scientific activity). I spoke it for the attention of Sultans Hama movement science, as well as the attention of ministers and dignitaries in Hama movement science, also addressed the talk about Aloracp and Aloracin and their role in stimulating the scientific movement in Hama, as well as Aban Find bookcases in Hama, and diversity from the coffers of private and public, also discussed the research scientific relations between the protectors and other scientific centers, Vtnolh in the first two parts of the scientific relations between the cities of Hama, Syria. And the second on the scientific relations between the protectors and scientific centers in the Islamic world.

With regard to Chapter IV: Fajssth to indicate (education in Hama "location and organized, and means"), was the mosque is the first place to receive the science, as well as Koranic schools, and the role of the Koran and the role of the modern, and ligaments and angles, and scientific councils, and schools. The study also addressed the education systems and methods. Then there was another detective a statement in the request for the journey of science and how scientists left the east and west of Hama request for information.

And Chapter V: Fajssth to study (the scientific and literary production of the city of Hama). Studied by the scientific activity through forensic science: (modern interpretation of the Principles of Fiqh). Science and Arabic Language and Literature (Linguistics Literature science as science). Then the social sciences (history, geography, biographies of Education). Then applied sciences, natural and pure (Medicine Pharmacy Science tricks Aafilk account). I have looked in all the impact of scientists in their activities in teaching and authoring, and also considered the most important books in circulation in Hama in these sciences, as well as literature than in relation to this science, the conclusion: it appropriated to describe the most important results of research and recommendations.

In the end, I ask God Almighty to make this work purely for Allah's sake, and will benefit me in the homes .. Amen, and Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and blessings of Allah be upon our Prophet Muhammad and his family and him.

Sameera Salim Saidi	**. D. Mrezn Asiri**	**d. Saud Al-Shuraim**
Signature:	Signature:	Signature:

الشكر والتقدير

الحمد لله ، حمداً ، كثيراً ، طيباً ، مباركاً ، كما ينبغي لجلال وجهه ، وعظيم سلطانه ، له الحمد حتى يرضى وله الحمد إذا رضي وله الحمد بعد الرضا ، الحمد لله المعطي الوهاب ، الذي بفضله تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على الهادي البشير والسراج المنير نبينا محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحابته وآل بيته والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين .

الحمد لله القائل في كتابه المبين : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [1] .

فأحمده ، وأشكره ، وأثني عليه الخير كله ؛ فهو أهل الثناء ، والمجد ، على ما أولاني من نعمه ، التي لا تعد ولا تحصى ، ومنها : أن وفقني ، وأعانني على كتابة هذه الرسالة وإتمامها ، فإن كل كلمةٍ كتبتُها ، وكلَّ عبارةٍ سطرتُها ، وكل غائبةٍ فِطنتْ إليها ، وكل مغمور أبرزتُه ، فإنما هو بفضلٍ من الله تعالى ونعمة ، وبلطفٍ منه سبحانه ورحمة ، فله الحمد وله الشكر .

وبعد شكر الله تعالى ، أُثني بالشكر الجزيل ، والعرفان العظيم الجليل ، والثناء الجميل والدتي الغالية حفظها الله ، فأسأل الله تعالى أن يمتعها بالصحة والعافية ، وأن يجزيها جزاء إحسانها إحساناً .

كما أتوجه بالشكر الجزيل ، والعرفان الكبير ، إلى زوجي الذي أحاطني برعايته واهتمامه ، سائلة له المولى عز وجل الأجر والثواب .

ثم لا يفوتني أن أزف عظيم شكري ، وفائق تقديري لأستاذي فضيلة الأستاذ الدكتور / مريزن عسيري ، الذي رعى البحث وصاحبه ، وقوّم المكتوب وكاتبه ، وصوّب المغلوط ونبّه صاحبه ، فصبر معي ، وصبر عليَّ الصبر الجميل ، فجزاه الله عني خير ما جزى الأبرار ، وأعطاه من بحر جوده خير ما أعطى السائلين الأخيار .

---

(1) سورة إبراهيم ، الآية 7 .

والشكر موصول لهذا الصرح العلمي جامعة أم القرى ، التي أتاحت لي الفرصة لمواصلة دراستي العليا ، وأخص منها عميد الجامعة سعادة الأستاذ الدكتور/ بكري معتوق عساس .

كما اشكر كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ممثلة في عميدها سعادة الدكتور / سعود بن إبراهيم الشريم .

كذلك أشكر رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية سابقاً الأستاذ الدكتور / عبد الله الشنبري .

كما أشكر رئيس قسم التاريخ والحضارة الإسلامية سعادة الدكتور/ طلال البركاتي، وسائر أعضاء هيئة التدريس بالقسم على تعليمهم ورعايتهم لنا .

كما يسرني أن أتقدم بجزيل الشكر ، وعظيم الامتنان للمناقشين الفاضلين ، على قبولهما مناقشة الرسالة وتقويمها ، وإسداء الملاحظات والتوجيهات البناءة فلهما مني كل تقدير ودعاء .

كما أحمل فائق شكري لكل من بذل لي جميل المعونة سواءً بالمشورة ، أو التوجيه ، أو تصحيح أو إرشاد أو مساعدة أو إمدادي بمراجع البحث ، فلهم مني كل تقدير ودعاء .

كما أسال الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعل عملي صالحا ولوجهه خالصا وأن يتقبله مني إنه سميع مجيب الدعاء .

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباحثة

سميرة سالم السعيدي




مُقَدِّمَة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الحمد لله القائل في محكم كتابه، والقائل جلت قدرته: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1]﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2]﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3] .

أما بعد :

تُعد مدينة حماة من أعرق وأقدم مدن الشام ، بما تحتضنه من علماء وما ترفعه من رايات العلم ، ولقد ظل الحال بها هكذا حتى جاء الفتح الإسلامي لبلاد الشام ، ودخلت حماة في بوتقته ، وانتظمت في عقده ، فأرخى الإسلام عليها ظلاله ، وشربت من منابعه ، ونهلت من مناهله ، فاكتسى العلم فيها حلة جديدة ، ونهج العلماء فيها منحى فريداً ، إذ أصبح العلم فيها فريضة ، وطلبه مرضاة لله ، ومنفعة للعباد ، فشهدت حماة نهضة علمية في ظل الدولة الإسلامية منذ فجرها ومروراً بعصورها من راشدين ــرضي الله عنهم– ثم أمويين فعباسيين حتى كانت الدولة الأيوبية والتي شهدت نقلة في شئون الحياة العلمية والفكرية . فقد أدرك سلاطينها دور العلم والعلماء في نهضة الأمم ، فأخذ العلماء مكانتهم المرموقة في دولتهم ونشطت في أيامهم الحياة العلمية في بلادهم .

ولما كانت الكتابة عن الحياة العلمية في أي مدينة إسلامية توثيقاً للسجل التاريخي لها ، فقد دفعتني رغبتان في الكتابة عن الحياة العلمية في مدينة حماة الأيوبية ، لما لهذا الموضوع من أهمية في مجال الدراسات الحضارية ، وما تبرزه من صورة مشرقة لحضارة الإسلام والمسلمين ،

---

(1) سورة آل عمران ، الآية 102 .

(2) سورة النساء ، الآية 1.

(3) سورة الأحزاب ، الآيتان 70-71 .

وإبراز جهود العلماء وطلبة العلم في تنشيط الحياة العلمية بحماة ، في ظل حكامها الذين أولوا العلم والعلماء العناية والاهتمام . ورغم أهمية مدينة حماة في هذا العصر ، وما قامت به من حركة علمية واسعة ببلاد الشام ، ومع البحث والاستقصاء لم أجد دراسات سابقة خاصة بهذا المنحى عن الحياة العلمية في حماة في العصر الأيوبي ، وإنما وقفت على دراسات عامة عن بلاد الشام ، أو عن حماة ، وبعض الدراسات الضمنية في كتب وأبحاث خصصت لدراسة الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في بلاد الشام .

دراسة لأهم مصادر البحث :

إن الكتابة عن الحركة العلمية لمدينة إسلامية يتطلب جهداً كبيراً ، إذ لا بد من الرجوع إلى عدد كبير من المصادر الأصلية التي تناولت هذا الجانب ، سواء في كتب التاريخ العام ، أو كتب التاريخ الأخرى التي تناولت فترة زمنية محددة ، أو تاريخ دولة بعينها ، أو في كتب التراجم والطبقات والموسوعات التي تناولت العديد من الفنون .

ولا شك أن الفترة التي تناولها البحث وهي عصر الحروب الصليبية تعد بالدرجة الأولى حركة صراع سياسي ، وهذا يشير إلى أسباب توجه الكتابات إلى هذا الحدث المهم ، فمعظم المؤرخين المعاصرين عمدوا إلى تسجيل وقائعها وأحداثها وتتبع أخبارها ، فكان ذلك على حساب البحث في مختلف الجوانب الأخرى الاقتصادية والاجتماعية والعلمية .

وانبنى على ذلك أيضاً صعوبة استخلاص المعلومات الواردة في هذه المصادر ، إذ لم ترد إلا إشارات عابرة متناثرة في ثنايا تلك المصادر ، وهي تحتاج إلى جهد وصبر في تتبعها ، واستخلاص المادة العلمية منها .

واعتمدت الدراسة على العديد من المصادر المعاصرة لفترة البحث ، إضافة إلى كتب التراجم والطبقات ، ووضعت في نهاية الدراسة بياناً مفصلاً عنها ، إلا أن هناك (في الجملة) بعضاً من المصادر التي كان لها التأثير الكبير في الدراسة ، وسأقوم بعرضها تبعاً للبحث ، وقد أدرجتها بحسب أهميتها وعلاقتها بالموضوع وبحسب الاستفادة منها ، وهي كالتالي :

– كتاب : " الكامل في التاريخ " لابن الأثير عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني (ت630هـ/1232م) ، عمدة المؤرخين المسلمين ، فقد اعتمد البحث

عليه في كتابة الأحداث التي تناولت الأوضاع السياسية خاصة ، من حيث إنه كان معاصراً لبعضها .

– كما اعتمد البحث في توثيق الأحداث السياسية على كتاب : " التاريخ المنصوري " لابن نظيف محمد بن علي الحموي ، والذي ابتدأ كتابه من بدء الخليقة وحتى أحداث عام (630هـ/1233م) ، فغطى جانباً كبيراً من البحث كذلك .

– كما استفاد البحث من كتاب " النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية " ، لبهاء الدين يوسف بن رافع بن شداد (ت632هـ/1234م) ، والذي كان يسجل الأحداث كشاهد عيان لها .

– ومن المصادر التي اعتمد عليها البحث كتاب : " الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية " ، لأبي شامة عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي (ت665هـ/1266م) ، وقد حوى كتابه معلومات ذات قيمة كبيرة عن الحياة العلمية في حماة فترة الدراسة .

– كما اعتمد البحث على كتاب : " مفرج الكروب في أخبار بني أيوب " لابن واصل جمال الدين أبي عبد الله بن محمد بن سالم (ت697هـ/1297م) ، فقد تناول الكتاب الكثير من القضايا والأحداث المهمة التي دارت في حماة فترة البحث ، والتي تعود أهميتها في كون صاحبها أيضاً شاهد عيان لبعضها معاصراً لها .

ومن المصادر التي اعتمد عليها البحث كتاب : " البداية والنهاية " لابن كثير عماد الدين إسماعيل الدمشقي (ت 774هـ/1372م) ، وهو من كتب التاريخ العام المصنفة على طريقة الحوليات ، وقد أفاد البحث من هذا الكتاب فوائد كثيرة ولاسيما فيما يتعلق بالجوانب العلمية .

– كما تضمنت كتب التراجم معلومات قيمة استند عليها البحث في كثير من معلوماته، والتي منها كتاب : " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان " لابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد (ت 681هـ/1282م) ، ويترجم الكتاب لمشاهير وأعلام المسلمين ، وقد استمدت منه الدراسة الكثير من المعلومات القيمة التي تتعلق بالجوانب العلمية ، من تراجم للسلاطين والعلماء ذوي العلاقة بالبحث .

- ومن كتب التراجم التي اعتمد عليها البحث كتاب : " العبر في خبر من غبر " وكتاب : " تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام " لمؤرخ الإسلام شمس الدين أبي عبد الله الذهبي (ت748هـ/1347م) ، فهما كتابان يهتمان في أغلب تراجمهما على وفيات المشارقة ، خاصة أهل الشام ، والمترجم لهم في القرون الثلاثة السادس والسابع والثامن .

كما استفاد البحث من كتاب : " الوافي بالوفيات " ، للصفدي صلاح الدين خليل ابن أيبك (ت764هـ/1362م) ، وكذلك كتاب : " فوات الوفيات " لمحمد بن شاكر الكتبي (ت764هـ/1362م) ، فيما يتعلق بالتراجم التي كانت لها دور في الحياة العلمية بحماة.

- كذلك استفاد البحث من كتاب : " عيون الأنباء في طبقات الأطباء " لابن أبي أصيبعة موفق الدين أحمد الخزرجي (ت668هـ/1269م) ، فكتابه من أهم الكتب التي صنفت في تراجم الأطباء والحكماء ، حوى معلومات قيمة عن الحياة العلمية الطبية فترة البحث .

- ومن المصادر الأصلية التي اعتمد عليها البحث كتاب " الدارس في تاريخ المدارس " لعبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت 927هـ/1520م) ، وهو كتاب قيم يحوي معلومات مفيدة عن المدارس التي كانت بحماة فترة الدراسة .

- كما استفاد البحث من كتاب : " معجم البلدان " لياقوت الحموي (ت626هـ/1228م) ، حيث استفدت من الكتاب كثيراً في التعريف بالمواقع والأمكنة التي وردت في البحث .

- ذلك استفاد البحث كثيراً من المراجع الحديثة ، وخاصة في تعريف العلوم ونشأتها ، ككتاب كشف الظنون لحاجي خليفة ، وغير ذلك من الكتب والمصادر والموسوعات .

وقد انتظمت خطة البحث في :

مقدمة ، شملت أهمية البحث ، وأسباب اختياره ، وأهم المصادر التي اعتمد عليها ، وتمهيد وخمسة فصول هي :

التمهيد : الإطار الجغرافي لمدينة حماة .

الفصل الأول : **الأوضاع العامة وأثرها على الحياة العلمية .**

المبحث الأول : الأوضاع السياسية وأثرها على الحياة العلمية .

المبحث الثاني : الأوضاع الاقتصادية وأثرها على الحياة العلمية .

المبحث الثالث : الأوضاع الاجتماعية وأثرها على الحياة العلمية .

المبحث الرابع : الأوضاع الدينية وأثرها على الحياة العلمية .

الفصل الثاني : **دور العلماء في الحياة العلمية .**

المبحث الأول : دور العلماء في الحفاظ على عقيدة أهل السنة من المذاهب المنحرفة في ذلك .

المبحث الثاني : دور العلماء في تنشيط الحياة العلمية .

الفصل الثالث : **مظاهر الاهتمام بالنشاط العلمي .**

المبحث الأول : اهتمام سلاطين حماة بالحياة العلمية .

المبحث الثاني : اهتمام الوزراء والأعيان في حماة بالحياة العلمية .

المبحث الثالث : الوراقة والوراقون ودورهم في تنشيط الحياة العلمية في حماة.

المبحث الرابع : خزائن الكتب في حماة .

المبحث الخامس : العلاقات العلمية بين حماة والمراكز العلمية الأخرى :

أولاً : العلاقات العلمية بين حماة ومدن الشام .

ثانياً : العلاقات العلمية بين حماة والمراكز العلمية في العالم الإسلامي.

الفصل الرابع : **التعليم في حماة (أماكنه – نظمه – وسائله) .**

المبحث الأول : المساجد .

المبحث الثاني : الكتاتيب .

المبحث الثالث : دور القرآن ودور الحديث .

المبحث الرابع : الأربطة والزوايا .

المبحث الخامس : المجالس العلمية .

المبحث السادس : المدارس .

المبحث السابع : نظم التعليم ووسائله .

المبحث الثامن : الرحلة في طلب العلم .

الفصل الخامس : دراسة للإنتاج العلمي لمدينة حماة .

المبحث الأول : الدراسات الشرعية (القراءات ، التفسير ، الحديث ، الفقه).

المبحث الثاني : علوم اللغة العربية وآدابها (اللغة ، النحو ، الأدب) .

المبحث الثالث : العلوم الاجتماعية (التاريخ والتراجم ، الجغرافيا ، التربية والتعليم) .

المبحث الرابع : العلوم التطبيقية (الطب ، الصيدلة ، الكيمياء) .

المبحث الخامس : العلوم البحتة (الحساب ، الجبر ، الهندسة ، علم الحيل " الميكانيكا " ، الفلك) .

وختمت الدراسة **بالخاتمة** : التي تناولت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة .

وأخيراً أسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن تكون هذه الدراسة قد أسهمت في الكشف عن جانب مشرق من جوانب حضارتنا الإسلامية الخالدة ، فما كان فيه من صواب وإحسان فبتوفيق الله ، وما كان فيه من نقص أو خطأ فإنني أسأل الله أن يلهمنا الصواب ، والله الهادي إلى سواء السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل.

الباحثة

سميرة السعيدي




تمهيد

التمهيد : الإطار الجغرافي لمدينة حماة .

إن الواقع العلمي لدراسة الجوانب المختلفة لمدينة حماة سواء كانت السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الدينية أو العلمية ؛ يفرض علينا معرفة شيءٍ عن السجل التاريخي لهذه المدينة ، من حيث زمن وجودها ، وتسميتها ، وطبوغرافيتها ، ومعرفة الظروف المحيطة بها في الإطار الزمني للبحث .

فمن حيث النشأة والوجود فحماة تعد إحدى أعرق وأقدم مدن الشام ، يذكر أبو الفدا أنها : " كانت في زمن داود وسليمان عليهما السلام مدينة عظيمة ،... وقد وجدت ذكرها في أخبار داود وسليمان في كتاب أسفار الملوك الذي بأيدي اليهود ، وكذلك كانت في زمن اليونان "[١] ، فقد ذكرت في كتب التاريخ القديم وفي التوراة ، وسميت باسم " حمت الكبرى " تمييزاً لها عن " حمت الصغرى " [٢] ، وسميت أيضاً حماة نسبة إلى " حماتي" من أبناء كنعان الذي ينسب بناؤها إليه[٣] ، وقيل : " الحماني " بن كنعان [٤] ، وجاءت حماة في اللغة الآرامية بقوله : " حمات " أو " حماث " ، وهي بمعنى واحد إذ " ت " أو " ث " من نفس المخرج ، واختصت حماة الأولى ، واختصت حمص[٥] " حمث " في الثانية ، إذ كان يطلق عليها اسم " صوبة حماة " ، وحماة من الاسم الآرامي هي الحصن والقلعة ، وحماة في حمث السريانية أو حم العبرانية ، كلتاهما تعني سخن أو صار حاراً أو عين ماء حارة أو معدنية كبريتية[٦] .

وأوردها ياقوت الحموي في معجمه وقال : بأن حماة بالفتح هي حماة المرأة " أم زوجها"، ووضع احتمال آخر بأن تكون حماة أيضا بمعنى " عصبة الساق "[٧] .

---

(١) المختصر ، 109/1 .

(٢) أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص 263 .

(٣) أحمد قدامة : معالم وأعلام في بلاد العرب1/... ؛ سبانو : مملكة حماة الأيوبية ، ص 24.

(٤) ابن العديم : بغية الطلب ، 150/1 .

(٥) حمص : هي بلد مشهور كبير ومسور ، وهي بين دمشق وحلب . ياقوت : معجم البلدان ، 302/2 .

(٦) سبانو : مملكة حماة الأيوبية ، ص 24.

(٧) ياقوت : معجم البلدان ، 300/2 .

وتقع هذه المدينة العريقة والقديمة ضمن النطاق الجغرافي لبلاد الشام ، تلك البلاد التي يحدها من الغرب بحر الروم ، ومن شرقيها البادية من أيله إلى الفرات ، ثم من الفرات إلى حد بلاد الروم ، وشماليها بلاد الروم ، وجنوبها مصر ، وآخر حدودها مما يلي مصر رفح ، ومما يلي الروم الثغور المعروفة ، وكانت قديماً تعرف بثغور الجزيرة(١) .

ومن المنظور الجغرافي الحديث يحد بلاد الشام من شرقها نهر الفرات ، ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط ، ومن الجنوب البحر الأحمر ومصر وجزيرة العرب ، ومن الشمال جبال طوروس التي تشكل حدود آسيا الصغرى(٢) .

وتقع حماة في وهدة (٣) من الأرض عريضة مستطيلة ، كأنها خندق عميق (٤) " بين حمص وقنسرين "(٥)(٦) ، يحدها من الشرق سلميّة (٧) وتدمر(٨) ، ومن الشمال المعرة (٩) ، ومن ومن الغرب مصياف وجبل كلبية ، ومن الجنوب الرستن (١٠) وحمص(١١) ، وترتفع عن سطح البحر بحوالي 308م(١٢) .

وقد اختلفت المصادر التاريخية في وصف مدينة حماة ؛ فنجد بأن ابن حوقل المتوفى عام (380هـ/990م) يذكر بأنها من جند حمص ، وبأنها مدينة صغيرة ، فيقول : " وشيزر (١٣)

---

(١) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 153.

(٢) سبانو : مملكة حماة الأيوبية ، ص 19.

(٣) وهدة : الأرض المنخفضة . الفيروز أبادي : القاموس المحيط ، ص309 .

(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص 230 .

(٥) قنسرين : من مدن الشام ، بين حلب وحمص . ياقوت : تقويم البلدان ، 4/ 403 .

(٦) أبي الفداء : تقويم البلدان ، ص 263 .

(٧) سلمية : بلد من أعمال حماة ، بينهما مسيرة يومين من البرية . ياقوت : معجم البلدان ،240/3.

(٨) تدمر: مدينة قديمة في برية الشام. المصدر السابق،17/2.

(٩) المعرة : معرة النعمان مدينة قديمة بين حلب وحماة . المصدر السابق ، 156/5.

(١٠) الرستن : بليدة قديمة بين حماة وحمص . المصدر السابق ، 43/3.

(١١) أحمد الصابوني : تاريخ حماة ، ص 88 .

(١٢) سبانو : مملكة حماة الأيوبية ، ص 23.

(١٣) شيزر : قلعة في الشام ، قرب المعرة وحماة . ياقوت : معجم البلدان ، 383/4 .

وحماة مدينتان صغيرتان ، نزهتان ، كثيرتا المياه والشجر والزرع والفواكه والخضر ، حصينتان في ذاتها لذاتها " [١] ، ويعني بذلك أنها لم تكن حصانتها ومنعتها من خلال بناء الحصون أو القلاع بل إن هذه الحصانة طبيعية فرضتها طبيعة حماة الجغرافية –بمشيئة الله سبحانه وتعالى–.

أما ابن جبير فقد وصفها في رحلته حين حل بها عام (580هـ/1184م) أنها : "مدينة شهيرة في البلدان ، قديمة الصحبة للزمان ، غير فسيحة الفناء ، ولا رائقة البناء ، أقطارها مضمومة ، وديارها مركومة ، لا يهش البصر إليها "[٢] ، وهذا الوصف لحماة من ابن جبير يعد يعد وصفاً دقيقاً جداً لهذه المدينة ، إذ إنه يقر بأنها مدينة قديمة تاريخياً ، وأن مبانيها متجاورة متراصة بجانب بعضها ، ولا تجعل المار بها يعجب بسحرها ، وعندما وصف ابن جبير ذلك الوصف لم تكن حماة في أوائل العصر الأيوبي مسورة أو تظهر عليها مظاهر الاهتمام . فربما يعود ذلك لعدم اهتمام الملوك أو الحكام الأوائل لحماة بحصانتها ، وذلك بسبب انشغالهم بجهادهم المستمر ضد الصليبيين ، ولأن حماة كانت تعد ثغراً من ثغور المسلمين في وجه الصليبيين[٣] .

أما ياقوت الحموي (ت 626هـ/1228م) ، وهو جغرافي ومؤرخ عاصر فترة الحكم الأيوبي ، ويعد خير من يصف حماة بعد مؤرخها أبي الفداء صاحب حماة ، فيصف لنا حماة : "أنها كبيرة عظيمة ، كثيرة الخيرات ، رخيصة الأسعار ، واسعة الرقعة ، حافلة الأسواق ، يحيط بها سور محكم ، و بها قلعة عظيمة عجيبة في حصنها وإتقان عمارتها ، وحفر خندقها نحو مائة ذراع"[٤] .

وهذا يدل على أن حماة التي تحدث عنها ابن حوقل ، وتحدث عنها ابن جبير ، قد تغيرت كثيراً في العصر الأيوبي حين كتب عنها ياقوت الحموي ، وفي هذا دلالة واضحة على

---

(١) صورة الأرض ، ص162.

(٢) الرحلة ، ص 230.

(٣) القثامي : مملكة حماة في العصر الأيوبي ، ص 444.

(٤) ياقوت : معجم البلدان ، 300/2.

مدى ما وجدته مدينة حماة من عناية واهتمام من قبل حكامها من الأيوبيين ، خاصة في ظل الأسرة التقوية ، وأكبر دليل على ذلك افتتان ياقوت الحموي بسورها العظيم ، وقلعتها التي كانت تشد النظر إليها ، وحديثه عن خندقها يدل أيضا على مدى اهتمام حكامها من البيت التقوي بتحصينها وتسويرها ، نظراً للصراعات المستمرة في تلك الفترة بين المسلمين والصليبيين.

ثم يأتي ابن العديم فيصف حماة وصفاً دقيقاً لكل جزء من أجزائها ، حيث يقول أنها : " مدينتان والقلعة بينهما ، كل مدينة منهما عليها سور ، وفيها سوق ، والمدينة الغربية تعرف بسوق الأعلى ، والمدينة الشرقية تعرف بسوق الأسفل ، ولكل واحدة منهما مسجد جامع تقام فيه الخطبة "[١] .

ومن وصف ابن العديم ندرك أن كل قسم من أقسام حماة في ذلك العصر كان يشكل مدينة بحد ذاته ، من حيث اكتمال خدماته ، من جامع وسوق وغيرها ، وتلك القسمة الطبيعية التي فرضها نهر (العاصي) [٢] والذي أكد عليها بن بطوطة الرحالة الشهير في رحلته حين وقف عليها وشاهدها بأم عينيه ، فيقول : " يشقها النهر العظيم المسمى بالعاصي "[٣] ، وينعته ابن العديم بنهر الأرنط[٤] ، حين قال : " ونهر الأرنط يحف بدور المدينتين "[٥] ، ويعلل ابن جبير تسمية نهر العاصي بهذا الاسم بقوله : " ويسمى بالعاصي ، لأن ظاهره انحداره من سفل إلى علو ، ومجراه من الجنوب إلى الشمال " [٦] ، والأرجح أنه سمي بالمقلوب [٧] لنفس السبب الذي سمي من أجله العاصي .

---

(١) ابن العديم : بغية الطلب ، 1/ 149.

(٢) العاصي : نهر حماة وحمص يعرف بالميماس . ياقوت : معجم البلدان ، 4/ 67.

(٣) الرحلة ، 83/1 .

(٤) الأرنط : هو نهر العاصي ، وذكر أيضاً تحت اسم نهر الأرند . المصدر السابق ، 67/4.

(٥) بغية الطلب ، 149/1 .

(٦) الرحلة ، ص 230 .

(٧) ابن العديم : بغية الطلب ، 1/ 149.

وبحكم أن العاصي يفصل حماة إلى جزأين ، فكان لزاماً على حكامها وأمرائها ربط هذين الجزأين بعضهما البعض ، فتم بناء الجسر القديم ، وقد ذكره ابن جبير في رحلته بقوله : " وكان يربط القسم السفلي من المدينة وربضها "[١] ، وفي عهد المنصور الأول صاحب حماة[٢] قام ببناء عدد من الجسور ، منها جسر " الحديد " ، وهو بالقرب من باب حمص ، في شرق الجزء السفلي من حماة ، وانشأ جسراً آخر وهو " المراكب " [٣] ، وعرف أيضا بجسر " السرايا"[٤] .

ولكن نتيجة جريان نهر العاصي بعكس الاتجاه الطبيعي ،كان استخراج الماء منه للشرب والري يتم في غاية الصعوبة ، فتم لهذا الغرض بناء النواعير [٥] ، أو الحنانات ، أو الدواليب[٦] ، ومن أشهر نواعير حماة تلك التي عرفت باسم ناعورة " أم الحسن " ذكرها ابن العديم بقوله : " وعلى حافتي النهر دواليب يسميها أهلها الحنانات ومن جملتها الحنانة المعروفة بأم الحسن ، وفلكها أربعون ذراعاً ، وقد ذكرها امرؤ القيس مع شيزر في شعره " [٧] ، وذلك يدل على مدى قدم هذه الناعورة أو الحنانة . وعلى مدى متانة بنائها وجودة صناعتها واعتناء القائمين على حماة بصيانتها المستمرة .

---

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص230.

(٢) المنصور الأول : هو الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة ، كان شجاعاً ، محباً للعلم والعلماء ، صنف عددا من المصنفات ، في مضمار التاريخ والشعر ، اهتم بعمارة بلدة حماة ، توفي عام 617هـ . أبو الفداء : المختصر ، 3/ 157.

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج 4 ، ص 80 ؛ أبو الفداء : المختصر : 125/3.

(٤) الصابوني : تاريخ حماة ، ص97.

(٥) النواعير اختراع قديم قد بناه الرومانيون ، ويستقى بها ، ويديرها الماء ، ولها صوت ، وقد اشتهرت حماة بهذه النواعير من بين جميع مدن الشام ، ولم يكن يضاهيها في ذلك إلا شيزر . ابن منظور : لسان العرب ، 220/5 ؛ الصابوني : تاريخ حماة ، ص92 ، 97.

(٦) ابن العديم : بغية الطلب ، 92/1 ؛ القثامي : مملكة حماة في العصر الأيوبي ، ص 446.

(٧) بغية الطلب ، 149/1.

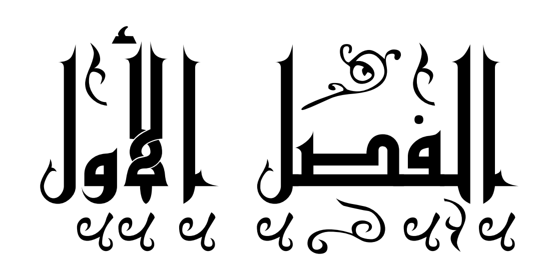
وعلى ضوء ما سبق يتضح لنا مدى تطور مدينة حماة عبر العصور التاريخية التي مرت بها ، ففي أوائل العصر الإسلامي كانت حماة من جند حمص ، وكانت قرية صغيرة [١] ، وظلت تابعة لحمص حتى عندما زارها الرحالة ابن حوقل (ت 380هـ/990م) ، وذكر أنها من جند حمص وقال : " وشيزر وحماة مدينتان صغيرتان " [٢] ، ثم تطورت على مر السنين وأصبحت مدينة ، إلا أنها ظلت تابعة لحمص ، ثم انتقلت بعد ذلك لتكون من أعمال حلب [٣] ، ثم توالت الأيام والأحداث على مدينة حماة إلى أن أصبحت ذات كيان مستقل واحد أهم مدن الشام بعد عاصمتها دمشق في العصر الأيوبي .

---

(١) الحموي : معجم البلدان ، 300/2.

(٢) صورة الأرض ، ص162.

(٣) ابن العديم : بغية الطلب ، 149/1.



الأوضاع العامة وأثرها على الحياة العلمية .

المبحث الأول : الأوضاع السياسية وأثرها على الحياة العلمية .

المبحث الثاني : الأوضاع الاقتصادية وأثرها على الحياة العلمية .

المبحث الثالث : الأوضاع الاجتماعية وأثرها على الحياة العلمية .

المبحث الرابع : الأوضاع الدينية وأثرها على الحياة العلمية .

المبحث الأول : الأوضاع السياسية وأثرها على الحياة العلمية .

منذ فتح المسلمون بلاد الشام ، ودخلوا حماة عام (15هـ/636م) بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه[١] في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ظلت مدينة حماة تنتقل تبعيتها من مدينة إلى أخرى من مدن الشام ، فقد جعل أبو عبيدة على حمص عبادة بن الصامت -رضي الله عنه-[٢]، وسار إلى حماة فتلقاه أهلها مذعنين ، فصالحهم أبو عبيدة على الجزية لرؤوسهم والخراج على أرضهم[٣] .

وبقيت حماة بعد الفتح الإسلامي تحت حكم المسلمين طوال حكم الخلفاء الراشدين – رضي الله عنهم–، والأمويين والعباسيين ، إلى نهاية العصر العباسي الأول ، حيث كانت من ضمن أعمال حمص حتى عام (290هـ/902م)[٤] حين بدأ هجوم القرامطة عام (291هـ/903م) على حمص وحماة والمعرة وسلمية وقتلوا أهلها وأطفالها ، فأرسل لهم الخليفة المكتفي العباسي[٥] جيشاً عظيماً استطاع القضاء على القرامطة في بلاد الشام[٦] .

وتناوبت الإدارات السياسية على حماة ؛ فتارة تكون تحت حكم صاحب حلب صالح بن مرداس الكلابي [٧]، وتارة في حكم صاحب حمص شجاع الدولة جعفر كلندي عام

---

(١) أبو عبيدة عامر بن الجراح : عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب القرشي الفهري ، صحابي جليل، أحد السابقين إلى الإسلام ، وممن عزم الصديق على توليته الخلافة ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، يجتمع مع النبي ﷺ في فهر ، سماه الرسول أمين الأمة . توفي عام18هـ بطاعون عمواس . ابن سعد : الطبقات الكبرى ، 384/7.

(٢) عبادة بن الصامت : ابن قيس بن أصرم الأنصاري الخزرجي، أحد نقباء العقبة ، صحابي جليل ، ولي قضاء فلسطين، سكن الشام ، توفي عام 45هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 151/2 ؛ ابن حجر : الإصابة ، 624/3 .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ، 84 ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، 339/2 .

(٤) الصابوني : تاريخ حماة ، ص53 .

(٥) الخليفة المكتفي العباسي أبو محمد علي ابن المعتضد بالله ، بويع بالخلافة بعد وفاة والده عام 289هـ ، توفي مقتولاً عام231هـ ، له الفضل في الحد من نفوذ القرامطة والقضاء عليهم . ابن الأثير : الكامل ،3/8.

(٦) الصابوني : تاريخ حماة ، ص53.

(٧) صالح الكلابي أمر الدولة أبو علي صالح بن مرداس بن إدريس بن نصر ، كان من عرب البادية ، استولى على حلب من صاحبها مرتضى الدولة ، كان ذا بأس وعزيمة ، وأهل عشيرة وشوكة ، توفي عام 420هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 487/2.

(477هـ/1084م) ، ثم أقطعها السلاجقة لصاحب حلب آق سنقر [1] ، وفي عام (504هـ/1110م) دخلت تحت حكم ملك دمشق طغتكين [2] ، وفي عام (524هـ/ 1129م) ملكها عماد الدين زنكي[3] ، وذلك بعد أن غدر بصاحب دمشق تاج الدين بوري بوري ابن طغتكين ، الذي كانت حماة في ذلك الوقت تابعة له ، وأوهمه بأنه يريد منه جيشاً لمحاربة الفرنجة ، فحينما أرسل صاحب دمشق جيشه ليحارب الفرنجة بقيادة ابنه سونج صاحب حماة ، مع عماد الدين زنكي ، هجم عماد الدين على حماة ، وقد كانت خالية من الجيوش فتسلمها بلا حرب[4] .

وبقيت حماة في حوزة عماد الدين زنكي ، وبعد وفاته انتقلت إلى ابنه نور الدين محمود[5] عام (541هـ/1146م) ، وبعد وفاة نور الدين محمود انتقلت إلى ملك ابنه الصالح إسماعيل[6] عام (569هـ/1173م) ، ثم انتقل ملك البلاد الشامية والمصرية إلى ملك السلطان صلاح الدين الأيوبي[7] عام (570هـ/1174م) ، بعد أن أتته خلعة الخليفة العباسي المستضيء

---

(١) آق سنقر أبو سعيد بن عبد الله ، جد البيت الأتابكي ، أصحاب الموصل ، وهو والد عماد الدين زنكي بن آق سنقر ، توفي عام 487 هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 241/1.

(٢) طغتكين ظهير الدين أبو منصور ، كان أتابك تتش السلجوقي (ت 522هـ) ، تزوج أمه ، وهو عتيق تتش ، تولى ملك دمشق بعد وفاته . المصدر السابق ، 296/2.

(٣) عماد الدين زنكي بن آق سنقر بن عبد الله الملقب المنصور ، صاحب الموصل ، تولى بغداد ، وحكم الموصل عام 521هـ ، كان له جهاد طويل مع الصليبين في بلاد الشام ، توفي مقتولاً على يد خادمه عام541هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 327/2.

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، 299/1.

(٥) نور الدين محمود : أبو القاسم محمد بن عماد الدين زنكي ، فتح من بلاد الروم عدة حصون ، اهتم ببلاد الشام خصوصاً حماة وبعلبك ومنبج ، وكانت له حروبه مع الفرنجة ، توفي عام 569هـ ، بقلعة دمشق . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 184/5.

(٦) الصالح إسماعيل : عماد الدين إسماعيل ابن الملك نور الدين محمود ، في عهده تملك صلاح الدين على مدن الشام ولم يبق في حكمه سوى حلب ، توفي عام577هـ . المصدر السابق ، 188/5.

(٧) صلاح الدين الأيوبي : أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي ، دخل في خدمة نور الدين محمود مع والده وعمه شيركوه ، قضى على الوجود الشيعي في مصر ، وملك الديار المصرية والبلاد الشامية والفراتية واليمنية ، وله جهاد طويل مع الفرنجة ، فتح بيت المقدس عام589هـ ، حكم مصر مدة 24 سنة ، وحكم الشام 19 سنة ، وتوفي عام 589هـ . المصدر السابق ، 139/7 ؛ الزركلي : الأعلام ، 220/8.

المستضيء بأمر الله [١] ، ومعهم التشريفات الجليلة والأعلام السوداء ، وتوقيع من الديوان بالسلطنة ببلاد الشام ومصر [٢] ، فولى السلطان صلاح الدين على حماة خاله شهاب الدين الحارمي ، وفي عام (573هـ/1177م) هجم الفرنجة على حماة عندما علموا بمرض صاحبها شهاب الدين الحارمي، فتدخل للدفاع عن حماة الأمير سيف الدين علي بن المشطوب [٣] ، وقد كان بقرب حماة ، فحارب الفرنجة ، وأخرجهم من حماة بعد أن حاصروها أربعة أيام [٤] ، وأغار الفرنجة مرة أخرى على حماة عام (574هـ/1178م) بعد وفاة صاحبها شهاب الدين الحارمي ، فتصدى لهم متولي عسكر حماة في ذلك الوقت الأمير ناصر الدين منكورس بن ناصح الدين خمارتكين صاحب (حصن بوقبيس) ، فقتل عدداً كبيراً منهم ، وأسر عدداً آخر ، وجاء ناصر الدين بالأسرى إلى السلطان صلاح الدين وهو بحمص ، فأمر السلطان بقطع أعناقهم جميعاً فقطعت [٥] . وفي عام (574هـ/1178م) أقطع السلطان صلاح الدين حماة لابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب [٦]، وجعل في خدمته شمس الدين ابن المقدم[٧] ، وسيف الدين بن أحمد المشطوب[٨] .

---

(١) المستضيء بأمر الله : أبو محمد الحسن ابن المستنجد بالله العباسي ، بويع بالخلافة بعد وفاة والده عام 566هـ ، كان كريماً ، عادلاً ، في عهده خطب له بمصر بعد سقوط الفاطميين وفي اليمن أيضا ، توفي عام 575هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 360/12 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، 304/12.

(٢) أبو شامه : الروضتين في أخبار الدولتين ، 384/2 ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، 34/2.

(٣) الأمير سيف ابن مشطوب : سيف الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن أبي الهيجاء ابن مرزبان الهكاري ، كان السلطان قد رتبه على عكا ، وأخذها منه الفرنجة ، وعاد لخدمة السلطان صلاح الدين الأيوبي ، لم يكن في أمراء الدولة الصلاحية أحد يضاهيه ، توفي عام588هـ بالقدس. ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 182/1.

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، 91/10 ؛ أبو شامه : الروضتين ، 470/2.

(٥) الأصفهاني : البرق الشامي ، 155/5 ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، 91/10.

(٦) تقي الدين عمر : الملك المظفر أبو سعيد عمر ابن نور الدولة شاهنشاه ابن أيوب صاحب حماة ، ابن أخ السلطان صلاح الدين ، كان شجاعاً مقداماً ، بنى عدة مدارس للشافعية والمالكية ، كان كثير الإحسان للعلماء والفقراء توفي عام 587هـ ودفن بحماة . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 456/3 ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 430/12.

(٧) شمس الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم ، قائد من الولاة المقدمين في العهد النوري والصلاحي ، كان قائماً بشؤون الملك الصالح في صغره ، ثم ولاه صلاح الدين بعلبك ، ثم أصبح أكبر أمراء الصلاحيين ، حارب ضد الصليبيين ، شارك في فتح القدس ، توفي في مكة أثناء حجه عام583هـ . الأصفهاني : البرق الشامي، 92/3.

(٨) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، 453/3 ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، 74/2.

وفي عام (575هـ/1179م) أرسل السلطان صلاح الدين الأيوبي ابن أخيه تقي الدين عمر صاحب حماة لمحاربة قلج أرسلان [١] ؛ لأنه أراد الاستيلاء على حصن رعبان [٢] ، وسار إليه تقي الدين عمر بألف فارس ، واستطاع هزيمته ، وأصلح حال الولاية ، وعاد إلى صلاح الدين ، وكان تقي الدين عمر يفتخر ويقول هزمت عشرين ألفاً بألف ، وكان يقصد بذلك أنه هزم عشرين ألف فارس من جيش قلج أرسلان بألف فارس من جيش حماة[٣] .

ثم استدعى السلطان ابن أخيه تقي الدين عمر لينوب عنه في مصر ويقطع له من مصر عدداً من المدن منها الفيوم[٤] وبوش[٥] والإسكندرية[٦] ودمياط[٧] ، وأبقى له بالبلاد الشامية الشامية حماة وقلعتها وجميع نواحيها ، ويساعده في مصر ابن السلطان صلاح الدين الملك الأفضل[٨] ، وذلك عام (579هـ/1183م)[٩] . وظل تقي الدين عمر في مصر نائباً عن السلطان صلاح الدين حتى عام (582هـ/ 1186م) ، حين بعث تقي الدين عمر إلى السلطان صلاح الدين يشتكي من الملك الأفضل ابن السلطان بأنه لا يتمكن من استخراج الخراج ؛ لأنه إن أحضر أحداً عليه خراجاً وأراد عقوبته أطلقه الملك الأفضل ، فأرسل السلطان

---

(١) قلج أرسلان : السلطان عز الدين قلج أرسلان ابن السلطان قلج ارسلان ابن قتلمش ، دام حكمه 26 عاماً ، كان له غزوات كثيرة ، وكان ذا سياسة وعدل وهيبة عظيمة ، توفي بقونية عام 588هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، 3/8 ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، 176/3 ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 434/12.

(٢) حصن رعبان : رعبان مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات وهي قلعة تحت جبل . ياقوت : معجم البلدان، 51/3.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، 97/10.

(٤) الفيوم: ولاية غربية، بينها وبين الفسطاط أربعة أيام ، بينهما مفازة لا ماء بها ولا مرعى مسيرة يومين ، وهي في منخفض الأرض كالدارة. ياقوت: معجم البلدان، 4/ 286.

(٥) بوش : مدينة بمصر ، من نواحي الصعيد غربي النيل ، بعيده عن الشاطئ . ياقوت : معجم البلدان ،508/1.

(٦) الإسكندرية : هي ميناء على أرض مصر ، يقال أنه بناها الإسكندر الرومي ، وبها منارتها العظيمة ، تم فتحها في عهد عثمان بن عفان ﷺ بقيادة عمرو بن العاص . المصدر السابق ، 182/1.

(٧) دمياط : مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بحر الروم ، مخصوصة بالهواء الطيب وهي ثغر من الثغور الإسلامية . المصدر السابق ، 472/2.

(٨) الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن علي ، ابن صلاح الدين الأيوبي ، كان أكبر أبناء صلاح الدين ، استقل بمملكة دمشق بعد وفاة والده ، استقر ملكه على سميساط إلى أن مات بها . ابن خلكان : وفيات الأعيان،419/3.

(٩) الأصفهاني : البرق الشامي ، 5/ 234 ؛ أبي شامه : الروضتين ، 195/3.

وأخرج ابنه الأفضل من مصر وأقطعه دمشق ، وقد تغير السلطان على تقي الدين عمر في الباطن ، لأنه ظن أنه إنما أخرج ولده من مصر ليتملك مصر إذا مات السلطان [١] ، فأرسل السلطان إلى تقي الدين عمر في مصر ، ولكن تقي الدين عمر عبر بعسكره إلى الجيزة [٢] ، ينوي غزو بلاد المغرب ، ولكن السلطان رأى بأن فتح القدس أهم من ذلك ، وأن تقي الدين عمر لو توجه للمغرب سوف تتفرق قوة المسلمين ولن يستطيعوا فتح القدس [٣] ، فأجاب تقي الدين عمر بالسمع والطاعة ، وتوجه إلى دمشق ، وذلك سنة (582هـ/1186م) ، فأقطعه السلطان زيادة على حماة ، المعرة ومنبج [٤] ، وقلعة نجم [٥]، وجبل جور [٦]، وميافارقين [٧]، وما وما حولها من البلاد والمعاقل [٨] .

وفي عام (584هـ/1188م) أضاف السلطان صلاح الدين اللاذقية [٩] لملك ابن أخيه تقي الدين عمر صاحب حماة فعمرها وحصن قلعتها ، وكان عظيم الهمة في تحصين القلاع [١٠]، فحينما عاد من اللاذقية كان قد طمع في توسيع حدود مملكة حماة التقوية ، فسار بعسكره إلى ما وراء الفرات ، وملك حران [١١] ، واستطاع أن يضم السويداء [١٢][١٣] .

---

(١) أبي شامه : الروضتين ، 255/3 ؛ أبو الفداء : المختصر ، 86/3.

(٢) الجيزة : بلدة غربي الفسطاط بمصر ، وهي من أفضل كور مصر . ياقوت : معجم البلدان ،200/2.

(٣) الأصفهاني : البرق الشامي ، 310/5 ؛ ابن الأثير : الكامل ، 139/10 ؛ ابن شامه : الروضتين ، 156/3.

(٤) منبج : مدينة واسعة ، ذات خيرات كثيرة فيها أبار كثيرة . ياقوت : معجم البلدان ،205/5.

(٥) قلعة نجم : قلعة صغيرة حصينة مطلة على الفرات ، وبينها وبين منبج أربعة فراسخ . المصدر السابق ،391/5.

(٦) جبل جور : اسم لكوره كبيرة متصلة بديار بكر ، من نواحي أرمينية ، أهلها نصارى أرمن ، وفيها قلاع وقرى. المصدر السابق ، 102/2.

(٧) ميا فارقين : أشهر مدينة بديار بكر ، فتحها خالد بن الوليد بعد فتوح الشام . المصدر السابق ،235/5.

(٨) أبو شامه : الروضتين ، 257/3 ؛ ابن الأثير : الكامل ، 139/10 ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، 182/2.

(٩) اللاذقية : مدينة على سواحل الشام ، وهي مدينة رومية عتيقة وبها قلعتان عظيمتان ، إحداها على الربض ، والأخرى على البحر . ياقوت : معجم البلدان ، 5/5.

(١٠) ابن واصل : مفرج الكروب ، 180/2 ؛ أبو الفداء : المختصر ، 94/3.

(١١) حران : هي مدينة عظيمة ومشهورة ، بينها وبين الرها يوم ، وهي على طريق الموصل والشام والروم . ياقوت : معجم البلدان ، 235/2.

(١٢) السويداء : بلدة مشهورة قرب حران ، أهلها غالبهم من الأرمن . ياقوت : معجم البلدان ،286/3.

(١٣) الصابوني : مملكة حماة ، ص60.

وفي عام (586هـ/1190م) طلب تقي الدين عمر من عمه السلطان صلاح الدين أن يفوض كل ما وراء الفرات إليه ، وأن يعتمد عليه في إدارة أمور تلك المنطقة ، فأنعم السلطان على تقي الدين بما طلب ، فسار عام (587هـ/1191م) لتسلم البلاد التي أضيفت إليه شرقي الفرات ، وكان له بالشام (حماة ، والمعرة ، وسلمية ، وجبلة [(١)] ، واللاذقية) ، وله بالجزيرة وديار بكر[(٢)] (حران ، الرها [(٣)] ، الموزر [(٤)] ، سميساط [(٥)] ، وضيعها ، وميافارقين ، وحصونها وحصونها وأعمالها وقلاعها)[(٦)] .

وقام تقي الدين وهو في بلاد ما وراء الفرات بالتوسع والسيطرة على بلاد خلاط [(٧)] وتملكها ، ثم توجه إلى ملاذكرد [(٨)] ، وحاصرها ، وضايقها ، وأثناء حصارها اعتراه مرض شديد، وتزايد به حتى توفي عام (587هـ/1191م) وهو محاصر لملاذكرد ، فأخفى ابنه المنصور[(٩)] خبر وفاته ، ورحل عن ملاذكرد ، ووصل إلى حماة ودفن والده بها[(١٠)] .

وحينما استقر الملك المنصور بحماة أرسل إلى السلطان صلاح الدين يخبره بأنه قام مقام والده فيما كان لوالده من البلاد ، وطلب شروطاً من السلطان فهم من خلالها أنه يعلن

---

(١) جبلة : قلعة مشهورة بساحل الشام ، قرب اللاذقية . ياقوت : معجم البلدان ،105/2.

(٢) بلاد بكر : هي بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل ، وحدودها من غرب دجلة إلى نصيبين ، ومن أعمالها حصن كيفا وآمد وميافارقين ، وأهلها جميعهاً عرب خلص إلى اليوم . المصدر السابق ،494/2.

(٣) الرها : مدينة في منطقة الجزيرة ، بين الموصل والشام . المصدر السابق ،106/3.

(٤) الموزر : كوره في منطقة الجزيرة ، منها نصيبين الروم ، المصدر السابق ،221/5.

(٥) سميساط : مدينة على شاطئ الفرات ، في طرق بلاد الروم ، على غربي الفرات ، ولها قلعة يسكن شق منها الأرمن . المصدر السابق ، 258/3.

(٦) أبي شامة : الروضتين ، 170/4 ؛ أبو الفداء : المختصر ، 100/2.

(٧) خلاط : هي قصبة أرمينية الوسطى ، بلدة عامرة مشهورة ، ذات خيرات واسعة ، وبها بحيرة ليس لها نظير . ياقوت : معجم البلدان ، 380/2.

(٨) ملاذكرد : أومنازكرد ، بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم ، وتعد في أرمينية . المصدر السابق ،202/5.

(٩) الملك المنصور : ناصر الدين أبو المعالي محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة ، تملك حماة بعد وفاة والده عام 587هـ ، وحكم حماة حتى توفي فيها عام 617هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 457/3.

(١٠) ابن الأثير : الكامل ، 204/10 ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، 376/2.

العصيان ، إلى أن توسط الملك العادل [١] ليحسن العلاقات بين المنصور والسلطان فكان الصلح[٢] ، وأقره السلطان بعد ذلك على حماة ، وسلمية ، والمعرة ، ومنبج ، وقلعة نجم[٣].

وحين اندلعت حرب الوراثة بين أبناء السلطان صلاح الدين الأيوبي ، لم يشأ المنصور محمد صاحب حماة الانغماس فيها إلا بالقدر الذي يضمن مصالحه ويحفظ مملكته من السقوط ، وانتهت حرب الوراثة تلك على تولي الملك العادل أخي السلطان صلاح الدين الملك في المملكة الأيوبية[٤] .

وفي عام (595هـ/1198م) قصد الملك المنصور صاحب حماة مدينة بارين [٥] وأقام عليها المجانيق[٦] ، وتم له فتحها ، وأقام بها مدة حتى أصلح أمورها ثم عاد إلى حماة[٧] .

ثم أرسل إليه صاحب حلب الملك الظاهر [٨] يبذل له منبج قلعة نجم مقابل أن يقاتل معه ضد الملك العادل [٩] ، ولكن سياسة الحياد التي اتبعها ملوك حماة دائماً جعلت الملك

---

(١) الملك العادل : أبو بكر محمد بن أبي الشكر أيوب بن شاذي بن مروان ، الملقب بالملك سيف الدين ، أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي ، ملك مصر بعد الصراع مع أبناء أخيه صلاد الدين الأيوبي ، وتولى عرش مصر عام 596هـ ، وضم إليها البلاد الشامية ، ثم ملك أرمينية ، وبلاد اليمن عام 612هـ ، وقسم البلاد بين أبناءه في حياته، وكان محباً للعلم والعلماء ، قضى على الإسماعيلية في مصر ، وتوفي عام615هـ . الأصفهاني : البرق الشامي ، 159/5–162 ؛ الزركلي : الأعلام ، 47/6.

(٢) أبي شامة : الروضتين ، 291/4 ؛ أبو الفداء : المختصر ، 102/3.

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، 379/2.

(٤) الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص88.

(٥) بارين : ويقال لها بعرين ، وهي مدينة حسنة بين حلب وحماة من جهة الغرب . ياقوت : معجم البلدان ،321/1.

(٦) المجانيق : مفردها منجنيق آله تستخدم لدك الحصون ، ترمى بها الحجارة على مسافات عاليه ، الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، ص804.

(٧) أبو الفداء : المختصر ، 124/3.

(٨) الملك الظاهر : أبو الفتح وأبو المنصور غازي بن السلطان صلاح الدين ، يلقب بالملك الظاهر غياث الدين صاحب حلب ، أعطاه والده حلب عام 582هـ ، كان ملكاً مهيباً ، عالي الهمة ، حسن التدبير والسياسة ، محباً للعلماء ، مجيزاً للشعراء ، توفي بقلعة حلب عام 613هـ ، ودفن بقلعتها . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 6/4.

(٩) أبو الفداء : المختصر ، 124/3.

المنصور يرفض هذا العرض بسبب ولائه للملك العادل [1] ، فسار إليه الملك الظاهر صاحب حلب ، وحاصر حماة عدة أيام ولم يستطع دخولها ، فما كان أمامه إلا طلب الصلح ، فتم الصلح على مال يدفعه الملك المنصور للظاهر صاحب حلب[2] .

وفي عام (599هـ/1202م) تجدد الصراع مع الفرنج وملك حماة حينما توجه الملك المنصور بعساكره إلى بارين ، وأقام بقلعتها ليراقب تحركات الفرنجة على الساحل ، وكتب الملك العادل إلى صاحب بعلبك الملك الأمجد بهرام شاه [3] ، وإلى الملك المجاهد صاحب حمص [4] لإنجاد صاحب حماة ضد الفرنجة ففعلوا[5] .

وانتصر صاحب حماة على الفرنجة في بارين ، واستطاع أن يأسر مجموعة منهم ، وبعد المعركة أرسل الداوية[6] مباشرة إلى المنصور صاحب حماة رسولاً يخبره بوصول الفرنجة إلى عكا في في ستين ألف فارس ، وأن مقدم الأسبتارية [7] ومقدم الداوية والملك عموري لوزجنان سوف يصلح بين ملك الأرمن وملك أنطاكية ، ثم يتحد الجميع لقتال المسلمين .

ولم تكن هذه الأخبار صحيحة إنما محاولة لتخويف المنصور صاحب حماة ، وحمله على التراجع عن قتال الفرنج ، ولكن المنصور أصر على عدم مصالحة الأسبتارية ، وعندما أيقن

---

(١) الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص96.

(٢) أبو الفداء : المختصر ، 124/3.

(٣) بهرام شاه : الملك الأمجد مجد الدين أبو المظفر بهرام شاه بن فروخ شاه ، أبقاه صلاح الدين على بعلبك ، وبقي في بعلبك حتى أخذها منه الملك الأشرف بن الملك العادل ، وانتقل إلى دمشق ، له ديوان شعر ، قتله مملوكه عام 628هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 453/2.

(٤) الملك المجاهد : أسد الدين شيركوه ، ولد عام 569هـ ، وملك الرحبة وتدمر وماكسين وحمص ، توفي عام 630هـ . المصدر السابق ، 480/2.

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، 141/3 ؛ أبو الفداء : المختصر ، 128/3.

(٦) الداودية : هي طائفة فرسان الهيكل وتختلف عن الأسبتارية في كونها نشأت على أساس حربي وفرسانها هم اللذين أسهموا في جميع الأعمال العدوانية التي قام به الصليبيون في بلاد الشام ، وأصبحت بعد ذلك تابعة مباشرة للبابوية، وهي مع الأسبتارية أقوى دعامتين للوجود الصليبي في بلاد الشام . سعيد عاشور : الحركة الصليبية، ص487.

(٧) الأسبتارية : هي طائفة فرسان نشأت مع بداية الحروب الصليبية وكانت بدايتها على هيئة جمعية تهدف للعناية بمرضى الصليبيين وإيواء الحجاج ورعايتهم ، وانتسبت بعد ذلك للبابوية ثم اكتسبت الصفة الحربية ، ونذروا أنفسهم لقتال المسلمين ، وكانت لها سيطرة على العديد من القلاع الحصينة في بلاد الشام مثل حصن المرقب –الأكراد . سعيد عاشور : الحروب الصليبية ، 487/1.

مبعوث الداوية بإصرار المنصور على عدم المصالحة اعتذر عن قوله ، واقتصر في طلبه على إبقاء الصلح بين المنصور صاحب حماة وبين الداوية ، فأجابه المنصور على ذلك[١] .

فغضب الأسبتارية حينما علموا بإصرار المنصور على عدم مصالحتهم فخرجوا من حصن الأكراد[٢] ، والمرقب[٣] ، ومن انضم إليهم من السواحل ، وأغاروا على بارين ، ولكن المنصور نزل عليهم ، وأنزل بهم هزيمة ساحقة ، وقتل عدداً كبيراً منهم[٤] .

وفي عام (601هـ/1204م) كانت الهدنة بين الملك المنصور صاحب حماة ، وبين الفرنجة ، وكان سبب هذه الهدنة أن الفرنجة قد أسقطوا القسطنطينية [٥] ، واستولوا عليها ، مما يعني قرب الإمدادات التي يمكن أن تصل إليهم ، فآثر المسلمون الهدنة مع الفرنجة في ذلك الوقت[٦] .

ويجمع المؤرخون على حسن سيرة الملك المنصور واهتمامه بحماة ، وتحصينها ، ودفاعه عنها ، وولائه لملوك بني أيوب في مصر[٧] .

وكان الملك المنصور قبل وفاته قد طلب من رعيته أهل حماة أن يحلفوا له بأن يولوا ابنه المظفر تقي الدين محمود[٨] من بعد وفاته، ثم جهزه والده المنصور على رأس فرقة عسكرية لقتال لقتال الفرنجة للمشاركة في الحملة الصليبية الخامسة[٩] .

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، 145/3–147.

(٢) حصن الأكراد : حصن منيع على الجبل الذي يقابل حمص ، وهو بين بعلبك وحمص . ياقوت : معجم البلدان ، 264/2.

(٣) المرقب : هي بلد وقلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بلنياس . المصدر السابق ،108/5.

(٤) أبو الفداء : المختصر ، 129/3.

(٥) القسطنطينية : كانت ملكاً للروم ، بينها وبين المسلمين البحر ، وظلت ملكاً للروم حتى ملكها منهم الفرنجة ، ياقوت : معجم البلدان ، 347/4 . وقد فتحها المسلمون بقيادة محمد الفاتح العثماني وسميت باسطنبول ، أي مدينة السلام.

(٦) الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص220.

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب ، 78/4–79 ؛ أبو الفداء : المختصر ، 157/3.

(٨) المظفر تقي الدين محمود : ابن المنصور محمد بن المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي ، دامت دولته خمسة وعشرين عاماً ، توفي عام642هـ . أبو الفداء : المختصر ، 157/3 ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 321/13.

(٩) ابن واصل : مفرج الكروب ، 78/4–79 ؛ أبو الفداء : المختصر ، 157/3 ؛ الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص 90.

وعندما توفي الملك المنصور كان ابنه المظفر في خدمة خاله الملك الكامل لمحاربة الفرنجة، وكان ابنه الآخر الملك الناصر قلج أرسلان (١) عند خاله المعظم شرف الدين (٢) صاحب دمشق، فاتفق أهل حماة على استدعاء الملك الناصر لما يعرفونه من لين عريكته ، وشدة الملك المظفر وقوة بأسه ، وولي حماة وعمره سبعة عشر عاماً(٣) .

ولما استقر الملك الناصر في ملك حماة ، استأذن الملك المظفر خاله الملك الكامل في المضي إلى حماة ظناً منه أنه إذا وصل إليها يسلمونها إليه ، بحكم اليمين التي حلفها أهل حماة للملك المنصور والده ، فأعطاه الملك الكامل الدستور ، فعندما وصل منطقة الغور (٤) ، وجد خاله المعظم صاحب دمشق وحذره من أن يدخل حماة ، خشية أن يعتقله أخوه الملك الناصر ، وذلك لأن الملك المعظم قد اشترط على الناصر مبلغاً من المال حتى يسمح له بتولي حماة ، فرجع المظفر إلى دمشق وأرسل أكابر أهل حماة في تسليمها إليه فلم يجيبوه ، فرحل إلى مصر ، وأقام في خدمة خاله الملك الكامل ، وقام الكامل بإقطاع المظفر إقطاعاً كبيراً بمصر (٥) ، وفي تلك الأثناء خشي الملك الكامل أن يستولي المعظم على حماة ، ثم يطمع في مد نفوذه على باقي المناطق الأيوبية في بلاد الشام (٦) ، فقرر استرداد بعض أملاك المظفر ، واستطاع بعد الاتفاق مع المعظم أن يتسلم منه (سلمية) ويردها إلى الملك المظفر عام (620هـ/1223م) ، وظلت (حماة ، والمعرة ، وبارين) بيد الناصر قلج أرسلان(٧) .

---

(١) الملك الناصر : قلج أرسلان ، ابن الملك المنصور صاحب حماة ، تلقب بالملك الناصر ، هو ابن أخت الملك المعظم، حكم حماة في غيبة أخيه المظفر ، وحكمها خمس عشرة سنة ، ثم عزله الكامل ، وولى أخاه المظفر ، وسجن قلج أرسلان بمصر حتى توفي بها . ابن الأثير : الكامل ، 349/5 ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 78/13.

(٢) المعظم شرف الدين : الملك المعظم شرف الدين عيسى ، ابن الملك العادل ، صاحب دمشق ، كان عالي الهمة ، حازماً شجاعاً مهيباً ، حنفي المذهب ، يحب الأدب كثيراً ، توفي عام 624هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 494/3.

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، 78/4–79 ؛ أبو الفداء : المختصر ، 157/3.

(٤) الغور : غور الأردن بالشام ، بين بيت المقدس ودمشق ، وهو منخفض عن أرض دمشق . ياقوت : معجم البلدان ، 217/4.

(٥) أبو الفداء : المختصر ، 158/3 ؛ المقريزي : السلوك ، 324/1.

(٦) الغامدي : تاريخ بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص92.

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب ، 4/ 129 ؛ المقريزي : السلوك ، 335/1.

وفي عام (626هـ/1228م) توجه الملك الكامل إلى بلاد الشام ، قاصداً الاستيلاء على دمشق من ملكها الملك الناصر داود [١] ، فتم له ذلك ، وبعد تسلمه دمشق ، توجه إلى حماة وبها الناصر قلج أرسلان فنازله إلى أن دخل حماة ، وسلمها إلى المظفر ، وأرسل الناصر قلج أرسلان إلى مصر ، فاعتقل هناك ، بعد أن حكم حماة تسع سنين تنقص شهرين[٢] .

وبقيت حماة في يد المظفر إضافة إل بارين والمعرة ، أما سلمية فقد سُلمت لصاحب حمص (شيركوه) ، لأنه ساعد الكامل في دخول دمشق[٣] .

واستمر المظفر على سيرة والده في الجهاد ضد الصليبيين ، ففي عام (627هـ/ 1229م) ، أغار الفرنجة من حصن الأكراد على حماة ، فخرج إليهم المظفر والتقى بهم عند قرية (لفيون) بين بارين وحماة ، وانتصر عليهم[٤].

وفي عام (639هـ/1241م) أصيب المظفر صاحب حماة وهو بين أصحابه في قلعة حماة بسكتة ، ثم مرض وشُل جنبه الأيمن ، وأدار شئون البلاد الأمير سيف الدين طغريل [٥]، والشيخ شرف الدين عبد العزيز الأنصاري ، ويشاركه الرأي الطواشي شجاع الدين المنصوري[٦]. ثم توفي سنة (642هـ/1244م) ، وتولى ابنه الملك المنصور ناصر الدين الحكم ، وكان عمره عشر سنوات، وأدار شئون البلاد الأمير سيف الدين بن طغريل، والشيخ شرف

---

(١) الناصر داود : هو الملك الناصر صلاح الدين ابن الملك المعظم شرف الدين عيسى ، تولى دمشق مكان والده ، توفي عام 656هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 496/3.

(٢) ابن الأثير : الكامل ، 483/10 ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، 267/4 ؛ أبو الفداء : المختصر ، 177/3 ؛ المقريزي : السلوك ، 357/1.

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، 303/4 ؛ أبو الفداء : المختصر ، 181/3 ؛ المقريزي : السلوك ، 361/1.

(٤) الملك المنصور ناصر الدين محمد : محمد بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، ولي عام 630هـ ، وله عشر سنين ، فمكث في الملك أزيد من أربعين عاماً ، وكان له بر وصدقات ، وقد أعتق خلقاً كثيراً ، وأقام في الملك بعده ولده الملك المنصور تقليداً من المنصور له في حياته . ابن كثير : البداية والنهاية ،258/13.

(٥) سيف الدين طغريل بن عبد الله الإيفاي ، (ت709هـ) بالقاهرة ، وكان من أكابر الأمراء والأعيان في الديار المصرية. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 279/8.

(٦) الطواشي : شجاع الدين مرشد المظفري ياقوت ، كان شجاعاً بطلاً ، له رأي سديد ، كان الملك المظفر لا يخالفه ، توفي بحماة ودفن بتربته بالقرب من مدرسته بحماة . ابن الأثير : الكامل ، 260/13؛ اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، 333/1.

الدين الأنصاري ، والطواشي ، والجميع يعود رأيه إلى الغازية خاتون [١] بنت السلطان الملك الكامل[٢].

ورغم الحروب المستمرة بين حلب وحماة إلا أن عصر الملك المنصور محمد صاحب حماة شهد تغيراً جذرياً في العلاقات بين حلب وحماة حين بعث الملك المنصور صاحب حماة الشيخ تاج الدين أحمد بن محمد بن نصر الله [٣] عام (643هـ/1245م) رسولاً إلى السلطان الملك الناصر صاحب حلب [٤] ، ليعقد عقد الملك المنصور محمد على ابنة خالته عصمة الدين عائشة خاتون ابنة الملك العزيز[٥] صاحب حلب ، وتم العقد في قلعة حلب[٦] .

وعادت في نفس العام إلى الملك المنصور محمد (سلمية) وذلك بعد أن تم انتزاعها من صاحب حمص ، بعد أن فقدها الحمويون عام (626هـ/1228م)[٧] .

وبذلك تكون اكتملت للمنصور محمد أملاك جده المنصور الأول ما عدا المعرة[٨] .

---

(١) الصاحبة غازية خاتون بنت السلطان الملك الكامل محمد بن الملك العادل ، قدمت حماة عام 629هـ ، ولها من الملك المظفر صاحب حماة ثلاثة بنين وثلاث بنات ، كانت أحسن النساء سيرة وزهداً وعبادة ، حفظت ملك ولدها المنصور حتى كبر وسلمته إليه قبل وفاتها عام656هـ . أبو الفداء : المختصر ، 236/3.

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، 342/5-345.

(٣) الشيخ أحمد بن محمد بن نصر الله ، من بيت بني المغيرل ، اعتمد عليه الملك منصور محمد في كثير من مراسلاته ، فقد بعثه عام 642هـ إلى بغداد بعد أن تولى المنصور الملك بعد وفاة والده ، وأرسله مرة أخرى إلى صاحب حلب ليزوجه ابنته . أبو الفداء : المختصر ،210/3.

(٤) الملك الناصر صاحب حلب : الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن الملك العزيز ، اتسعت حدود مملكته حتى وصلت إلى دمشق وبلاد الشام عام 648هـ ، وعند دخول التتر خرج من الشام وقتل في أذربيجان عام 658هـ. ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 10/4.

(٥) الملك العزيز : غياث الدين أبو المظفر محمد بن الملك الظاهر ، ملك حلب بعد والده الملك الظاهر وبقي في الملك حتى وفاته في قلعتها عام634هـ . المصدر السابق ، 9/3.

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ، 357/5.

(٧) أبو الفداء : المختصر ، ج 3 ، ص 212.

(٨) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج 5 ، ص 354.

وبعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب [١] عام (647هـ/1249م) وسيطرة الملك المعز أيبك التركماني [٢] على مصر ، وزواجه من شجرة الدر [٣] زوجة الملك الصالح عام (653هـ/1255م) يكون ذلك إيذاناً بسقوط الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك في مصر [٤] ، ، ثم تغير وجه التاريخ الإسلامي ببدء خطر قادم جديد ؛ وهو الغزو المغولي على المشرق الإسلامي ، وبدأ ذلك بسقوط عاصمة الخلافة الإسلامية بغداد عام (656هـ/ 1258م) ، وتلا ذلك زحف المغول على بلاد الشام ، فنزلوا على حلب ، وقتلوا فيها خلقاً كثيراً بقيادة هولاكو[٥] ، وتوجه بعدها المغول نحو حماة عام (658هـ/1259م) ولكن صاحب حماة كان قد خرج إلى دمشق ، فما كان من أكابر حماة إلا التوجه إلى حلب وتسليم مفاتيح حماة إلى هولاكو ، وطلبوا الأمان لأهل حماة ، فعين عليهم خسرو شاه [٦] . وفي عام (658هـ/1259م) أمر هولاكو بخراب أسوار قلعة حماة وإحراقها، وبيعت الكتب في حماة بأبخس الأثمان ، ولكن أسوار مدينة حماة لم تخرب ، لأنه كان بها رجل من

حماة يدعى إبراهيم بن الإفرنجية ، ذكر لخسرو شاه بأن الفرنجة قريب من حماة بحصن الأكراد ، وإن خربت أسوار حماة دخلها الفرنجة ، فاكتفى خسرو شاه بأخذ المال ورحل عنها[٧] .

---

(١) الملك الصالح أيوب بن محمد بن أبي بكر العادل بن أيوب ، أبو الفتوح نجم الدين ، كان من كبار الملوك الأيوبيين بمصر ، ولي الحكم عام 637هـ ، اقتنى من الترك عدداً كبيراً حتى صاروا معظم عسكره ، احتل الصليبيون في عهده دمياط ونازلهم ، فمات في المنصورة عام647هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ،309/13.

(٢) الملك المعز أيبك التركماني ، أول ملوك الأتراك ، من كبار مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب ، مكث في الملك سبع سنين ، وقتلته زوجته شجرة الدر أم الخليل ،كان دينا عفيفا كريما ، توفي عام 656هـ . ابن كثير : البداية والنهاية ، 170/13.

(٣) شجرة الدر : أم الخليل التركية ،كانت من حظايا الملك الصالح نجم الدين أيوب ، ملكت مصر بعد وفاة تورانشاه ، فكان يخطب لها ، وتضرب السكة باسمها ، ثم ملك المعز أيبك مصر وتزوجها ، وقامت بقتله خوفاً من أن يتزوج بأخرى ، فتجمع عليها مماليك أيبك وقتلوها عام656هـ . المصدر السابق ، 170/13.

(٤) أبو الفداء : المختصر ، 229/3.

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، 210/13 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 319/2 ؛ رانسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، 524/3.

(٦) خسرو شاه : هو رجل من العجم ، يدعى أنه من ذرية خالد بن الوليد . أبو الفداء : المختصر ،241/3.

(٧) أبو الفداء : المختصر ، 243/4 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ،186/13.

وفي الخامس والعشرين من رمضان من عام (658هـ/1259م) كانت هزيمة المغول على يد المماليك في مصر في معركة عين جالوت بقيادة المظفر قطز [١] ، وسار معه الملك المنصور محمد صاحب حماة ، وأخوه الملك الأفضل[٢] .

وبعد انتصار المسلمين في عين جالوت ، أحسن المظفر قطز للمنصور ، وأقره على حماة وبارين والمعرة ، وأعطى قطز الدستور للمنصور محمد ، فقدم حماة ومعه نائبه مبارز الدين أقوش المنصوري[٣] وأخوه الملك الأفضل[٤] .

استمرت علاقة الحمويين مع المماليك وطيدة ، حيث اعتمد ملوكهم على الجيش الحموي في كثير من فتوحاتهم ومن ذلك توجه الظاهر بيبرس [٥] عام (664هـ/1265م) إلى بلاد الأرمن ، وجهز جيشاً وجعل على مقدمته الملك المنصور محمد صاحب حماة ، فوصل الجيش إلى بلاد سيس[٦] ، وانتصر المسلمون على الأرمن ، وأسروا ابن صاحب سيس[٧].

واستعان ملوك المماليك مرة أخرى بملك حماة وعسكره ، وذلك عام (680هـ/ 1281م) ، زمن السلطان قلاوون ، حين قصدوا قتال المغول ، فرتب السلطان قلاوون [٨]

---

(١) قطز : الملك المظفر سيف الدين قطز بن عبد الله المعزي ، حكم مصر ، وجاهد الصليبيين والمغول ، واستطاع الحد من الزحف المغولي في عين جالوت ، قتل وهو عائد من عين جالوت عام 658هـ . ابن تغري بردي : المنهل الصافي، 274/2.

(٢) الملك الأفضل : نور الدين علي ابن الملك المظفر محمود ، توفي هو في طريقه إلى مصر ودفن بحماة عام692هـ. أبو الفداء : المختصر ، 39/4.

(٣) مبارز الدين أقوش المنصوري ، كان مملوك الملك المنصور صاحب حماة ، ونائب سلطنته ، كان جليلاً ، عاقلاً ، شجاعاً ، توفي عام673هـ . المصدر السابق ، 15/4.

(٤) أبو الفداء : المختصر ، 245/3 ؛ المقريزي : السلوك ، 518/1.

(٥) الظاهر بيبرس : ركن الدين أبو الفتح النجمي الصالحي ، وهو أحد مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب ، كان عالي الهمة ، شديد البأس ، حارب الفرنجة والإسماعيلية والتتر ، توفي في دمشق عام 676هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 155/4.

(٦) سيس:أو سيسه بلد كان من أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. ياقوت : معجم البلدان ،297/3.

(٧) أبو الفداء : المختصر ، 8/4-9 ؛ المقريزي : السلوك ، 37/2.

(٨) قلاوون الألفي العلائي الصالحي النجمي أبو المعالي سيف الدين السلطان الملك المنصور ، من المماليك قباجي الأصل ، قاتل المغول وانتصر عليهم ، توفي بالقاهرة عام689هـ . ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، 115/1.

جيشه وجعل على ميمنته عساكر حماة ، والتقى الجيشان في حمص ، وانتصر المسلمون على المغول ودخلوا حمص[١] .

وفي عام (683هـ/1284م) توفي الملك المنصور محمد فلما بلغ السلطان قلاوون خبر وفاته قرر مكانه ابنه الملك المظفر محمود[٢] على حماة وتوابعها المعرة وبارين[٣] . وقد تابع الملك الملك المظفر محمود سياسة والده في الوقوف بجانب المماليك في فتوحاتهم ومساندتهم بالجيش والعدة ، وتجدد هذا التعاون بين الحمويين وبين المماليك أثناء فتح عكا[٤]، فعندما رتب قلاوون قلاوون الجيش الإسلامي جعل الجيش الحموي كعادته في الجيوش الإسلامية على الميمنة ، وبعد حصار طويل تمكن المسلمون من فتح عكا عام (690هـ/ 1291م)[٥].

واستعان قلاوون مرة أخرى بملك حماة وجيشه حين توجه عام (691هـ/1291م) إلى قلعة الروم[٦] ، فيذكر المقريزي أن الحمويين قد نصبوا على القلعة عشرين منجنيقاً ، رموا بها أسوارها ، وقد قاتل الأجناد قتالاً شديداً واستمر الحصار ثلاثة وثلاثين يوماً [٧] ، إلى أن طلب أهلها الأمان ، فأمنهم الحمويون ، ودخلوا إلى القلعة منتصرين[٨].

وبعد وفاة ملك حماة الملك المظفر محمود بن المنصور محمد عام (698هـ/1298م) لم يستقر ورثته على الملك من بعده ، فأرسل السلطان في مصر ملكاً لحماة الأمير قرا سنقر الجوكدار ، فقدم حماة ونزل على دار المظفر ، وسلب أموال ورثة المظفر وأجحف في حقهم[٩].

---

(١) أبو الفداء : المختصر ، 23/4 ؛ المقريزي : السلوك ، 146/2.

(٢) الملك المظفر تقي الدين محمود بن الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر ، ملك حماة بعد وفاة والده عام683هـ ، مدة حكمة خمسة عشر سنة ، جاهد في سبيل الله ضد المغول والصليبيين ، توفي عام 698هـ . أبو الفداء : المختصر ، 53/4.

(٣) المصدر السابق ، 29/4.

(٤) عكا : بلدة كبيرة وحصينة على ساحل الشام . ياقوت : معجم البلدان ،143/4.

(٥) أبو الفداء : المختصر ، 34/4-35 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، 270/13-271 ؛ المقريزي : السلوك ، 223/2-226.

(٦) قلعة الروم : قلعة حصينة غربي الفرات ، مقابل البيرة ، بينها وبين سميساط . ياقوت : معجم البلدان ،390/4.

(٧) المقريزي : السلوك ، 233/2-234.

(٨) أبو الفداء : المختصر ، 36/4-37 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، 276/13-280.

حقهم[1]. وبذلك تكون مملكة حماة قد خرجت ولأول مرة من البيت التقوي الأيوبي منذ تأسيسها سنة (578هـ/1182م) .

أثر الحالة السياسية على الأوضاع العلمية في حماة الأيوبية :

كان للأوضاع السياسية في عهد دولة الأيوبيين الأثر الكبير على الحركة العلمية بها ، فقد دأب الحمويون على احترام العلماء وتبجيلهم ، ولما تسلطن الأيوبيون على حماة عرفوا ذلك، فقدموا العلماء واحترموهم وبجلوهم ، فهم بحاجة إلى دعامة يستندون عليها في حكمهم ويستعينون بها على إرضاء الشعب ، بحكم ما للدين ورجاله من قوة وسطوة في النفوس ، لأن العلماء ورثة الأنبياء كما ورد في الحديث[2] ، فكان على الأمير الذي يطمع في الحكم أن يتودد يتودد إلى العلماء ليكسبهم إلى جانبه ، حتى يضمن بذلك تأييد الرأي العام في حماة.

كما أن سياسة صلاح الدين ومن بعده من الأيوبيين ؛ كانت تشجع العلوم والعلماء، وحذا أمراء حماة حذوهم ، فأولوا الحياة العلمية جلّ اهتمامهم ، بل وصل الأمر إلى أن يستعان بالعلماء في إدارة شؤون البلاد ، كما كان الأمر عند مرض ثم موت المظفر صاحب حماة عام (639هـ/1241م) حيث اشترك الشيخ شرف الدين عبد العزيز الأنصاري في إدارة حماة مع الأمير طغريل[3] .

وبلغ من مكانة العلماء في حماة أنه كان يفرش لبعض العلماء للنوم مع الأمير في غرفته[4] ، وكانت تعرف عظمة الحاكم التقوي بكثرة العلماء في بلاطه ، فعلى سبيل المثال كان كان في بلاط المنصور صاحب حماة مائتا متعمم[5] .

ومن أمراء حماة من يعنى بالعلوم بنفسه ، وعلى رأسهم : الملك المعظم عيسى بن أبي بكر أيوب ، وقد كان عالماً فقيهاً [6] ، وكذلك المنصور الأول صاحب حماة الذي كان له اهتمام بالعلوم العقلية ، ويعد من العلماء في ذلك[1] .

---

(١) أبو الفداء : المختصر ، 4/53-54.

(٢) حديث " العلماء ورثة الأنبياء" أخرجه أبو داود في السنن، باب الحث على طلب العلم (3/317) ح (3641).

(٣) انظر ما تقدم في هذا المبحث.

(٤) المقريزي : السلوك ، 1/258.

(٥) أبو الفداء : المختصر ، 3/157.

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 3/494-496.

كما كان لحالة الجهاد والقضاء على شوكة المغول الأثر البالغ في تنشيط الحياة العلمية ، فقد أمن الناس على أنفسهم ، فانصرفوا لأمورهم ، وأهمها طلب العلم ، بعد أن كانوا مهددين بهذا الخطر الداهم الذي أسقط الخلافة ، وأحرق حاضرة العلم بغداد ، وذلك في عام (656هـ/1258م) ، ونسف معالم حضارتها العلمية وذلك بتدمير الكتب ومراكز العلوم(٢).

ولما امتد الخطر إلى حماة عام (658هـ/1259م) حاول الحمويون انتهاج سياسة المهادنة لحمايتها من السقوط أمام المغول والمماليك (٣) ، إذ خرج صاحب حماة إلى دمشق ، ولحق به الطواشي ، وكانت القوة غير متوازنة فتوجه أكابر حماة إلى حلب حيث رأوا تسليم مفاتيح حماة إلى هولاكو ، وطلبوا الأمان لأهل حماة ، فعين عليهم خسرو شاه(٤).

لكن كان لدخول التتار الأثر السلبي على حماة ، فقد أمر هولاكو بحرق وهدم أسوار مدينة حماة . ومن وجه آخر كان لدخول التتار حماة أن بيعت الكتب بها بأرخص الأثمان(٥).

ولا شك أن الاستقرار السياسي في الجملة له أثره في تنشيط الحركة العليمة بالأمن الذي يساعد على الطلب والتعليم ، ولا أدلَّ على ذلك من الرحلات العلمية التي جاءت من الأندلس والشرق والغرب الإسلامي لكثير من العلماء الذين وجدوا المناخ السياسي الآمن للاستقرار في حماة(٦).

---

(١) الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص433 ؛ وانظر الفصل الخامس في هذا البحث.

(٢) قال السمهودي : " وقعت الطامة الكبرى بأخذ التتار لبغداد وقتل الخليفة وأهلها بذل السيف فيهم نيفا وثلاثين يوماً ، وألقيت الكتب تحت أرجل الدواب ، وبريت منها معالفهم بالمدرسة المستنصرية ، وخلت بغداد ثم استولى عليها الحريق حتى عمّ ترب الرصافة مدفن ولاة الخلافة " . خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ، 38/1.

(٣) الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص96.

(٤) أبو الفداء : المختصر ، 241/3.

(٥) المصدر السابق ، ج 3 ، ص 243.

(٦) انظر مبحث الرحلة في الفصل الرابع.

المبحث الثاني : الأوضاع الاقتصادية وأثرها على الحياة العلمية .

إن جميع المصادر التاريخية التي تكلمت عن تاريخ بني أيوب في بلاد الشام كان حديثها يدور حول الأوضاع السياسية ، والعسكرية في تلك الفترة ، وذلك بسبب الصراعات القائمة بين المسلمين والصليبيين من جهة ، وبين المسلمين والمغول بعد ذلك من جهة أخرى ، كما اهتمت تلك المصادر بتدوين الصراعات الداخلية حول تولي الملك ، والصراعات بين مدن الشام بغرض السيطرة على بعضها البعض[١].

ولكننا لا نجد في تلك المصادر المعاصرة لتلك الحقبة ، اهتماماً واضحاً بالأوضاع الاقتصادية لبلاد الشام أو مدينة حماة على وجه الخصوص ، إلا ما كان يرد بين ثنايا الحديث السياسي.

واقتصاد حماة مثله مثل مدن بلاد الشام ، تأثر بالأوضاع السياسية القائمة في تلك الفترة ، فتارة يزدهر وينهض ، وتارة يتدنى ويضعف ، وذلك الضعف يكون خلال فترات الحروب والصراعات بين مدن الشام مثل : دمشق ، وحمص ، وحلب ، وحماة ، أو خلال النكبات والزلازل والآفات التي كانت تفتك بالمنتجات الزراعية[٢].

ومن ذلك الزلزال العظيم الذي ضرب أرض الشام عام (552هـ/1157م) ، فخرب حماة ، وشيزر ، وحمص ، وهدم الحصون والقلاع [٣] ، وكان لآثاره المدمرة تداعيات كبيرة على اقتصاديات بلاد الشام ومن ضمنها حماة.

وأيضاً ما مر ببلاد الشام عام (658هـ/1259م) ، من اجتياح المغول لها وتخريبها، فقد أمر هولاكو بحرق وهدم أسوار مدينة حماة ، وبيعت كتب حماة بأرخص الأثمان [٤] ، ونتيجة لأفعال المغول التي لم تسلم منها أي مدينة من مدن الشام من نهب ، وقتل ، وحرق ، وتدمير، فقد عم البلاء وأحرقت المزارع والمؤن ، وتغير كل شي في بلاد الشام نتيجة لهذه الهجمات

---

(١) الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص446.

(٢) القثامي : مملكة حماة في العصر الأيوبي ، ص436.

(٣) أبو الفداء : المختصر ، 243/3.

(٤) المصدر السابق ، 243/3.

البربرية. وأيضا كانت تمر على حماة وبلاد الشام عموماً فترات ازدهار ورخاء ، ومن ذلك حينما انتصر الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص على الخوارزمية ، وغنم الجيش عدداً كبيراً من الخيل والبغال والجمال ، وتم بيع هذه الأنعام في حماة بأبخس الأثمان [(١)] ، وقس على ذلك كل هجمات المسلمين وغزواتهم التي انتصروا فيها وغنموا وسبوا منها الكثير.

ونظراً لطبيعة بلاد الشام الخصبة وبعد مدينة حماة عن البحار التي عادة ما تكون رافداً قوياً للتجارة ، ولذلك تعد حماة مدينة زراعية ، واعتمدت على الزراعة بشكل كبير في اقتصادها[(٢)].

واعتمدت حماة في زراعتها على نهر العاصي ، وعلى الأمطار الموسمية ، ونظراً لانخفاض حوض العاصي عن الأراضي المحيطة به ، فقد اعتمدت كثيراً على النواعير [(٣)] ، ولذلك كانت بساتين حماة تقع على ضفاف نهر العاصي[(٤)] ، فتراوح الإنتاج الزراعي بين القلة والكثرة ارتباطاً مع حالة نهر العاصي ، ونسبة هطول الأمطار على حماة [(٥)]، وتميزت المنتجات الزراعية التي تنتجها بساتين حماة بجودتها وتنوعها فمنها : المشمش الكافوري اللوزي الفريد من نوعه ، والعنب ، والحنطة ، والشعير ، والذرة بنوعيها الأصفر والأبيض ، والحمص ، والعدس ، والبطيخ بنوعيه ، الأصفر والأخضر[(٦)].

ومما ساعد على رقي الزراعة وازدهارها في حماة اهتمام ملوكها بالزراعة ، فبالإضافة إلى امتلاك بعضهم المزارع والبساتين والإشراف عليها بأنفسهم ، فقد قام ملوك الأسرة التقوية بدورٍ مهم في تشجيع الزراعة وتطويرها ومن ذلك القناة الواصلة بين سلمية وحماة ، والتي قطعها صاحب حمص عام (635هـ/1237م) ، مما نتج عنه فساد البساتين والمزروعات[(٧)].

---

(١) ابن العديم : بغية الطلب ، 265/3.

(٢) الصابوني : تاريخ حماة ، ص117.

(٣) سبانو : مملكة حماة الأيوبية ، ص169.

(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص231 ؛ ابن العديم : بغية الطلب ، 149/1.

(٥) الصابوني : تاريخ حماة ، ص118.

(٦) ابن بطوطة : الرحلة ، ص803 ؛ الصابوني : تاريخ حماة ، ص118.

(٧) أبو الفداء : المختصر ، 197/3 ؛ القثامي : مملكة حماة في العصر الأيوبي ، ص438.

كما أعفى الملك المنصور الأول المزارعين الحمويين من المكوس المفروضة على المنتجات الزراعية ، وتم نقش هذا المرسوم على بوابة سوق المنصورية ، مما أغنى الأسواق بالثمار في مواسم جنيها ، مع رخص في الأسعار[١] ، ورغم هذه التسيهلات إلا أن التجار ما إن يشعروا باحتياج السكان حتى يلجأوا إلى استيراد ما يحتاجه السوق الحموي من المناطق المجاورة[٢].

ونظراً لوفرة أماكن الرعي في حماة التي اشتهرت بأرضها ذات المروج الخضراء ، فقد نشطت بها تربية الماشية ، ولقد أشار المؤرخ المعاصر أبو الفداء إلى أن حماة وأعمالها امتازت بالمحافظة على بعض فصائل الخيول التي تعرضت للفناء في بعض الفترات بسبب الأوبئة[٣].

أما الصناعة فقد ترتب على ثروة حماة الزراعية ، قيام عدد من الصناعات التقليدية منها: صناعة تجفيف الفواكه من تين ومشمش وعنب ، وصناعة خل العنب والتفاح ، وصناعة النسيج ، وتُعد المنتجات القطنية من أجود ما قدمته حماة على ساحة السوق المحلية ، والتي عرفت باسم البياض ، وهو يشمل الشراشف والمناشف وغيرها ، تليها المنسوجات الحريرية الملونة والبيضاء ، وهي خامات جيدة لصناعة الألبسة[٤] ، كما تميزت أيضاً بصناعة نوع معين من المنسوجات عرف بالقنباز الحموي ، هذا بالإضافة إلى صناعات أخرى اعتمدت في الأساس على المنتوجات الزراعية مثل الحرير الطبيعي ، وصناعة القش والعيدان[٥] وصناعة عصر عصر الزيوت[٦]. ولم تخلُ حماة أيضاً من الصناعات الأساسية المتوفرة في كل مدينة والتي تسد حاجة السكان ، مثل الحدادة والنجارة ، والحياكة[٧].

إن توفر المنتجات الزراعية والصناعية البسيطة التي ذكرناها سابقاً أوجب وجود حرفة أخرى امتهنها أهل حماة وهي حرفة التجارة والتي ازدهرت بشكل كبير خلال العصر الأيوبي

---

(١) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، ص197.

(٢) الصابوني : تاريخ حماة ، ص117-197.

(٣) أبو الفداء : المختصر ، 51/4.

(٤) الصابوني : تاريخ حماة ، ص82 ؛ أحمد سبانو : مملكة حماة الأيوبية ، ص 170 ؛ القثامي : مملكة حماة في العصر الأيوبي ، ص439.

(٥) الصابوني : تاريخ حماة ، ص118 ؛ سبانو : مملكة حماة الأيوبية ، ص170.

(٦) شيخ الربوة : نخبة الدهر ، ص272.

(٧) الصابوني : تاريخ حماة ، ص118.

بفضل عدة عوامل منها ، موقع حماة المتوسط بين شمال الشام وجنوبه ، بالإضافة إلى قربها من المناطق التي يحتلها الصليبيون في بلاد الشام فقد كانت مركزاً تجارياً مهماً مع الصليبيين في فترات السلام بينهم وبين المسلمين[١].

كذلك كان لقرب حماة من بادية الشام أن أصبحت ملتقى تجارياً لأهل البادية يسوقون إليها البهائم والصناعات اليدوية البدوية المختلفة ، كذلك كانت تجارة مرفأ طرابلس [٢] تمر عبر حماة ، وكان المرفأ كثير الحركة دائماً[٣] ، كما أن موقع بلاد الشام عموماً يقع عند نهاية الطريق البري لتجارة الشرق الأقصى منذ أقدم العصور[٤].

ولما كانت حماة تنقسم إلى قسمين ، فقد احتوى كل قسم على سوق خاص به ، ولما كان القسم الأعلى من حماة أجمل من القسم السفلي منها ، وأكثر تنظيماً ، فقد انعكس ذلك على السوق بها ، إذ أن السوق في القسم الأعلى كان كبيراً ومنظماً ويضم كل الصناعات والتجارات ، أما السوق في الجزء السفلي فكان كثير الخانات والحوانيت[٥].

ومن أشهر أسواق حماة فترة الدراسة هو ذلك السوق الذي بناه المنصور الأول محمد ، والذي أطلق عليه : " سوق المنصورية " ، وهو سوق منظم ، ذو حوانيت مرتبة حسب الحرف، بحيث شغلت كل طائفة من التجار جزءاً خاصاً بها[٦].

كما انتشرت في حماة أسواق أخرى منها : سوق البندورة ، وسوق الحطب ، وسوق المتولي ، وسوق حميد ، كما كان هناك أسواق خاصة بالمهن منها سوق الحدادين، وسوق الأساكفة ، وسوق القطن ، وسوق الطحين ، وسوق الخيل ، وهو مختص ببيع منتجات الريف،

---

(١) سبانو : مملكة حماة الأيوبية ، ص171.

(٢) طرابلس : مدينة على شاطئ البحر ، في بلاد الشام ، وطرابلس تعني الثلاث مدن ، دخلت حكم المسلمين عام 23هـ ، على يد عمرو بن العاص . ياقوت : معجم البلدان ، 25/4.

(٣) سبانو : مملكة حماة الأيوبية ، ص171.

(٤) القثامي : مملكة حماة الأيوبية ، ص440.

(٥) ابن جبير : الرحلة ، ص231 ؛ القثامي : مملكة حماة في العصر الأيوبي ، ص441.

(٦) الصابوني : تاريخ حماة ، ص88 ؛ سبانو : مملكة حماة الأيوبية ، ص172.

ومن أهم صادرات تلك الأسواق المنتجات الزراعية ومنتجات الثروة الحيوانية ، إضافة إلى الأقمشة ، والثياب ، والجلود ، والسمن ، والقطن ، والبهارات [١].

وقد عرفت حماة مهنة الصرافة وتبديل العملات والحوالات العالمية ، فقد ذكر ابن بطوطة في رحلته أنه خرج من حماة مع صديق له صيرفي من صيارفة حماة[٢].

كما عرفت التجارة الخارجية ، وكان بها جالية من البنادقة ، وكان لهم بحماة خانات وفنادق خاصة بهم ، ولهم في حماة زقاق عرف بزقاق الإفرنج ، وكان سلاطين حماة يصدرون الكثير من المراسيم تحث على حسن معاملة التجار الأجانب والإحسان إليهم[٣].

ويتضح مما طرحناه تنوع الموارد الاقتصادية لحماة من زراعة إلى صناعة إلى تجارة ، وكل هذه الموارد أسهمت في إنعاش اقتصاد حماة حتى باتت من أحصن ، وأرقى مدن بلاد الشام خلال العصر الأيوبي ، على الرغم من حدوث بعض الأحداث والتقلبات السياسية أو الطبيعية التي تؤدي إلى التأثير على ذلك الاقتصاد وتذبذبه.

أثر الحالة الاقتصادية على الأوضاع العلمية في حماة الأيوبية :

يُعد استقرار الأوضاع الاقتصادية من أهم ما أثر في الحياة العلمية في العصر الأيوبي ، إذ أن تحسن الحالة الاقتصادية في حماة الأيوبية أسهم في إيقاف الأوقاف على المدارس والكتاتيب ودور العلم المختلفة ، وعلى قيامها برسالتها.

ومن خلال ما توفرت لنا من مصادر تاريخية والتي دونت تاريخ حماة فترة البحث نجد أن مدينة حماة تمتعت فترة البحث بالرخاء الاقتصادي ، ورخص الأسعار ، وتوفر السلع ، مما ساعد الكثير من الناس على طلب العلم والتفرغ له ولو جزئياً في ظل الرخاء الاقتصادي التي شهدته حماة ، كما ساعد الرخاء الاقتصادي العلماء على تنفيذ بعض المشروعات المعمارية

---

(١) سبانو : مملكة حماة الأيوبية ، ص172.

(٢) ابن بطوطة : الرحلة ، ص371.

(٣) سبانو : مملكة حماة الأيوبية ، ص172.

الهندسية تمشياً مع التطور الاقتصادي الذي شهدته حماة ، وتوفر رأس مال قوي للإنفاق على مثل هذه المشروعات ، كبناء النواعير والجسور والأسواق ، ولذلك نشط علم الهندسة والحيل وبرز فيه علماء أجلاء.

المبحث الثالث : الأوضاع الاجتماعية وأثرها على الحياة العلمية .

اختلفت نشأة الدولة الأيوبية عن غيرها من الدول الإسلامية ، حيث نشأت الدولة الأيوبية في وقت كان الصليبيون بالشام أشد قوة وعنفاً ، حتى هدد خطرهم بابتلاع البلدان الإسلامية ليس في الشام فحسب ، بل أيضاً في مصر والحجاز ، ولذلك اتسمت فترة حكم الأيوبيين بصفة الحذر والاستعداد الدائم للقتال بسبب ظروف الحرب مع القوى الصليبية من جهة ، وظهور خطر المغول من جهة أخرى ، إضافة إلى الأخطار الداخلية[١].

ورغم حياة الجهاد التي عاشها أهل الشام إلا أن حياتهم حفلت بالكثير من الأعياد والاحتفالات في المناسبات الدينية المختلفة ، فقد كانت مواسم الحج والعمرة تترافق باحتفالات كبرى[٢] .

وكان لحماة قافلة حج خاصة بها ، ولها أمير حاج خاص ، وكان في بعض الأحيان يذهب ملك حماة وصاحبها على رأس قافلة الحج المتوجهة إلى مكة[٣]؛ كما فعل أبو الفداء عند ذهابه للحج لأول مرة[٤].

أما التركيبة السكانية لأهل حماة فقد كان الغالب عليها التنوع العرقي ، فقد كان سكان حماة منذ بدء الفتح الإسلامي لبلاد الشام يعودون لقبيلة " قيس " المضرية ، وبقي العنصر العربي هو العنصر السائد فيها ، كما دخل على التركيبة السكانية بحماة عنصر آخر وهو العنصر الكردي ، والذي تغلغل في الجوانب السياسية والعسكرية بها ، أيضاً سكن حماة طائفة من الإفرنج البنادقة ، أصحاب الصلات التجارية مع سكان حماة[٥].

---

(١) سبانو : مملكة حماة الأيوبية ، ص 156 ؛ سعيد عاشور : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص144.

(٢) سعيد عاشور : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص 145.

(٣) سبانو : مملكة حماة الأيوبية ، ص 156.

(٤) أبو الفداء : المختصر ، ج4 ، ص 88.

(٥) أبو الفداء : المختصر ، ج4 ، ص 88.

وقد تباين سكان حماة انسجاماً مع تباين سكان الشام بصفة عامة ، فكان المجتمع الحموي يتألف من طبقات ، وفيما يلي بيان ذلك :

طبقة الحكام :

كان الأيوبيون كلهم من أصل كردي ، وكان الملك الأيوبي يعتمد على أبنائه أو أهله الأقربين في إدارة شؤون البلاد ، كما كان الأكراد يكونون القسم الأكبر من الجيش ، وقد حكم حماة طوال الفترة الأيوبية الأسرة التقوية وهي من البيت الكردي الأيوبي(١).

طبقة أصحاب الإقطاعيات :

وهذه الطبقة لا ينتمي إليها إلاّ المقربون من الحكام من أمراء وملوك وأجناد وأصحاب الامتيازات ، وقد عانى أهل حماة من بعض أهل هذه الطبقة ، ومن جورهم وتسلطهم (٢) ، وكان منهم الأمير قرا سنقر الذي حكم حماة ، والذي أكد أبو الفداء بأنه ظلم أهل حماة ، وأصحاب البيت التقوي الحاكم منهم(٣).

طبقة العلماء:

كان لهذه الطبقة مكانتها عند الحكام والعامة على حد سواء ، وكان لهم زيّ خاص يعرفون به ، ولقد قرب حكام وملوك حماة هذه الطبقة إليهم ، وقدروها حق قدرها ، حتى بلغت درجة تكريمهم للعلماء انه كان يفرش للعلماء للنوم مع الملك في غرفته (٤) ، وكانت تعرف عظمة الملك أو الحاكم بكثرة العلماء في بلاطه ، فعلى سبيل المثال كان في بلاط المنصور صاحب حماة مائتا متعمم(٥).

طبقة التجار :

---

(١) سبانو : مملكة حماة الأيوبية ، ص 157.

(٢) سبانو : مملكة حماة الأوبية ، ص 157–158.

(٣) أبو الفداء : المختصر ، 4/ 54.

(٤) المقريزي : السلوك ، 1/ 258.

(٥) أبو الفداء : المختصر ، 3/ 157.

اشتملت هذه الطبقة على التجار المتصلين مع البدو في معاملاتهم. كما نشأت تجارة الرقيق بفعل الأسرى والحروب التي كانت سمة العصر الأيوبي(١).

طبقة أصحاب الحرف والصناعات :

وهذه الطبقة هي الطبقة الداعمة لطبقة التجار ولكنها أقل مرتبة منهم ، وأقل دخلاً ، وكان على رأس كل حرفة شيخ لها ، وله نواب ، وللمتدرب في هذه المهنة أستاذ يقوم بتعليمه وتدريبه ، وكان أصحاب الحرف والصناعات المتشابهة يجتمعون في أسواقهم ، فكان لكل حرفة سوق يجتمع فيه أصحاب تلك الحرفة ، كما أنهم كانوا يسكنون في أحياء تجمع أصحاب كل مهنة(٢).

طبقة الفلاحين :

وتعد هذه الطبقة هي أغلب سكان حماة ، فكما أسلفنا بأن الزراعة تعد الحرفة الرئيسة لأهل حماة وذلك بسبب طبيعتها الخصبة ووجود نهر العاصي الذي ساعد في استمرار هذه الحرفة وازدهارها(٣).

على أن هذا التوزيع الطبقي للسكان يعتمد على مكانتهم الاجتماعية ومدى نفوذهم في حماة ، أما إذا أردنا تقسيماً أعم وأشمل فيمكننا تقسيم أهالي حماة إلى قسمين رئيسين : القسم الأول (الحضر) : وهم أهل المدينة الذين اشتغلوا بالنشاط الاقتصادي من صناعة وتجارة وزراعة. ثم يأتي القسم الثاني (أهل البادية) : وهم الذين اشتغلوا بالرعي ، وهم عبارة عن قبائل متناثرة في بادية الشام وكان لكل عشيرة أفخاذها وبطونها(٤).

كما لعبت المرأة دوراً هاماً وحيوياً في حماة في تلك الفترة ، فقد كانت المرأة شيخة ومتصوفة ، وكانت بعض الرباطات خاصة بالنساء ، حتى إن بعضها كان له مهمة اجتماعية محددة وهي إيواء المطلقات واللآتي ليس لهن أهل ومأوى (٥) . مما يدل على مدى التكافل

---

(١) سبانو : مملكة حماة الأيوبية ، ص158.

(٢) المصدر السابق ، ص158.

(٣) المصدر السابق ، ص158.

(٤) سعيد عاشور : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص 331-332.

(٥) سبانو : مملكة حماة الأيوبية ، ص 160.

الاجتماعي الذي كان سائداً في حماة ومدى اهتمام ملوك البيت التقوي بتلبية احتياجات الأهالي والمحتاجين منهم.

أثر الحالة الاجتماعية على الأوضاع العلمية في حماة الأيوبية :

الحياة العلمية لا يمكن فصلها عن الحياة الاجتماعية ، فالعلماء جزء من المجتمع يشعرون بآلامه ، ويشاطرونه أحزانه ، ويتأثرون بما يجري عليه من مصائب وأهوال ، ويلجأ الناس دوماً إلى العلماء ليرشدونهم كما يلجأ الطفل إلى أبيه ، كما قال ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ الإمام مالك : " الناس في حجور علمائهم كالصبيان في حجور آبائهم " ، وفي لفظ " الناس عند علمائهم كالصبيان في حجور أمهاتهم ما أمروهم به ائتمروا وما نهوهم عنه انتهوا"[(١)].

وقد تأثرت الحياة العلمية في حماة الأيوبية بالنواحي الاجتماعية ، إذ كانت حماة خليطاً من الشعوب العربية والكردية وغيرها ، فكانت الحركة العلمية ناشطة بين مختلف الأعراق.

كما أن الحياة العلمية في عهد الأيوبيين تأثرت بالكوارث ، وكان أهمها زلزلة حماة في "شهر الله رجب سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، واستمرت عدة أشهر هلك بها من هلك من الخلق ، وكان نحوا من عشرة آلاف نسمة "[(٢)].

ونتوقع أنه كان من هؤلاء الذين ماتوا عدد من العلماء وطلبة العلم ، فقد ذُكر أنه : "هلك بسببها خلق كثير لا يعلمهم إلا الله وتهدم أكثر حلب وحما ة وشيزر ... وتهدم أسوار أكثر مدن الشام "[(٣)].

---

(١) أبو نعيم : حلية الأولياء ، ج3 ، ص259.

(٢) أبو شامة : الروضتين ، 115/1.

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، 236/12.

المبحث الرابع : الأوضاع الدينية وأثرها على الحياة العلمية .

إن أهم ما اتصفت به الحياة الدينية في العصر الأيوبي هو القضاء على آثار المذهب الشيعي ، وتدعيم المذهب السني في أنحاء البلاد الإسلامية الخاضعة لحكم الأيوبيين.

ومن الثابت في المصادر التاريخية بأن المذهب الشيعي كان له دعامتان أساسيتان تمثلت في البويهين في الشرق ، وفي العبيدين أو الفاطميين في الغرب[١].

ثم جاء السلاجقة الذين سيطروا على الخلافة العباسية ، وحاربوا التشيع في المشرق الإسلامي ، لذلك لجأ الوزير السلجوقي نظام الملك [٢] ، في تدعيم المذهب السني إلى إنشاء المدارس ، وأشهرها المدرسة النظامية في بغداد[٣]. وكان لهذه المدارس عدة أهداف من أهمها:

- نشر المذهب السني لمواجهة تحديات المذهب الشيعي الذي كان بدأ ينتشر بين الناس.
- إيجاد طائفة من المسلمين المؤهلين لتدريس المذهب السني ، ونشره في الأقاليم.
- إيجاد طائفة من الموظفين السنيين ليشاركوا في تسيير مؤسسات الدولة وإدارتها وبخاصة في مجال القضاء والإدارة[٤].

ثم جاءت الدولة الزنكية والتي كانت تدين بالتبعية للسلاجقة ، وكانت متخذة من المذهب السني مذهباً لها ، فما إن سيطر نور الدين محمود على مصر [٥] حتى عمل صلاح

---

(١) سعيد عاشور : مصر والشام ، ص127.

(٢) نظام الملك : أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس ، الملقب الطوسي ، خدم السلاجقة لدى السلطان ألب أرسلان ، ولما توفي ألب أرسلان نصب نظام الملك السلطان ملك شاه ، وكان الحكم بيده ، فحكم بغداد عشرين عاماً ، كان مجلسه عامراً بالفقهاء ، قتل عام485هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 128/2-131.

(٣) سعيد عاشور : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص127.

(٤) بدوي : التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي ، ص216.

(٥) دخل أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين الأيوبي مصر للمرة الثالثة عام 564هـ ، وتولى أسد الدين شيركوه الوزارة فيها . ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،11/10-12 ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، 160/1-161.

الدين الأيوبي على القضاء على الخلافة الفاطمية ، ودُعي في المنابر للخليفة العباسي في بغداد[١].

وما إن حكم صلاح الدين مصر وأعلن قيام الدولة الأيوبية عام (567هـ/ 1171م) حتى بدأ في محاربة المذهب الشيعي ، وبدأ ذلك في مصر ببناء المدارس السنية في القاهرة وأمر ببناء مدرسة للشافعية في مصر ، ولم يكن بها قبل ذلك إلا المدارس الإسماعيلية [٢] ، ولقد انتشرت في حماة المدارس السنية ، والتي تبنت تدريس المذاهب الفقهية.

ومن هذه المذاهب :

المذهب الحنفي :

كانت الدولة الزنكية تتبنى المذهب الحنفي ، وكان نور الدين محمود حنفي المذهب ، فأقام لأهل مذهبه المدارس ، واستدعى لذلك الغرض العلماء ، ولكن دون تعصب لمذهبه[٣].

وظل المذهب الحنفي يزدهر ويعلو شأنه في العصر الأيوبي ، وأشهر من تبنى هذا المذهب الملك المعظم عيسى بن أبي بكر أيوب ، رغم أن أهل بيته كانوا كلهم من الشافعية[٤].

المذهب الشافعي :

كان المذهب الشافعي هو مذهب معظم علماء وأهالي بلاد الشام خلال حكم الأيوبيين لها . فقد كان أول انتشاره في بلاد العراق ثم بمصر ، وكاد أن يتلاشى بدخول العبيديين لها ، ثم عاد بعد حكم صلاح الدين الأيوبي [٥] . وقد أولت الدولة الأيوبية المذهب الشافعي مساندة وتأييداً جعلت له المكانة التي تبوأها في بلاد الشام ومصر[٦].

المذهب الحنبلي :

---

(١) قطع صلاح الدين الدعاء في المنابر للخليفة الفاطمي ، وأعلن الدعاء للخليفة العباسي المستضيء ، وذلك بأمر من الملك العادل نور الدين عام 567هـ . ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، 10/33 ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، 201-200/1.

(٢)ابن واصل : مفرج الكروب ، 197/1.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، 125/9 ؛ أبو شامة : الروضتين ، 14/1.

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 494/3-496.

(٥) بدوي : التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني ، ص128.

(٦) ابن خلدون : المقدمة ، ص419-420.

كان أول انتشار للمذهب الحنبلي بالشام كان على يد الشيخ عبد الواحد بن محمد الشيرازي (ت486هـ/1093م)[١]، حينما قدم من بغداد إلى بيت المقدس وذاع صيته بها ، فقرأ عليه عدد كبير من الطلبة [٢] ، ولقد أقام العلماء الحنابلة المدارس والمساجد ، وقاموا بتدريس المذهب ، وامتزجوا بأصحاب المذاهب الفقهية الأخرى[٣].

الصوفية :

يعرف ابن خلدون التصوف بقوله : " وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى ، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها " [٤] ، وبهذا التعريف يكون التصوف عند ابن خلدون بمعنى الزهد.

ولكن ابن الجوزي فرق بين الزهد والتصوف فقال : " والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص ، فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يرونه من التزهد ، ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرونه عندهم من الراحة واللعب....
فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ، ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف "[٥].

ولذلك يمكن القول أن التصوف : " هو نزعة من النزعات ، وليس فرقة مستقلة ثابتة الآراء والأهداف والتعليمات ، وأن هناك بعض التماثل في الأساليب واعتماد التسلسل في الطريقة ، ولذلك يصح أن يكون الرجل سنياً متصوفاً ، أو شيعياً متصوفاً ، أو معتزلياً متصوفاً"[٦]. وقد كان أول ظهور للصوفية في القرن الثاني الهجري ، حيث كان أول من تسمى

---

(١) أبو الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي الأنصاري الشيرازي ، ارتحل إلى بغداد ، نشر مذهب الإمام أحمد بأعمال بيت المقدس ، صنف عدد من الكتب منها " المنهج " ، " الإيضاح " ، وفي الفقه " التبصرة في أصول الدين " . ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ، 2/68-71 ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 11/351.

(٢) النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، 2/64.

(٣) النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، 2/65-66.

(٤) ابن خلدون : المقدمة ، ص449.

(٥) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ، ص160-161.

(٦) عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص143.

بهذا الاسم أبو هاشم الصوفي (ت 150هـ/767م) ، وهو رجل أصله من أهل الكوفة [١] ، وقضى معظم حياته في بلاد الشام[٢].

ثم بعد ذلك اختلطت أفكار الصوفية مع أفكار الشيعة الرافضة وعقائدهم بسبب مخالطتهم لهم ، وهذا ما أثبته ابن خلدون حين قال : " وكان سلفهم – الصوفية – مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة ، فاختلط كلامهم ، وتشابهت عقائدهم "[٣].

وقد انتشرت هذه المذاهب الصوفية في بلاد الشام انتشارا واسعاً ، مما دعا السلاطين والملوك في الدولة الأيوبية للاهتمام بشؤونهم ويتبين لنا ذلك من خلال وصف ابن جبير في رحلته حين قال : " وهذه الطائفة الصوفية هم الملوك بهذه البلاد ، لأنهم قد كفاهم الله مؤن الدنيا وفضولها ، وفرغ خواطرهم لعبادته من الفكر وأسباب المعايش ، وأسكنهم في قصور تذكرهم قصور الجنة "[٤].

فهنا يثبت ابن جبير منزلة الصوفية في بلاد الشام ، بأنهم يعيشون عيشة الملوك ، بدون تكاليف أو مصاريف ، وكل ذلك من أجل تفرغهم للعبادة ، وقد أورد ابن جبير نصاً آخر يصف به تلك القصور التي يسكنها المتصوفة في ذلك العصر فيقول : " ومن أعظم ما شاهدناه لهم ، موضع يعرف بالقصر ، وهو صرح عظيم مستقل الهواء ، في أعلاه مساكن لم ير أجمل إشراقاً منها ، وله بستان عظيم يتصل به "[٥].

وهكذا نرى أن التصوف طريقة مبتدعة انتشرت بكثرة في العصر الأيوبي، لعدة أسباب وعوامل، منها وجود كثير من الأوقاف عليهم، مما سهل على الناس أن تجرى عليهم الأرزاق بغير عمل، أو جهد، وبذلك انتشرت الخرافات والبطالة، وتأثر بها العامة والخاصة ، وقد جرد

---

(١) الكوفة : هي المدينة المشهورة بأرض العراق ، سميت الكوفة لاستدارتها ، فقد مصرت أيام عمر بن الخطاب ﷺ . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، 4/490-494.

(٢) عميرة : التصوف الإسلامي ، ص 7.

(٣) المقدمة ، ص 455.

(٤) الرحلة ، ص 256.

(٥) الرحلة ، ص 257.

العلماء وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية [١]، وتلميذه ابن القيم [٢]، أقلامهم وألسنتهم في فضح حال هؤلاء الصوفية، وبيان خروجهم عن الشريعة.

أثر الحالة الدينية على الأوضاع العلمية في حماة الأيوبية :

بعد أن أزال صلاح الدين الحكم الفاطمي ، دعمت الدولة المذهب السني ، فانتشرت مدارس أهل السنة.

كما كان للحركة الصوفية تأثير في مواجهة الشيعة رغم الأثر السلبي المتمثل في عدة عناصر ، لعل من أهمها أن التصوف كان يقوم على الأوراد والأذكار مما عطل حركة التأليف العلمي الصحيح.

وأما القضاء فكان له تأثير كبير على الحركة العلمية ، وذلك لأن العلماء ذكروا أنه يشترط في القاضي الكمال أي كمال الأحكام وكمال الخلقة [٣] ، والعدالة ، وأن يكون من أهل الاجتهاد في الدين وهذا يلزم أن يكون عالماً بالكتاب والسنة والإجماع والاختلاف والقياس ولسان العرب [٤] ، وبذلك يكون تأثيره كبيراً على الحركة العلمية . والمظالم والحسبة في حقيقتيهما نوع من القضاء أيضاً.

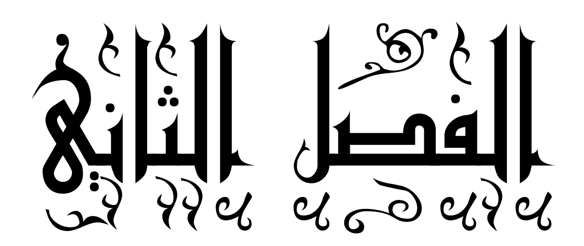
---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام المجلدان (العاشر والحادي عشر)، في نقد التصوف، وبيان الصحيح من علم السلوك، سوى ما كان مبثوثاً في ميراثه العلمي رحمه الله تعالى.

(٢) كثرت انتقادات الإمام ابن القيم للتصوف والسلوك غير السوي في التزهد، والرد على الصوفية في كثير من مؤلفاته ولاسيما كتابه (مدارج السالكين).

(٣) كمال الأحكام : أن يكون بالغاً عاقلاً حراً ذكراً ، وكمال الخلقة : بأن يكون متكلماً سميعاً بصيراً ، وفي بعض ذلك خلاف وقيود . ابن قدامة : المغني ، 14/12-13.

(٤) ابن قدامة : المغني ، 14/15.


الفصل الثاني

دور العلماء في الحياة العلمية :

المبحث الأول : دور العلماء في الحفاظ على عقيدة أهل السنة من المذاهب المنحرفة في ذلك .

المبحث الثاني : دور العلماء في تنشيط الحياة العلمية .

المبحث الأول : دور العلماء في الحفاظ على المذهب السني

ومقاومة المذاهب والتيارات الضالة .

لقد كان أول خطاب إلهي للبشرية جمعاء عبر نبيه ﷺ قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾[١] ، وفيه دعوة واضحة من الخالق سبحانه بأهمية القراءة والكتابة والعلم ، فحض هذا الدين من بدايته على تحصيل العلم ، وأكبر من مكانة العلماء وجعلهم في منزلة رفيعة وحملهم أمانة حمل الدعوة ونشرها ، وحمل العلم ونشره ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ ﴾[٢] ، وقال جل شأنه في كتابه العظيم : ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ﴾[٣] ، وبذلك حث القرآن الكريم بتعاليمه السمحة على طلب العلم ، وتفضيل العالم على العابد ، فقد قال ﷺ : " يا أبا ذر ! لأن تغدو فتتعلم آية من كتاب الله ، خير لك من أن تصلي ألف ركعة "[٤].

ومن هنا انطلق علماء الأمة في تحصيل العلم ، وتعليمه ، ونشره ، والحفاظ على تعاليمه ، صحيحة بدون تغيير أو تحريف ، وهو أمر حذر منه المصطفى ﷺ بقوله : " تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، أو اثنتين وسبعين ، والنصارى مثل ذلك ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلهم في النار ؛ إلا ملة واحدة ، فقالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي "[٥].

ولقد أدرك كبار علماء أهل السنة ذلك تماماً ، لذا عملوا على المحافظة على أسس سنته ﷺ ، والدفاع عنها من كل صاحب بدعة ، أو قول يقدح في هذه السنة الشريفة ، فقد انبرى جماعة من علماء هذه الأمة للحفاظ على مذهب أهل السنة ، التي سار عليها رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام ، وأصحابه الطاهرين من بعده ، ومحاربة الفرق والجماعات المنحرفة ، التي ظهرت فيما بعد، وحاولت تشويه هذا الدين ، لكن قبل الخوض في جهود علماء السنة في الحفاظ عليها ، وجب علينا أن نوضح معنى السنة ، والمقصود بها.

---

(١) سورة العلق ، آية 1.

(٢) سورة فاطر ، آية 28 .

(٣) سورة الزمر ، آية 9.

(٤) سنن ابن ماجة ، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه ، 79/1 ، ح (219).

(٥) الترمذي : السنن ، باب افتراق الأمة ، 36/5 ، ح (2641).

فالسنة في اللغة : هي الطريقة والسيرة [1] . قال الأزهري : " السنة هي الطريقة المحمودة المستقيمة ، ولذلك قيل فلان من أهل السنة ، معناه : من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة "[2].

وفي الاصطلاح : " يطلق لفظ السنة في مقابلة البدعة فيقال : فلان على السنة إذا عمل عملاً وفق ما نص عليه النبي ﷺ ، وكان ذلك مما نص عليه الكتاب أولاً ، ويقال فلان على بدعة إذا عمل عملاً خلاف ذلك "[3].

وأهل السنة هم : " أهل النقل والأثر ، المتبعون آثار النبي ﷺ ، وآثار أصحابه ، لأنهم على تلك الطريقة التي لم يحدث فيه حادث ، وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله ﷺ وأصحابه "[4].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في تعريف أهل السنة : " هم المتمسكون بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، الذين اتبعوهم بإحسان "[5].

ولقد تواصلت جهود العلماء للحفاظ على مذهب أهل السنة طوال العصور الإسلامية التي تلت عصر النبوة إلى أن أتى العصر الأيوبي ، الذي شهد ثورة علمية واسعة لصون هذا المذهب من العبث والضياع ، واستقطاب العلماء من أهل السنة ودعمهم ، ومساعدتهم للحفاظ على صحة هذا المنهج ، ولعل ظروف المرحلة الجهادية كانت من أهم أسباب مؤازة مذهب أهل السنة والجماعة ، باعتبار أن هذا المذهب وأتباعه كانوا هم حقيقة الركيزة الأساسية لرفعة الإسلام ، والدفاع عنه طوال العصور المتعاقبة.

وكان لعلماء حماة فترة الدراسة جهودٌ كبيرة للنهوض بهذه المدينة علمياً ، والتمكين للمذهب السني بها ، ومحاربة المذاهب الضالة ، وذلك تحت مظلة ورعاية ومباركة حكام حماة ،

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، 225/13.

(٢) الأزهري : تهذيب اللغة ، 103/12.

(٣) الشاطبي : الموافقات ، ص43.

(٤) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ، ص20.

(٥) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، 375/3.

والذين حرصوا هم أيضاً على التمكين للمذهب السني ، ومحاربة المذاهب المخالفة له. كالشيعة، والمعتزلة، والكسانية، وغيرهم[١].

ومن خلال تتبع المصادر التاريخية المعاصرة للحكم الأيوبي في حماة لم يقع بين أيدينا ما يشير إلى وجود تيارات أو مذاهب خارجة عن المذهب السني ؛ مذهب أهل السنة والجماعة.

وهذا ما يؤكد على الجهود التي بذلها علماء حماة وحكامها من أجل التمكين للمذهب السني ، ويتضح ذلك من عدة أمور لعل أهمها قوة العلاقة بين علماء السنة وحكام حماة ، وذلك من خلال رعاية سلاطين حماة للعلماء السنة ، وبذل الأموال لهم ومساعدتهم ، وبناء المدارس السنية لهم ، وفي المقابل حرص العلماء على حضور مجالس حكام حماة ، والخوض معهم ، ومع جلسائهم في المسائل التي من شأنها التمكين للمذهب السني ، وفضح المذاهب الضالة المخالفة للشرع ، فعلى سبيل المثال كان مؤسس الأسرة التقوية بحماة السلطان المظفر الأول تقي الدين عمر ، عالماً محدثاً ، سمع الحديث من علماء عصره ، واجتمع في بلاطه علماء السنة ، فقد كان محباً لمجالستهم ومناظرتهم ، فاجتمع حوله عدد كبير منهم ، ونالوا التقدير والثناء والرفعة في بلاطه وفي مملكته[٢].

ولم يكتفِ ملوك البيت التقوي بحماة بتقريب علماء السنة والإغداق عليهم ، بل قاموا بتقليدهم مناصب مهمة في الدولة مثل القضاء والوزارة [٣] ، دون تحيز أو ميل لمذهب فقهي

---

(١) الشيعة هم الذين شايعوا عليا ﷺ. وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إما جليا، وإما خفيا. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. انظر: الشهرستاني: الملل والنحل، 1/ 146.
المعتزلة ويلقبون بالقدرية، والعدلية، وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركا، وقالوا: لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى، احترازا من وصمة اللقب، المصدر السابق، 1/ 146.
الكيسانية: أصحاب كيسان، مولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وقيل تلمذ للسيد محمد بن الحنفية رضي الله عنه. يعتقدون فيه اعتقادا فوق حده ودرجته، من إحاطته بالعلوم كلها ، ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل، حتى حملهم ذلك على تأويل الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج، وغير ذلك على رجال. فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل، وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة، وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول، والرجعة بعد الموت. المصدر السابق، 147/1.

(٢) اليافعي : مرآة الجنان ، 433/3 ؛ الصابوني : تاريخ حماة ، ص119.

(٣) سوف نتحدث بشيء من التفصيل عن هذه الجهود في الفصل الثالث من هذا البحث.

دون آخر ، فتارة نرى منصب قاضي القضاة في حماة يتولاه أحد أئمة الشافعية مثل ابن واصل[١] ، وتارة أخرى نرى جمال الدين ابن العديم الحنفي يتولى قضاء حماة[٢].

وحسبنا إن علمنا بأن الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر ملك حماة كان في خدمته في بلاطه ما يقرب من مائتي عالم في شتى فروع العلم من فقهاء ونحاة وغيرهم، فيذكر صاحب كتاب المختصر أنه : " كان في خدمة الملك المنصور قريب مائتي متعمم من النحاة والفقهاء والمشتغلين بغير ذلك "[٣] ، وهذا يعد دليلاً قوياً على مدى الجهود التي بذلها حكام حماة من أجل التمكين للمذهب السني من خلال تقريبهم لعلماء السنة ، والتودد إليهم، والسخاء عليهم.

كما عمل حكام حماة للتمكين للمذهب السني من خلال نشر المذاهب الفقهية بمختلف أنواعها ، فرغم أنهم يميلون إلى المذهب الشافعي ، إلا أن ذلك لم يمنعهم من احتضان بقية المذاهب والعلم على نشرها وتدريسها ، وذلك من خلال المدارس التي قاموا بإنشائها أو تعهدوا برعايتها ، فكانت المدارس تدرس أكثر من مذهب ، فعلى سبيل المثال بنى نور الدين محمود مدرستين سنيتين في حماة إحداهما لتدريس المذهب الشافعي والأخرى لتدريس المذهب الحنفي[٤] ، وقد ظلت هذه المدارس تؤدي وظيفتها التي أنشئت من أجلها طيلة فترة الحكم الأموي بحماة.

كما بنى المظفر تقي الدين عمر ابن شاهنشاه مدرسة شافعية بحماة ، عرفت باسم "المدرسة التقوية " ، وأوقف عليها أوقافاً هائلة لضمان استمرارها[٥].

وما كان استمرار ملوك بني أيوب في مصر والشام في بناء هذه المدارس إلا دفاعاً عن المذهب السني ، دون الالتفات إلى مذهب بعينه [٦].كذلك عمل علماء حماة بإنشاء المدارس

---

(١) أبو الفداء : المختصر ، 50/4.

(٢) ابن تغري بردي : المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، 83/2.

(٣) أبو الفداء : المختصر ، 396/1.

(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص231 ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، 282/1.

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 458/3 ؛ النعيمي : الدارس ، 162/1.

(٦) ابن طولون : القلائد الجوهرية ، 155/1–164 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 207/7.

لنشر الحديث الشريف وتدريسه على أيدي علماء السنة ، فكثرت بحماة ما يعرف بدور الحديث ، وكانت تدرس بها كتب الحديث المشهورة مثل الكتب الأمهات الستة وهي : " صحيح البخاري " ، و " صحيح مسلم " ، و " سنن الترمذي " ، و " سنن النسائي " ، و " سنن أبي داود " ، و " سنن ابن ماجه " ، وهي الأساس لدراسة الحديث والتآليف فيه[١] .

كما شارك العلماء في إنشاء المدارس المعنية بتدريس المذاهب الفقهية الأربعة ، خاصة المذهب الشافعي ، ومن هذه المدارس : المدرسة البارزية وكانت مخصصة لتدريس المذهب الشافعي ، ومدرسة أبي الفوارس وكانت هي الأخرى مخصصة لتدريس المذهب الشافعي[٢].

ولم تكن المدارس وحدها هي وسيلة علماء حماة للتمكين للمذهب السني ، وبيان ضلالة المذاهب الأخرى ؛ بل أكد علماء حماة على تجنيب الصبيان في الكتاتيب من التعرض للأفكار الضالة والمذاهب الهدامة ، فأوجبوا على المؤدب " أن يمنع الصبيان من حفظ شيء من شعر ابن الحجاج[٣] والنظر فيه ، ويضربهم على ذلك ، وكذلك ديوان صريع الدلاء[٤] ، فإنه لا لا خير فيه ، وكذلك الأشعار التي عملتها الروافض في أهل البيت ؛ فلا يعرفهم شيئا من ذلك ، بل يعلمهم الأشعار التي مدحت بها الصحابة رضوان الله عليهم ليرسخ ذلك في قلوبهم "[٥].

"[٥].

كما تمثلت جهود علماء حماة في التصدي للفرق والمذاهب الضالة عن طريق التأليف في جميع فروع العلم ، وعلى الخصوص التأليف في علوم الشريعة التي تخدم الفكر السني كعلوم

---

(١) أحمد بدوي : الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ، ص 126.

(٢) لمعرفة المزيد عن دور العلماء في إنشاء المدارس . انظر : الفصل الرابع ، مبحث دور القرآن ودور الحديث ، وأيضاً مبحث المدارس.

(٣) أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج ؛ من كبار شعراء الشيعة ، يتصف شعره بالخلاعة والمجون ، تولى حسبة بغداد مدة ، مدح الملوك والأمراء والوزراء ، توفي سنة (391هـ/1000م) . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 168/2.

(٤) المصدر السابق ، 383/3.

صريع الدلاء ، أبو الحسن علي بن عبد الواحد الفقيه البغدادي ، شاعر مشهور في عصره ، اتسم شعره بالمجون مع الهزل ، سكن بغداد ، توفي سنة (312هـ/1021م) . الصفدي : الوافي بالوفيات : 4/61-63 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، 295/5 .

(٥) الشيزري : نهاية الرتبة ، ص 103-104.

العقيدة والتفسير والقراءات والفقه والحديث وغيرها [١] ، ومن أهم علماء حماة اللذين وصلنا إنتاجهم العلمي في مجال محاربة المذاهب الضالة والمنحرفة ، والدفاع عن مذهب أهل السنة العالم الجليل : شهاب الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن أبي الدم الحموي (ت642هـ/1244م)[٢] ، كان عالماً فاضلاً محدثاً فقيهاً ، إماماً في المذهب الشافعي ، أسهم في التصدي للمذاهب الفكرية المنافية لما جاءت به السنة المحمدية من خلال الكثير من مؤلفاته، الدالة على تبحره في السنة وتمكنه منها ، فمن مؤلفاته في ذلك : كتابه الشهير : "الفرق الإسلامية " [٣] ، ويعد هذا الكتاب عمدة في بابه فبرغم من كونه مفقوداً ، فإن ما وصلنا منه هي بعض من نقولات حصلنا عليها من كتب اقتبست منه ، وقد اعتنى به ابن أبي الدم ببيان أقوال أصحاب المذاهب المخالفة لمذهب أهل السنة والتي عرفت في عصره ، كما أورد أهم الفرق والمذاهب المنحرفة التي ظهرت وبان زيغها كالمعتزلة والمرجئة والزيدية والإمامية والإسماعيلية ، ومما قاله في الإسماعيلية : " هم الذين يعتقدون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق ، وأن الإمامة لا تخرج عنهم ، ولا يجوز أن يكون للناس إمام سواهم ، وأنهم معرضون عن الرذائل والذنوب مطهرون من الدنايا والنقائص ، وهم حجج الله على عباده ، وقاعدة مذهبهم القول بوجوب الإمام المعصوم ، وأنه حجة الله على خلقه ، وأن عصمته واجبة ، وتقليده متعين ، وأن الرأي في الدين والقياس باطل ، وأنه لا يجوز خلو عصر من العصور عن الإمام المعصوم ، فمن أطاعه سلم ، ومن عصاه هلك "[٤].

كما عَرّف فرقة أخرى من الفرق المنحرفة في ذلك الوقت وهي فرقة الزيدية ، حيث قال: " الزيدية هم أصحاب زيد بن علي زين العابدين بن أبي الحسين بن علي بن أبي طالب، تتلمذ زيد على يد واصل بن عطاء رئيس المعتزلة ، فأصبح زيد وجميع أصحابه معتزلة في المذهب والاعتقاد ، وأصحاب زيد بن علي وأتباعه كانوا يزعمون أن ﷺ نص على أن علي بن

---

(١) انظر الفصل الخامس من البحث.

(٢) أبو الفداء : المختصر ، 210/3 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، 213/5.

(٣) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، 213/5 ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ، 1255/2 ؛ رضا كحالة : معجم المؤلفين ، 53/1.

(٤) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 206/3 ؛ ن ، م ، س ،2235.

أبي طالب بالوصف دون تسمية ، وأن الناس كفروا بتنصيب أبي بكر رضي الله عنه إماماً ، وهم بذلك خالفوا إمامهم زيد بن علي "[١].

كما تحدث ابن أبي الدم عن عقيدة المعتزلة ، وبين زيف وضلال اعتقادهم فقال عنهم: " المعتزلة الذين يقولون بأن إرادة الرب تعالى ليست قائمة بذاته ، ولا هو مريد لإراداته، ولا إرادته حادثة في محل ، بل إذا أطلق عليه أنه مريد لأفعاله ، فالمراد أنه خالق لها على وفق علمه ، وإذا قيل إنه مريد لأفعال العباد فالمراد أنه راضٍ بها ، آمر بها "[٢].

كما تصدى لمحاربة المذاهب المنحرفة وبيان ضلالها ، والدفاع عن العقيدة الصحيحة، والتمكين للمذهب السني ، والعمل على نشره من خلال الرد على كل مخالف للسنة وبيان زيف معتقده ، وهو الشيخ العلامة سيف الدين الآمدي ، الذي طوع عقله ونذر قلمه في التأليف في الفقه والعقيدة والمنطق والكلام والحكمة ، فمن كتبه التي ألفها للدفاع عن العقيدة والتصدي للمذاهب الهدامة كتابه " الطريقة " ، وهو كتاب يتناول مواضيع شتى في علم الخلاف والكلام ، كما ألف عدة كتب أخرى تزيد عن عشرين مصنفاً للدفاع عن العقيدة الصحيحة ومحاربة المذاهب الضالة والعقائد المنحرفة من أهمها كتاب " الذريعة في معرفة الشريعة" ، وكتاب " التيسير في الخلاف " ، وكتاب " منتهى السول في علم الأصول "[٣].

المبحث الثاني : دور العلماء في تنشيط الحياة العلمية .

---

(١) ن . م . س ، 2235.

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 232/2.

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 293/3 ؛ النعيمي : الدارس ، 304/1.

اشتهرت حماة بعدد كبير من العلماء الذين أسهموا في تنشيط الحياة العلمية بها ، وإنماء الإنتاج العلمي الإسلامي في العصر الأيوبي ، وقد ذاع صيت العديد من هؤلاء العلماء، فكان منهم القضاة والفقهاء والعلماء والمدرسون والأدباء والأطباء ، ومنهم من تصدى للإفتاء ، ومنهم من ناظر وأجاز وأفاد ، ومنهم من توجه للتأليف والتصنيف.

وقد عمل الجميع على محاربة المذاهب الضالة والأفكار المنحرفة ، ونشر العلم الشرعي الصحيح ، فقد اجتهد علماء حماة على تنشيط الحياة العلمية بها متخذين عدة طرق وسبل في سبيل دعم الحياة العلمية وتنشيطها ، فمن هذه الطرق : التسابق إلى بناء المدارس التي تعمل على نشر العلم واحتضان المدرسين واستقطاب الطلبة ، فكثيراً من العلماء سواء من أهل حماة أو القادمين إليها واستقروا بها قاموا بإنشاء المدارس العلمية كل حسب إمكانياته وقدراته وتوجهاته ، فهناك مدارس أقامها العلماء لدراسة مذهب واحد وأخرى أكثر من مذهب ، وهناك مدارس تعهد حكام حماة ببنائها لأصحابها من العلماء وأوقفوا عليها ما يضمن الصرف عليها واستمرارها ، وأخرى بناها العلماء أو الأسر العلمية وأوقف عليها الأوقاف الجليلة الكفيلة ببقائها فترة أطول ، وأخرى كانت صغيرة ولا أوقاف لها[1].

كما تمثلت جهود علماء حماة في تنشيط الحياة العلمية من خلال تأسيس المكتبات وتزويدها بالكتب العلمية القيمة ، وكثيراً ما زودت المكتبة بفهرسة للكتب ليسهل الحصول عليها ، وقد اتخذ أصحابها كافة وسائل السلامة الكفيلة بالحفاظ على المكتبة ومقتنياتها من الكتب ، فعملوا على العناية بالكتاب والمحافظة على شكله الخارجي والداخلي ، بالتجليد والصيانة[2].

كما أفاد علماء حماة الحياة العلمية بعلمهم الغزير من خلال إجازة طلاب العلم ، فلا يكاد طالب علم يذكر في ذلك العصر لم يتوجه إلى حماة ليحصل على إجازة علمية من أحد علمائها أو قضاتها[3].

---

(١) انظر الفصل الرابع من هذه الرسالة مبحث المدارس.

(٢) انظر الفصل الثالث من هذه الرسالة مبحث المكتبات.

(٣) انظر الفصل الرابع من هذه الرسالة مبحث نظم التعليم.

كما رحل علماء حماة طلباً للعلم ومن ثم عادوا إلى حماة متسلحين به فجلسوا للقضاء والإفتاء والتدريس والإجازة ، فتحدثنا المصادر التاريخية عن الإجازات العلمية التي منحها شيوخ حماة لتلامذتهم ، فقد كان العلماء والمتعلمون يتبارون في الرحلة لطلب العلم ، وفي عدد الإجازات التي حصلوا عليها ، وأسماء مجيزيهم ، ولكل علم وفن بل لكل كتاب إجازة.

فقد كان الإمام شمس الدين ابن البارزي محباً للعلم ونشره، محسناً إلى الطلبة ، يقصده طلاب العلم من كل مكان ، فقد انتهت إليه مشيخة المذهب الشافعي في بلاد الشام في ذلك الوقت[١]. وممن ساهم في إذكاء الحياة العلمية في حماة بالنشاط الشيخ سعد الدين بن غنائم بن علي بن قانت الحموي المقرئ الضرير (ت 614هـ/1217م) ، كان رجلاً فاضلاً ، عارفاً بعلوم القرآن واللغة والنحو تميز ومهر في علم اللغة على وجه الخصوص ، وأجاز فيها الكثير من العلماء ، كما تصدر لإقراء القرآن الكريم في حماة والإجازة فيه ، وقد استفاد من علمه الكثير من علماء عصره ، منهم ابن العديم [٢]. ومن علماء حماة الذين أسهموا في تنشيط الحياة العلمية بها من خلال مكانتهم العلمية وتصديهم للإجازة والتعليم الصاحب [٣] شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن بن محمد الأنصاري الأوسي (ت 662هـ/1263م) ، تصدى للتدريس في حماة ، وحلب ودمشق وبعلبك وغيرها ، وتوافد عليه الطلاب من كل مكان ، وعرف في حماة بـ(شيخ الشيوخ) ، وكانت معظم دروسه في الحديث ، وقد تتلمذ على يديه الكثير من الطلاب ، الذين أصبحوا فيما بعد علماء يشد لهم الرحال أمثال الحافظ الدمياطي[٤] ، واليونيني[٥] ، وقد أصبح الأول محدث مصر ، والثاني محدث الشام[٦].

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية ، 298/2 ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، 119/3.

(٢) ابن العديم : بغية الطلب ، 436/9.

(٣) الصاحب : لقب يطلق على من يتولى الوزارة من المدنيين في العصر الأيوبي والمملوكي . حسن باشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ والآثار ، ص367.

(٤) هو عبد المؤمن بن خلف الدمياطي (ت 705هـ/1306م) ، حافظ الحديث ، من أكابر الشافعية ، له عدة مصنفات . ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، 12/6 ؛ الزركلي : الأعلام ، 169/4.

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله اليونيني (ت 658هـ/1260م) ، من حفاظ الحديث ، وهو والد المؤرخ المعروف موسى اليونيني صاحب كتاب مرآة الزمان . ابن كثير : البداية والنهاية ، 227/13 ؛ الزركلي : الأعلام ، 322/5.

(٦) ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، 65/5 ؛ شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات ، الشام ، ص281.

كما كان لاتحاد حكام حماة مع العلماء وتودد كل منهما للآخر أن أثر ذلك بالإيجاب على تنشيط الحياة العلمية بها ، فقد قرب المظفر الثاني ملك حماة الشيخ شرف الدين عبد العزيز الأوسي(ت662هـ/1263م) ، واتخذه من بطانته ، وعينه مستشاراً له ووزيراً في دولته[١].

كما كان للعالم الجليل زكي الدين محمد بن يوسف البرزالي دور بارز في تنشيط الحياة العلمية بحماة ، فمكانة البرزالي العلمية وجلوسه لطلب العلم شجع العلماء وطلاب العلم على شد الرحال إليه[٢] ، للاستفادة من علمه وفقهه ، فقد عرف عن الشيخ غزارة العلم ، وشد الرحال لطلبه ، فقد جال الآفاق طلباً للعلم ، واستوطن حماة حتى توفي بها عام (636هـ/1238م) ، كان ضليعاً في علم الحديث ، قصده طلاب العلم من كل مكان من العالم الإسلامي ممن يريدون التزود من علمه الواسع ، وتخرج على يديه جماعة من العلماء الأجلاء الذين حملوا راية العلم من بعده[٣].

ومما ساعد على تنشيط الحياة العلمية في حماة أن الحمويين كانوا يحرصون على ميراث العلم كما يحرص غيرهم على توريث الصناعات والتجارة وغيرها لأولادهم ، ولأجل ذلك ظهرت الأسر العلمية في حماة، وعمل أبناؤها على تنشيط الحياة العلمية بها ، فقد وجدت بيوتات حموية توارث أبناؤها العلم جيلاً بعد جيل ، وأظهروا اهتماماً بالغاً بالعلم والعناية به ، والتشجيع عليه سواء عن طريق بناء المدارس أو تأليف الكتب أو الإجازات العلمية ، أو خدمة حماة بتولي مهمة القضاء أو السفارات ، أو غيرها من مهام أخرى ، ومن أهم هذه البيوت :

بيت بني القرناص :

تعود أصول هذا البيت العريق إلى قبيلة خزاعة العربية ، والذين سكنوا حماة وكانت لهم فيها العزة الوافرة ، والمنزلة المحمودة عند ملوكها وأهلها ، وقد توارث بنو القرناص العلم والفضل جيلاً بعد جيل ، ونبغ منهم علماء كانت لهم اليد الطولى في تنشيط الحياة العلمية بحماة ، فمن علماء هذا البيت العريق في العلم : أبو بكر شرف الدين عبد العزيز بن عبد الرحمن بن

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، 212/6 ؛ المقريزي : السلوك ،523/1 ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، 65/5 ؛ شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات ، ص280.

(٢) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص168 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 126/6.

(٣) الذهبي : العبر ، 228/3 ؛ ابن الجزري : جواهر السلوك ، 240/2.

أحمد بن هبة الله الحموي الشافعي (ت 654هـ/1256م) ، من نبلاء حماة ، وأعيان علمائها ، كان ذا رئاسة وحشمة ، متبحراً في العلوم خاصة الفقه والأدب ، كما عرف عنه نظم الشعر في مدح النبي ﷺ(١). ومن علماء هذا البيت أيضاً مفتي حماة أبو العرب مخلص الدين إسماعيل بن عمر بن قرناص ، كان عالماً بالفقه ، جلس للإفتاء بجامع حماة فترة من الزمن، كما قام بتدريس الفقه واللغة في عدد من مراكز العلم منها جامع حماة ومدرسة مخلص الدين بن قرناص، ومدرسة الشيخ تقي الدين البققي (٢). ومنهم: أبو الفضل إسماعيل بن إبراهيم بن قرناص ، عرف واشتهر باسم : الزين ، كان من أعيان حماة وملاكها البارزين ، فقد كانت له مزارع كثيرة وعقارات عديدة ، ساهم بأملاكه في تشجيع الحياة العلمية بحماة ، فبنى مدرسة جليلة عرفت بالمدرسة (القرناصية) نسبة إلى بيتهم الشهير بالعلم والخير (٣). ومن فضلاء هذا البيت الشيخ أحمد بن هبة الله بن علي بن الحسين بن قرناص ، كان محباً للعلم شغوفاً في طلبه، فرحل إلى طلبه ، فدخل حلب وبغداد ثم عاد إلى حماة ، فانتفع بعلمه العديد من محبي العلم وطلبته ، خاصة علم الأدب والشعر والذي برع فيه ونبغ (٤). كما برز من هذا البيت العالم ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قرناص (ت 662هـ/1263م) ، اشتهر بين أقرانه بالعلم والفضل والأدب ونظم القوافي (٥).كما اشتهر من هذا البيت مخلص الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن قرناص (ت 671هـ/1272م) ، كان أشهر وأشعر علماء بني قرناص ، له ديوان شعر مشهور ، كما كان يجيد النثر والترسل(٦). ولقد استمر توارث العلم بين بني قرناص جيلاً بعد جيل ، واشتهر منهم علماء خدموا حماة ، وامتد نشاطهم العلمي لأبعد من فترة البحث(٧) ، وهذا يدل على تمكنهم من العلم وحبهم فيه فيه والعمل على توارثه بين أبناء البيت القرنصي.

---

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، 19/1 ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، 265/5.

(٢) ابن العديم : بغية الطلب ، 172/4 ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، 413/2-414.

(٣) ابن العديم : بغية الطلب ، 160/4-161 ؛ اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، 127/2.

(٤) ابن العديم : بغية الطلب ، 120/3-124.

(٥) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 192/1-193.

(٦) المصدر السابق ، 133/6.

(٧) ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، 122/1-123 ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ، 767/1 ؛ الزركلي : الأعلام، 63/1.

بيت المغيزل :

هو أحد بيوت حماة المشهورة بالعلم، ومن أشهر علمائه : أبو العباس تاج الدين أحمد بن محمد بن محمد بن المغيزل الحموي الشافعي (ت 687هـ/1288م)، رحل إلى بغداد لطلب العلم ثم عاد إلى حماة ، فجلس للإفتاء والتدريس، تزهد في آخر عمره ، فترك ما بيده من مناصب لأولاده وتفرغ للعبادة [١]. ومنهم أبو السماح شرف الدين عبد الكريم بن محمد بن محمد بن المغيزل (ت697هـ/1297م) ، تنقل في بلاد الشام وبغداد ومصر طلباً للعلم وعاد إلى حماة ، وتولى وكالة بيت المال بها [٢]. ومنهم مفتي حماة الشيخ أبو محمد بدر الدين عبد اللطيف بن محمد (ت690هـ/1291م) ، تعلم في عدد من مراكز العلم ببلاد الشام كحلب ودمشق وبغداد ومصر ، بعدها إلى حماة فجلس للتدريس بالعديد من مدارسها ، كما تولى الخطابة بالجامع الأعلى بها[٣]. ومنهم نجم الدين أبو محمد عبد الغفار (ت 688هـ/1289م)، كان من المقربين لدى المنصور الثاني ، وتولى كتابة الدرج والإنشاء [٤] بحماة[٥]. أما عبد الله أحمد بن محمد بن محمد (ت699هـ/1299م) فقد تولى الخطابة بالجامع الأسفل[٦]. كما كان نور الدين علي بن عبد الرحمن، سبط شيخ الشيوخ شرف الدين الأنصاري (ت701هـ/1301م) من المقربين للملك المنصور الثاني وابنه المظفر ، تولى وظيفة كاتب الدرج، وصار مقدماً لديوان الإنشاء [٧].أما مجير الدين بن عبد الكريم بن محمد بن محمد بن نصر الله (ت703هـ/ 1303م)، فقد تولى نظارة الديوان بحماة [٨]. وأما شمس الدين عمر بن عبد اللطيف بن محمد بن نصر الله (ت704هـ/ 1304م) ، اشتغل بالأدب ، والنظم[٩].

---

(١) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 123/8 ؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ، 119/1.

(٢) الذهبي : العبر ، 390/3 ؛ العيني : عقد الجمان ، 148/28 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، 438/5.

(٣) ابن حبيب : تذكرة النبيه ، 148/1 ؛ المقريزي : السلوك ، 232/2.

(٤) كتابة الإنشاء : كل ما يرجع من صناعة الكتابة إلى تأليف الكلام وترتيب المعاني من المكاتبات والولايات والمسامحات والإطلاقات ومناشير الإقطاعات والهدن والأمانات والأيمان ونحوها. صبح الأعشى ، 84/1.

(٥) ابن حبيب : تذكرة النبيه ، 125/1 ؛ المقريزي : السلوك ، 213/2.

(٦) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 124/8.

(٧) ابن حجر : الدرر الكامنة ، 433/2 ؛ صادق جودة : المدارس العصرونية ، ص184.

(٨) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، 321/2.

(٩) ابن حجر : الدرر الكامنة ، 249/3.

بيت البارزي :

يعود نسب البيت البارزي إلى قبيلة جهينة العربية ، توارث أبناء هذا البيت القضاء في حماة ، وكان منهم علماء في الشريعة وعلوم اللغة ، وممن اشتهر منهم : شمس الدين إبراهيم بن المسلم بن هبة الله البارزي (ت669هـ/ 1270م) ، كان أحد الأئمة الأعلام في حماة ، برع في الفقه على المذهب الشافعي ، وعين معيداً بالمدرسة الرواحية بدمشق ، ثم انتقل للتدريس بمعرة النعمان والتي كانت تابعة لحماة ، وفي سنة (652هـ/1254م) أُستدعي لحماة لتولي القضاء بها ، فباشر القضاء وكان موفقاً به ، له العديد من المصنفات العلمية ، كان ديناً ورعاً يحب الشعر وينظم فيه الدواوين[١] ، وخلفه في منصب القضاء ابنه نجم الدين أبو محمد عبد الرحيم ، كان فقيهاً أصولياً ، عالماً بالجبر وعلم الكلام والحكمة والعقليات ، إضافة إلى نظمه الشعر ، تولى قضاء حماة واستمر قاضياً لها مدة طويلة حتى عزل قبيل وفاته عام (683هـ/1284م) ، وكان ورعاً تقياً ، رفض أن يتقاضى راتباً عن عمله بالقضاء ، ترك العديد من المصنفات المفيدة، توفي وهو في طريقه لأداء فريضة الحج، حيث وافته المنية بالقرب من تبوك ، فنقل جثمانه إلى المدينة المنورة ، ودفن بمقبرة البقيع [٢] . وتولى القضاء بحماة من بعده ابنه الشيخ العلامة أبو محمد هبة الله (ت738هـ/1327م) ، كان عالماً بالفقه ، والحديث ، والقراءات ، وغيرها من العلوم ، ألف ما يزيد عن ثلاثين كتاباً في العديد من العلوم والفنون [٣]. ومن علماء هذه الأسرة فخر الدين عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم ، ولد بحماة وتعلم بمدارسها ، وعلى أيدي علمائها ، فكان ذو علم غزير ، له شروحات على كتاب الحاوي ، كما ألف العديد من الكتب العلمية ، تولى القضاء والخطابة بها ، وفي سنة (722هـ/1326م) انتقل إلى حلب ، حيث تولى القضاء بها ، وتوفي بعد ذلك بثلاث سنوات[٤].

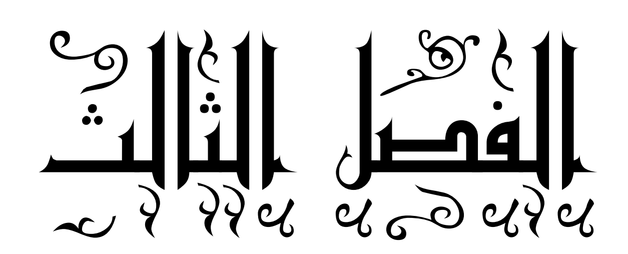
---

(١) النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس ، 202/1 ؛ ابن العماد :شذرات الذهب ، 328/5.

(٢) ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، 53/5 ؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان ، 218/4 ؛ الأسنوي : طبقات الشافعية ، 135/1.

(٣) المصدر السابق ، 135/1 ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ، 345/1 ؛ شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات ، الشام ، ص 96.

(٤) الأسنوي : طبقات الشافعية ، 269/2 ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ، 63/3 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، 94/3.



مظاهر الاهتمام بالنشاط العلمي .

المبحث الأول : اهتمام سلاطين حماة بالحياة العلمية .

المبحث الثاني : اهتمام الوزراء والأعيان في حماة بالحياة العلمية .

المبحث الثالث : الوراقة والوراقون ودورهم في تنشيط الحياة العلمية في حماة .

المبحث الرابع : خزائن الكتب في حماة .

المبحث الخامس : العلاقات العلمية بين حماة والمراكز العلمية الأخرى :

أولاً : العلاقات العلمية بين حماة ومدن الشام .

ثانياً : العلاقات العلمية بين حماة والمراكز العلمية في العالم الإسلامي .

المبحث الأول : اهتمام سلاطين حماة بالحياة العلمية .

إن الازدهار العلمي الذي شهدته حماة في عهد الدولة الأيوبية لم يكن إلا امتداداً للعصور الإسلامية السابقة ، ومن المعلوم بأن الحياة العلمية والفكرية ما هي إلا سلسلة متصلة الحلقات ، وكل حلقة تعتمد على الحلقة التي قبلها وتؤسس للتي تأتي بعدها.

فقد سبق العهد الأيوبي في بلاد الشام وجود الدولة الأتابكية الزنكية التي أولت العلم اهتماماً كبيراً ، كما لقي العلماء في بلاد سلاطينها التشريف والإجلال والرعاية ، فالسلطان نور الدين محمود بن زنكي يعد نموذجاً فريداً لسلاطين الدولة الإسلامية ، والذي رعى العلم وأهله ، وهو قدوة يحتذى به في ذلك[١]. قال عنه العماد الأصفهاني : " هو الذي أعاد رونق الإسلام في بلاد الشام ، وأشاع بها شعار الشرع ، وأحيي معالم الدين الدوارس ، وبنى للأئمة المدارس... "[٢] ، فكانت بلاد الشام قبله خالية من العلم وأهله ، وفي زمنه صارت موئل العلماء والفقهاء [٣]. وقد حرص نور الدين زنكي على طلب العلم ، فصار عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة ، وسمع الحديث وأسمعه ، كما كان صاحب خط حسن ، كثير القراءة في كتب العلم وبخاصة الشرعية منها ، كانت مجالسه تغص بالعلماء والفقهاء ، وتقام فيها المناظرات العلمية ، ألف نور الدين كتاباً أسماه : " الفخر النوري " ، فيه أحاديث العدل والجهاد ، والمواعظ ، له في حماة الكثير من المراكز العلمية ، فبالإضافة إلى مسجده الكبير ، المسجد النوري ، بنى بحماة مدرستين كبيرتين ، لتدريس العلوم الشرعية ، خاصة الفقه وعلومه ، كما بنى بيمارستان ، على ضفاف نهر العاص ، ألحق به مكتبة عامة ، خدمة لتوفير المعلومة لطلبة الطب والأطباء[٤].

---

(١) يقول ابن الأثير : " طالعت تواريخ الملوك المتقدمين قبل الإسلام وفيه إلى يومنا هذا ، فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين ، وعمر بن عبد العزيز ، ملكاً أحسن سيرة من الملك العادل نور الدين ، ولا أكثر تحرياً للعدل منه ". التاريخ الباهر ، ص163.

(٢) الأصفهاني : سنا البرق الشامي ، ص55.

(٣) الذهبي : الأمصار ذوات الآثار ، ص160.

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، 125/9 ؛ أبو شامة : الروضتين ،14/1 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، 297/6. وسيأتي بالتفصيل في الفصل الرابع جهود نور الدين زنكي في بناء المراكز العلمية بحماة.

وقد تابع صلاح الدين الأيوبي جهود سلفه نور الدين محمود في الجهاد ، والاهتمام بالعلم والعلماء ، فرغم انشغاله بالجهاد وتأمين الجبهة الإسلامية ، وتوحيدها في مواجهة الخطر الصليبي ، إلا أن ذلك لم يصرفه عن تقريب العلماء والأخذ منهم ، فقد عرف عنه حبه لسماع الحديث النبوي ، والحرص على طلبه ، فقد ذكر ابن واصل أنه كان : " يؤثر سماع الحديث بالأسانيد "[١] ، بل وحرص على أن يسمعه أولاده ومماليكه فيذكر ابن شداد أنه : " كان شديد الرغبة في سماع الحديث ، وإذا بلغه عن شيخ راية عاليه وكان ممن لا يحضر عنده استحضه وسمع عليه ، وأسمع أولاده ومماليكه وأمرهم بالعقود عند سماعه إجلالا له ، وإن لم يكن يحضر عنده ولا يطرق أبواب الملوك سعى إليه وسمع منه وروى عنه وتردد إليه "[٢].

وقد نهج ولاته على المدن والأقاليم الإسلامية نفس النهج ، ورغم أن حماة لهم يكن لها ذكر كبير من الناحية العلمية قبل حكم الأسرة التقوية لها ، إذا قورنت بجاراتها حمص وحلب ودمشق ، إلا أن كل ذلك تغير بعد اعتلاء المظفر الأول تقي الدين عمر وأبناءه من بعده العرش في حماة ، فقد عمل حكام الأسرة التقوية على رفعت شأنها والرقي بها إلى مصاف المدن التي يطلق عليها اسم " العواصم " ، إذ اهتموا بشؤونها العلمية والاقتصادية والعمرانية ، وأغدقوا على كل من يقصدها من العلماء والأدباء والصناع وغيرهم[٣].

ويعد اهتمام سلاطين وأمراء وأعيان حماة وتشجيعهم العلم والعلماء أحد أهم عوامل ازدهار الحركة العلمية فيها فترة الدراسة.

فلم يكن ذلك الاهتمام مستغرباً من ملوك وأمراء حماة الذين كانوا على درجة كبيرة وعالية من الثقافة[٤] ، بالإضافة إلى شغفهم بالعلم والأدب ، فقد كان ملوك الأسرة التقوية بلا استثناء لهم اهتماماتهم العلمية البارزة التي حفظها لنا التاريخ وذلك لعظمة أفعالهم ، وطيب خصالهم ، واهتمامهم البالغ بالعلم وأهله [٥]. بداية من مؤسس الأسرة التقوية بحماة المظفر الأول تقي الدين عمر ، والذي كان أديباً فاضلاً عالماً محدثاً ، سمع الحديث من الحافظ

---

(١) مفرج الكروب ، 438/2.

(٢) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص51.

(٣) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، دولة المماليك الأولى ، ص196-197.

(٤) شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات بالشام ، ص67.

(٥) ابن حجة الحموي : ثمرات الأوراق ، ص121.

السلفي[١] ، وأبي طاهر بن عوف [٢] وغيرهما ، وله نظم حسن ، وقد مدحه الشعراء بإبداعه للقصائد ، كان كثير الإحسان للعلماء ، محباً لمجالستهم ومناظرتهم ، فاجتمع حوله عدد كبير منهم ، ونالوا التقدير والثناء والرفعة في بلاطه وفي مملكته [٣] ، ومن أشهر العلماء الذين برزوا في عهد المظفر الأول ونالوا الرعاية منه والاهتمام بعلمه ؛ عالم اللغة أبو اليمن الكندي (ت614هـ/1217م) ، الذي كان معجباً بأشعار المظفر الأول ، إذ جمع منها ما يقارب مائتي بيت رتبها على حروف المعجم ، وقال عنها : " جمعت من شعر المولى تقي الدين عمر ما عذب لفظه ، وراق معناه ، وأخذ من الجزالة ، بطرف ، وتمسك من الرقة بأهداب..." [٤] ، وقد فسر أبو اليمن الكندي عذوبة شعر المظفر الأول إلى مجالسته للشعراء والأدباء ، ومناظرته لهم[٥]. كما اعتنى العماد الأصفهاني عناية كبيرة بما كان ينظمه للمظفر الأول من قصائد ، وأثنى عليه ثناءً عطراً ، واختار عدداً ، من تلك القصائد ورتبها على حسب حروف المعجم ، كما كان المظفر الأول معجباً بقصائد العماد الأصفهاني ، ويجيزه عليها جوائز كبيرة[٦].

ومن اهتمامات المظفر بالعلم والعمل على نشره ، بناؤه الكثير من المدارس في حماة وغيرها من المدن الإسلامية كالرها والقاهرة والفيوم ، وإيقافه الأوقاف الجليلة للصرف عليها[٧].

عليها[٧].

---

(١) هو الحافظ أبو الطاهر محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سلفه الأصبهاني (ت 576هـ/1180م) ، أحد الحفاظ الرحالة ، دخل الإسكندرية ، قادماً من بلاد الشام ، وأقام بالثغر حتى قصده الناس من الأماكن البعيدة وسمعوا عليه، وقام وزير الخليفة الفاطمي العادل ابن السلار ببناء مدرسة له بالثغر . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 107/1 ؛ اليافعي : مرآة الجنان ، 316/1 ؛ الذهبي : تذكرة الحفاظ : ص1268.

(٢) هو أبو الطاهر بن عوف إسماعيل بن مكي بن إسماعيل بن عيسى بن عوف الزهري الإسكندراني المالكي (ت581هـ/1185م) ، برع في المذهب المالكي ، وتخرج به عدد من العلماء ، قصده السلطان صلاح الدين وسمع منه " الموطأ . الذهبي : العبر في خبر من غبر ، 242/4 ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، 315/4.

(٣) اليافعي : مرآة الجنان ، 433/3 ؛ الصابوني : تاريخ حماة ، ص119.

(٤) الأصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر ، 82/1.

(٥) المصدر السابق ،164/1-165 ؛ ن . م . س ، 83/1-84.

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ، 78/4 ؛ ابن نظيف الحموي : التاريخ المنصوري ، ص90 ؛ ن . م . س ، 84/1.

(٧) انظر الفصل الرابع ، مبحث المدارس.

وبعد وفاة المظفر الأول حكم حماة بعده ابنه الملك المنصور الأول محمد ، الذي سار على خطى والده في تقريب العلماء والاهتمام والرعاية بالعلم وأهله ، كما كان حريصاً على أن تضم حماة أعظم العلماء وأبرزهم في شتى فروع العلم [(١)] ، كان بلاطه عامراً بالعلماء واجتمع فيه ما يزيد عن مائتي عالم من علماء الشرع والفقه والحديث والقراءة والفقهاء وأهل اللغة والنحو والأدب والمشتغلين بالعلوم الحكمية والمهندسين والمنجمين والشعراء والكتاب والفلاسفة، ومن أشهر من تصدر مجلس السلطان المنصور الأول من العلماء عالم عصره وفريد دهره العالم سيف الدين علي بن أبي على الآمدي ، والذي عرف عنه طول باعه في المنطق والفلسفة، خرج من مصر ونزل حماة في رعاية سلطانها المنصور الأول ، الذي قربه من مجلسه[(٢)]. فقد عرف عن المنصور الأول حبه للعلم والعلماء ، كان يغدق عليهم بسخاء بالغ ، وقد كان اهتمامه بالعلم نابعاً من كونه عالماً في علوم كثيرة منها علم السير والتواريخ ، وعلم الكلام ، وله العديد من المصنفات في التاريخ والأدب والشعر ، فمن مؤلفاته في التاريخ كتاب: " مضمار الحقائق وسر الخلائق " ، وهو كتاب مؤلف من عدة أجزاء مرتب على السنين[(٣)].

وقد أشاد عدد من المؤرخين والمؤلفين بهذا الكتاب ، وفي هذا دلالة واضحة على غزارة علم المنصور الأول وحسن مصنفاته ، وللمنصور كتاب آخر في تراجم الشعراء والموسوم بـ : " طبقات الشعراء " ، أو ما يعرف بـ " أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء والمتقدمين من الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين والمحدثين ، وذكر لمختصر أخبارهم ومختار أشعارهم ومن تلاهم من الشعراء إلى هذا الزمان والأوان " [(٤)] ، ويذكر أبو الفداء وغيره من المؤرخين أن هذا الكتاب يحوي تراجم شعراء لو لم يرد ذكرهم في هذا الكتاب لكان لم يكن لهم ذكراً أبداً [(٥)] ، ولما كان المنصور مولعاً بالشعر محباً لنظم أبياته ، فقد جمعت أشعاره في "

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، 68/4 ، 77.

(٢) أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص124 ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 193/13- 195.

(٣) حاجي خليفة : كشف الظنون ، 1712/2-1713.

(٤) توجد منه نسختين ميكروفيلم بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، برقم :32 ، ورقم : 1120 ، تاريخ وتراجم ، مصورة عن نسخة مكتبة لوجانو باتافا بالنمسا برقم : 639 ، وعدد أوراق النسخة 290 ورقة . وقد تم نسخها عام 602هـ.

(٥) أبو الفداء : المختصر ، 1102/3 ؛ ابن حجة الحموي : ثمرات الأوراق ، ص 123؛ الصفدي : الوافي بالوافيات : 259/4 ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء : 147/22.

ديوان "[١] ، من باب اهتمامه بالكتاب أسس مكتبة عامرة داخل قلعة حماة ، جمع فيها الكثير من الكتب القيمة ، وكان شديد العناية بها حريصاً على مطالعة ما تتضمنه من كتب ومراجعتها ، وكان بها قاعة مخصصة لاجتماع العلماء بها ومناظرتهم في كافة فروع العلم والمعرفة، مستعينين بما فيها من كتب[٢].

وقد التحق بخدمة الملك المنصور محمد العالم الجليل بهاء الدين أسعد بن يحيى السنجاري ، وكان رفيق دربه في حله وترحاله ، كان عالماً فاضلاً محباً للشعر ، له مدائح في المنصور لانتصاره في معاركه على الفرنج سنة (559هـ/1163م)[٣]. ومن علماء المنصور أيضاً الشاعر محمد سالم بن سعادة الحمصي ، كان شاعراً مجيداً ، له أشعار رائقة في مدح الملك المنصور بمناسبة ولادة ابنه في أواخر القرن السادس الهجري (599هـ/1163م)[٤].

ولم ينفض مجلس المنصور الأول من العلماء بموته ، فقد ورث حب العلم عنه ابنه المنصور الثاني (ت617هـ/1220م) ، فقد سمع الحديث من الحافظ السلفي بالإسكندرية ، وجمع من الكتب الشيء الكثير ، في كل فن وعلم ، وقرب العلماء والأدباء والمهندسين والفلكيين ، فكان مجلسه حافلاً بهم[٥].

ومن حكام حماة المحبين للعلم وأهله ؛ الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه ، كان ملكاً شجاعاً مهاباً ، فطناً ذكياً ، محباً للعلم وأهله ، يقدر العلماء ويجلهم ، ويشجعهم على التأليف والابتكار كلٌ في مجاله [٦] ، كما كان كثيراً ما يجتمع بهم ويناظرهم ، اجتمع في بلاطه أشهر العلماء وأكثرهم علماً منهم عالم الفلك والهندسة في زمانه علم الدين قيصر ، تبنى المنصور الثاني أفكاره ، وتكفل بها مالياً لتنفيذها ، فبنى له برجاً بحماة ، وطاحوناً على نهر العاصي ، وكان يزوره دوماً ويقف على تنفيذ مشاريعه ،

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، 81/4 ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، 360/4.

(٢) أبو الفداء : المختصر ، 125/3 ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 147/22.

(٣) العماد الأصبهاني : خريدة القصر وجريدة العصر ، 49/2.

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، ص143.

(٥) المصدر السابق ، 343/5 ؛ ابن نصر الله : شفاء القلوب ، ص406 ؛ أبي الفداء : المختصر : 210/3.

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان : 406/3 ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، 343/5 ؛ ابن حجة الحموي : ثمرات الوراق ، ص123 ؛ ابن نصر الله : شفاء القلوب ، ص406.

ويسأله ويناقشه في مسائل دقيقة في الفلك والهندسة ، مما يدل على ما كان يتمتع به المظفر الثاني من سعة علم وطول باع في هذا المجال.

ومن العلماء البارزين الذين وجدوا العناية والاهتمام من قبل المظفر الثاني ؛ العالم المؤرخ جمال الدين محمد بن سالم بن واصل الحموي (697هـ/ 1297م) ، من علماء حماة ومؤرخيها، كان يعمل مع الشيخ علم الدين قيصر في علم الهندسة والفلك ، وتنفيذ المشاريع الهندسية بحماة والتي كان يشرف عليها المظفر الثاني بنفسه، وقد ساهم ابن واصل في تخطيط وبناء بعض المباني والأسوار في حماة[١].

كما عرف عن صاحب حماة ؛ الملك المؤيد أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين علي بن الملك المظفر تقي الدين عمر (ت 732هـ/1331م) حبه للعلم والعلماء ، كان شهماً فاضلاً ، عالماً بالفقه والطب والحكمة والتاريخ والجغرافيا وعلوم كثيرة غيرها ، وكان محباً لأهل العلم مقرباً لهم ، أذكى بما فطر عليه من العلم والمعرفة بالحياة العلمية في حماة بما خصه الله به من محبة العلماء وطول صحبته لهم ، قيل له : كيف بلغت ما بلغت ، فأجاب : ما استكبرت عن استفادة ولا تأخرت عن إفادة ، فأما عدم استكباره عن استفادة فلعلها تتخلص بتردده على أستاذه وشيخه جمال الدين محمد بن سالم بن واصل قاضي القضاة الشافعي ، إذ يقول : " ترددت عليه بحماة مراراً كثيرة وكنت أعرض عليه ما أحله من أشكال كتاب " أقليدس " وأستفيد منه كثيراً ، وقرأت عليه شرحه لمنظومة ابن الحاجب في العروض وصححت أسماء من له ترجمة في كتاب الأغاني "[٢]. وأما عدم تأخره في إفادة فتظهر جلية في إكرامه لضيوفه من العلماء أمثال العالم الجليل أثير الدين الأبهري صاحب كتاب " ايساغوجي "[٣] ، فقد رتب له أبو الفداء ما يكفيه ، كذلك كان الحال بالنسبة للشاعر الشهير جمال

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، 344/5 ؛ الصابوني : تاريخ حماة ، ص122.

(٢) المختصر في أخبار البشر ، 486/1.

(٣) هو المفضل بن عمر بن المفضل الابهري (اثير الدين) (ت663 هـ /1264 م) ، حكيم، منطقي، فلكي من تصانيفه: "هداية الحكمة"، "تنزيل الأفكار في تعديل الأسرار "، "شرح ايساغوجي" وكلاهما في المنطق، "درايات الافلاك"، و"الزيج الشامل". الصفدي: الوافي، 55/26.

الدين بن نباتة[١]، والعالم الفقيه صفي الدين الحلي[٢]، فقد رتب لكل منهما في السنة ستمائة درهم في السنة غير الهدايا العينية ، وقد شارك أبو الفداء العلماء في مجال التأليف ، فله مؤلفات مفيدة في التاريخ والنحو والصرف والمنطق والفلك ، وغيرها ، كما كان له جامع ومدرسة أوقف عليهما أوقافاً جليلة على طلبة العلم ومحبيه[٣].

وممن وجد الترحيب والحفاوة من قبل السلطان أبي الفداء ؛ الشاعر شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد المصري ، المعروف بابن طرطور ، كان شاعراً مشهوراً بين أبناء عصره ، رحل من مصر إلى حماة في ضيافة صاحبها أبي الفداء ، وقرر الاستقرار بها لما وجده من عناية واهتمام من قبل صاحبها حتى وافته المنية بها[٤].

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن أحمد بن نباته، محدث ، أديب، شاعر، توفي بالقاهرة سنة768هـ. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ، 9 / 371.

(٢) هو عبد العزيز بن سرايا، صفي الدين أبو المحاسن الطائي السنبسي(ت750هـ/- 1349م)، الشيخ الإمام العلامة الشاعر الأديب البليغ، له ديوان شعر مشهور.ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، 2 / 123.

(٣) الصفدي : الوافي بالوفيات ؛ 188/4 ؛ الصابوني : تاريخ حماة ، ص122.

(٤) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، 365/2 ؛ الصابوني : تاريخ حماة ، ص103.

ومما سبق يتضح لنا مقدار ما بذله حكام حماة من جهود عظيمة في حماة من أجل تنشيط الحياة العلمية بها ، وجعلها مركزاً للعلم، يؤمها العلماء من مدن بلاد الشام وغيرها من بلدان العالم الإسلامي.

فكانوا رعاة للعلم والعلماء بتشجيعهم وبذل الأموال لهم وبناء المدارس ليدرسوا بها العلوم الشرعية والأدبية وغيرها ، ووقف الأوقاف الجليلة للصرف عليها ، وإنشاء المكتبات وتزويدها بنفائس الكتب ، وغير ذلك من جهود كبيرة تظهر جلياً في طيات هذا البحث.

المبحث الثاني : اهتمام الوزراء والأعيان في حماة بالحياة العلمية .

لم يقتصر الاهتمام بالعلم والعلماء في حماة على سلاطينها وملوكها فحسب ؛ بل هب أمراؤها ووزراؤها وأعيانها إلى تنشيط الحياة العلمية بها ، وأسهموا إسهامات واسعة في سبيل النهوض بالمستوى العلمي بها ، والسعي لجعلها واحدة من كبريات المدن التي يقصدها الطلاب والباحثون عن العلم.

وقد تمثلت جهودهم في عدة مجالات مختلفة منها : إنشاء دور العلم من مساجد ومدارس ، ووقف الأوقاف التي تقوم بكفايتها ، ورعاية العلماء وإكرامهم ، والمشاركة في الحياة العلمية سواء عن طريق تلقي العلوم ، أو التأليف الذي لم يقتصر على العلماء دون الأعيان والوزراء ، وإقامة المجالس العلمية للمناظرات العلمية والأدبية.

ومن أعيان حماة الذي شاركوا في تنشيط الحياة العلمية بها : الأمير المجاهد شجاع الدين جَلدّكْ ابن عبد الله المظفري (ت628هـ/1231م)[١] ، قام ببناء مدرسة في ظاهر حماة عرفت باسم المدرسة الجلدكية[٢].

كما أسس الأمير الحموي سيف الدين علي بن مشطوب (ت 669هـ/1270م) ، مدرسة بحماة ، وقد كان سيف الدين في خدمة الأمير تقي الدين عمر صاحب حماة ، وقد عرف عن ابن المشطوب كثرة المعروف والإحسان لأهل العلم وطلابه[٣].

كذلك أنشأ الطواشي شجاع الدين المنصوري (ت 669هـ/1270م) مدرسة بحماة عرفت باسمه ، وقد شرع البناء بها سنة (652هـ/1234م)[٤].

ومن أعيان حماة الذين عملوا على إذكاء الحياة العلمية بها أبو الفضل محمد بن علي بن نظيف الحموي (ت637هـ/1239م) ، تولى عدداً من المناصب الرفيعة في الدولة الأيوبية ،

---

(١) أعتقه تقي الدين عمر صاحب حماة ، وأصبح مقدماً في الدولة الأيوبية ، وتولى عدة نيابات منها دمياط والإسكندرية. الصفدي : الوافي بالوفيات ، 175/6.

(٢) ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، 300/1 ؛ سبانو : مملكة حماة الأيوبية ، ص182.

(٣) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 242/2 ؛ أحمد بدوي : الحياة العقلية ، ص73.

(٤) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، 416/2 ؛ الصابوني : تاريخ حماة ، ص 111-112 ؛ كرد علي : خطط الشام ، 124/6 . ولمعرفة المزيد عن المدارس التي أنشأها الوزراء والأمراء والأعيان انظر مبحث المدارس.

منها خدمة وزير صاحب حماة الأمير الاسفهسلار سيف الدين علي بن أبي علي الهذباني ، كان شاعراً أديباً ، محباً للتاريخ ، ألف فيه كتاباً مختصراً أهداه إلى الوزير المذكور[١].

ومن أعيان حماة الذين كان لهم اهتمام بالحياة العلمية الأمير العابد الزاهد صارم الدين أزبك المنصور الحموي (ت736هـ/1335م) ، كان من المعمرين في الإمارة ، ومن ذوي العبادة، والمعروف ، بنى مسجداً وخاناً للسبيل بمعرة النعمان[٢].

---

(١) سبنانو : مملكة حماة الأيوبية ،189.

(٢) أبو الفداء : المختصر ، 42/2.

المبحث الثالث : الوراقة والوراقون ودورهم في تنشيط الحياة العلمية في حماة .

تعني كلمة " وِراقة " : حرفة صناعة الورق ، ونسخ الكتب ، والاتجار بها. و " الورَّاق": هو الذي يمتهن حرفة الوراقة وهو الذي يقوم بنسخ الكتب (١). و " الورَاقة " : حرفة تشمل النسخ والتجليد وبيع الكتب وبيع الورق ، وقد وضح ابن خلدون مكونات مهنة هذه الصناعة بقوله : " إنها معاناة الكتب بالاستنساخ ، والتصحيح ، والتجليد ، وسائر الأمور الكتابية ، والدواوين "(٢). وتعتبر " الوِراقة " أو نسخ الكتب من مصادر التكسب ، واعتبرها السبكي من أجود الصنائع لما فيها من الإعانة على كتابة المصاحف وكتب العلم ووثائق الناس (٣).

ويوجد صنفان من الورَّاقين : الوراقون النسّاخ : وهم الفئة الأكثر شهرة ، والأوسع نشاطاً ، وهم حجر الزاوية في مهنة الوراقة ، وعليهم وقع الحمل الأثقل في المسؤولية التاريخية ، وإليهم يعود الفضل في وصول " المخطوطات العربية – الإسلامية " خالية من الأخطاء ، أو التشويه ، حيث كانوا ملتزمين بمنهج الوراقة المعرفي ، والذي هم أنفسهم من وضع قواعده وأسسه ، ولذلك شغلوا الحيز الأكبر في تراجم الوراقين .

وأما الصنف الثاني فهم : ورّاقو العلماء والأدباء والشعراء : وهذا الصنف أميل للتخصص في النقل وملازمة – أشخاص محددين – والكتابة عنهم ، ونسخ كتبهم ، لذلك خرج منهم ، العلماء والمختصون ، حسب الشيوخ الذين تتلمذوا على أيديهم وورّقوا لهم، وقد برزت عندهم " ملكة النقد " لطول المعاشرة والصحبة مع الأستاذ أو الشيخ (٤). ولم تقتصر أعمال الوراقين على نسخ الكتب فقط ، فقد نجد بعض الوراقين ممن له القدرة على القيام بجميع الأعمال التي تندرج تحت مهنة الوراقة ، أو القيام ببعضها ، فمنهم المؤلف ، والناسخ ، والمجلد ، والتاجر ، والمزوّق ، والمذهّب ، والمصوّر ... إلى غير ذلك (٥).

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، 374/10 ؛ إبراهيم مصطفى : المعجم الوسيط ، 1026/2 ؛ كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق ، ص 8.

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، 334-335

(٣) السبكي : معيد النعم ، ص132.

(٤) أحمد شلبي : تاريخ التربية الإسلامية ، ص139 ؛ حبيب الزيات : خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ، ص 146.

(٥) عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص187.

ولم تكن مهنة الوراقة ميسرة لكل من أراد ، حيث إن لهذه المهنة شروطاً أساسية ، وبخاصة في مجال نسخ الكتب فمن شروط ممارستها : جودة الخط ووضوحه وصحته ، واختيار الورق المناسب للكتابة عليه ، فورق المصاحف غير ورق الكتب وهكذا ، قدرة الوراق على تصحيح الأخطاء وضبط النسخ وتدقيقه في النقل ، ودقته في التزويق والتذهيب ، وبخاصة في كتابة المصاحف ، والأمانة في نقل ما ينسخه دون زيادة أو نقصان ، بمعنى أن لا يحذف شيئاً من الكتاب أثناء نسخه(١) ، وقد حذر السبكي من ذلك بقوله : " ومن النساخ من لا يتقي الله تعالى ويكتب على عجلة ، ويحذف من أثناء الكتاب شيئاً رغبة في إنجازه ، إذا كان قد استؤجر على نسخه جملة ، وهذا خائن لله تعالى في تضريع العلم"(٢).

وأما الأدوات ، التي اعتاد الناسخ استخدامها والتي لا يستطيع الاستغناء عنها سواء كان يعمل ناسخاً في إحدى المكتبات أو لحسابه الخاص فتتمثل هذه الأدوات في المحبرة ، التي يحفظ بها الحبر أو المداد(٣). وكانوا يفضلون الكتابة بالحبر عن المداد(٤) لبقائه(٥).

وكان القلم هو آلة النسخ ، وأجوده الأملس العود المزال العقود ، ذو الفتحة الواسعة ، ليس بالصلب القاصري مما يمنع جريان الحبر أو الرخو فيتسبب في سرعة جريانه (٦) ، أما الأقلام الغليظة أو ذات الخط العريض السميك فكانت تستخدم في كتابة الفصول أو الأبواب أو التراجم لتتميز عن بقية أجزاء الكتاب ، وإن فضل البعض استخدام الحبر الأحمر لنفس

---

(١) أحمد شلبي : تاريخ التربية الإسلامية ، ص139 ، 146.

(٢) معيد النعم ، ص101-102.

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج2 ، ص443 ؛ حمادة : المكتبات في الإسلام ، ص175.

(٤) الحبر : صنفان ، الأول ما يناسب الكاغد (الورق) ، وهو حبر الدخان ، ويتكون من العفص والآس بعد نقعهما ثم غليهما على النار ، ثم يصفى ويضع عليه صمغ عربي ودخان كالح بعد سحقه بسكر النبات والزعف .ران ، أما الصنف الثاني فهو ما يناسب الرق (هو جلد رقيق يكتب عليه) ، لا دخان فيه ، ولذلك يجيء براقاً ، وهو أضر للبصر بسبب بريقه . القلقشندي : صبح الأعشى ، ج2 ، ص476.
أما المداد : به كانت كتابة الأولين من أهل الصنعة ، ويتألف من مواد النفط ، المصبوب عليه الماء والعسل والملح والصمغ والعفص ، ويوضع على نار لينة حتى يصبح كالطين ، ثم يترك في إناء ويرفع إلى وقت الحاجة . القلقشندي: نفسه ، ج2 ، ص475.

(٥) السمعاني : آداب الإملاء ، ج2 ، ص545.

(٦) المصدر السابق ، ج2 ، ص564 ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج2 ، ص444.

الغرض[١] . وكان يصاحب القلم المقلمة [٢] ، والسكين والمقط [٣] والورق ، ذو اللون النقي الصافي[٤]. وكانت كتب العلم والأدب والرسائل تكتب بخط النسخ أو الرقاع[٥].

وقد روعي في عملية النسخ عدة أمور من أهمها : أن ينسخ الناسخ كتاب الله وكتب الشرع والكتب المفيدة عموماً ، ويحذر من نسخ القصص الكاذبة كالأباطيل وكتب المجون والبدع والأهواء ، وأن يكتب بخط واضح يُقرأ [٦]. وتتم عملية نسخ أو كتابة الكتاب باختيار الورق المناسب من حيث الحجم والنوع واللون ، ثم القيام بنسخ الكتاب ، ثم مقابلة الكتاب المنسوخ بالأصل الذي نقل عنه ، ثم قيام بعضهم بتجليد الكتب. ويتم في الغالب بيع الكتب والمؤلفات إلى جانب بيع الأوراق ، والأقلام ، وأنواع الأحبار.

وكان الورق الشامي خاصة المصنوع في حماة يفوق في الشهرة والإتقان الورق المصري ؛ بل قيل إن صناعة الورق في دمشق قد وفدت إليها من حماة ، ولذلك اشتهر وانتشر الورق الحموي في العديد من مراكز العلم في البلدان الإسلامية ، فقد أورد القلقشندي وصفاً دقيقاً لهذا الورق الحموي المشهور والمستعمل في المكاتبات والمراسلات، حيث قال: " وأعلى أجناس الورق فيما رأيناه البغدادي وهو ورق ثخين مع ليونة ورقة حاشية وتناسب أجزاء وقطعه ، وافر جداً ، ولا يكتب فيه في الغالب إلا المصاحف الشريف .ة ، وربما استعمله كُتاب الإنشاء في مكاتبات الملوك ونحوها كما سيأتي بيانه في المكاتبات السلطانية ، ودونه في الرتبة الشامي ، وهو على نوعين نوع يعرف بالحموي ، وهو دون القطع البغدادي ، ودونه في القدر ، وهو المعروف بالشامي ، وقطعه دون القطع الحموي ، ودونهما في الرتبة الورق المصري "[٧].

---

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع ، ص191.

(٢) المقلمة : وعاء توضع به أقلام الكتابة . انظر : الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، ج4 ، ص168 ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، ج2 ، ص465.

(٣) المقط : بكسر الميم ، هو ما يقطع به رأس القلم . الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، ج2 ، ص394 ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج2 ، ص468.

(٤) السمعاني : آداب الإملاء ، ج2 ، ص574.

(٥) أحمد الاسكندري ، مصطفى عناني : الوسيط في الأدب العربي وتاريخه ، ص292.

(٦) ابن الحاج : المدخل ، ج4 ، ص299 ؛ ابن جماعة : تذكرة السامع ، ص179.

(٧) القلقشندي : صبح الاعشى ، 516/2.

وهكذا أضحت حماة فترة الدراسة بفضل صناعها المهرة من الوراقين من المراكز المشار لها بالبنان في نسخ الكتب وتجليدها وبيعها . وكانت أسواقها تحتوي على العديد من الحوانيت المخصصة لبيع الكتب ونسخها[١].

كما حظيت تجارة الكتب فيها باهتمام العديد من طبقات المجتمع وفي مقدمتهم العلماء والأدباء والأطباء وانصرف الكثير منهم إلى امتهانها رغبة في الاستفادة من مضمونها والتكسب منها[٢].

ومعروف أنه حيثما ازدهرت صناعة وإنتاج الورق تنشأ وتزدهر محلات الكتب وتجليدها والعناية بها وبيعها . ومما يدل على ثراء وازدهار أسواق الكتب في حماة عدد المكتبات وخزائن الكتب الملحقة بالجوامع والمدارس ودور الحديث ، وقد أسهمت حوانيت الوراقين في إثراء الحياة العلمية في حماة حيث إنها لم تكن مجرد أماكن لبيع الكتب ، بل كان كثير من أصحابها يتمتعون بمعرفة واسعة ، وعلم غزير وثقافة عالية.

وهناك العديد من العوامل التي أدت إلى انتشار الوراقة والوراقين بمدينة حماة ، منها : تشجيع حكام حماة للعلم والعلماء وطلاب العلم ؛ مما أدى إلى تزايد النشاط العلمي في مختلف فنون المعرفة . وما صاحب ذلك من انتشار المدارس وتزايد عدد الراغبين في التعليم فكان لزاماً من توفر الكتب الدراسية ، كما كثرت المؤلفات في مختلف العلوم ، فراجت صنعة الوراقة والنسخ في حماة وامتهنها ثلة من العلماء ، منهم على سبيل المثال : كان الشيخ الفقيه العالم الأديب أبو اليمن الكندي (ت 614هـ/1217م) يكتب خطاً حسناً [٣].كذلك عرف عن الخضر بن التونتاش بن أسن بن بكلار ، أبو البركات الخاقاني الأمير (ت649هـ/1251م) ، أنه كان يكتب خطاً حسناً[٤]. أما الشيخ الجليل موسى بن علي بن بصيص المجود الكاتب (ت716هـ/ 1316م) ، شيخ الكتابة في زمانه ، فقد ساهم في علو كعب حماة في الوراقة ، كان بارعاً في الخط ، ونال على حسن خطه شهرة واسعة في مجاله ، قصده الكثير ممن أرادوا

---

(١) حبيب الزيات : خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ، ص 146.

(٢) ياقوت : معجم الأدباء ، 404/2 ؛ حبيب الزيات : خزائن الكتب في دمشق وضواحيها ، ص 146.

(٣) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 52/6-53.

(٤) ابن العديم : بغية الطلب ، 345/3.

النقل عنه، وقد أتقن ابن بصيص العديد من أنواع الخطوط منها " المزدوج – الثلث – المنسوب" ، وانتفع منه خلق كثير منهم ابن كثير ، وقد اخترع وابتكر ابن بصيص قلماً أسماه : " المعجز " ، نقل عن هذا الخط وأملاه الكثير من العلماء مما ساهم في تنشيط الحركة العلمية في حماة وتهافت طلاب العلم للأخذ عنه ، ومن بينهم العلامة سيف الدين الآمدي [١] . ويصف الصفدي الخطاط ابن بصيص فيقول : " الشيخ الإمام الكاتب المجوّد المتقن ، شيخ الكتّاب في زمانه ، ونادرة عصره وأوانه ، تفرّد في الدنيا بكتابة المزدوج ، وأتقنه وكل من تقدّمه فيه سمج ، واخترع قلماً آخر سماه المعجز ، وأتى فيه بمحاسن إذا أطنب فيه الواصف ظنّ أنه موجد ، وكان خطه كأنه حدائق ذات بهجة ، وسطوره من حسنها تفدى بكل مهجة، لو عاينه الولي التبريزي لم يكن له تبريز ، أو ابن العديم لاعترف له بالتعجيز ...، كتب الأقلام السبعة وجوّدها ، وأقلامه الرطبة كلها لم يلحقه فيها أحد ،...، وكان يكتب على الطاسات وعلى ما يُنقش ، ويطعّم كل سطر بدرهم ويكتب في اليوم جملة من ذلك مستكثرة "[٢].

كما اشتهر ورّاق آخر من وراقي حماة ذاع صيته ، وقصده طلاب العلم ، وجاءوه من خارج حماة ، وهو الشيخ تاج الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن محمد بن أبي الفرج الحموي (ت733هـ/1332م) ، وقد تتلمذ أبو الفرج الحموي على يد علماء حماة البارزين والمشهورين، فكان ديناً ، وقوراً ، صاحب رئاسة ، رشح بعض الفترات للوزارة بحماة ، امتاز بحسن الخط وجودته ، نسخ بخطه الكتب له ولغيره من العلماء الذين قصدوه لحسن خطه ، سواءً من علماء حماة أو خارجها[٣].

ونلاحظ هنا بأن الوراقين في حماة لم يكتفوا ببيع الكتب بعد نسخها ، أو تجليدها ، بل رشحوا لمناصب مهمة في حماة مما يدل على علو المكانة الاجتماعية للوراق الحموي في ذلك العصر.

---

(١) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، 143/8 ؛ سبانو : مملكة حماة الأيوبية ، ص 192 ؛ إحسان العظم : حماة في عصر أبي الفدا ، مجلة المعرفة (السورية) ، عدد 154 ، كانون الثاني ، 1974م ، عدد خاص عن أبي الفداء ، ص 181.

(٢) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، 25/3.

(٣) ابن حجر : الدرر الكامنة ، 108/1-109.

ومن علماء حماة الذين لازموا سلاطينها ، سيف الدين الآمدي الذي رافق المنصور الأول صاحب حماة ، وجالسه ، وألف له العديد من المؤلفات في المنطق والحكمة والخلاف، حتى شكك كثير من علماء عصره في نسبة كتاب المنصور الأول " مضمار الحقائق وسر الخلائق " له ، حيث نسب كثير من أهل العلم هذا الكتاب للآمدي ، وربما كان هذا الخلط نتيجة الملازمة الدائمة من الآمدي للمنصور الأول ، في تأليف الكتب ، وكتابتها له ، ونسخها[١].

وممن شد الرحال إلى حماة للتعلم بها خاصة الخط المنسوب ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد المصري ، المعروف بابن طرطور ، كان شاعراً مشهوراً بين أبناء عصره ، رحل من مصر إلى حماة في ضيافة صاحبها أبي الفداء ، وتعلم بها الخط المنسوب ، بالإضافة لعدد من العلوم[٢]

---

(١) لقد أعيت المصادر التي توفرت لدينا أن تمدنا بمعلومات وفيرة عن الوراقين في حماة فترة البحث ، واكتفت بما تم سرده أعلاه ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى توجه أنظار المؤلفين المعاصرين لحماة فترة البحث أو القريبين من هذه الفترة في تدوين الأحداث السياسية دون غيرها ، والتي شغلت الرأي العام في تلك الأزمنة.

(٢) إحسان العظم : حماة في عصر أبي الفدا ، مجلة المعرفة (السورية) ، عدد 154 ، كانون الثاني ، 1974م ، عدد خاص عن أبي الفداء ، ص 179.

المبحث الرابع : خزائن الكتب في حماة .

اقترن النشاط العلمي في حماة بحركة دؤوب في ميدان دور العلم ، من خلال خزائن الكتب أو ما يعرف بالمكتبات ، فقد شهدت حماة الكثير من هذه الخزائن والتي مثلت جزءاً هاماً في تنشيط الحياة العلمية بها.

والواقع أن حماة لم تختلف عن باقي مدن الشام في العهد الأيوبي في اهتمامها بالكتب والمكتبات ، وإن كانت المصادر لم تتحفنا بالكثير عن ذلك ، إلا أننا من خلال قراءة متأنية في هذا العصر يمكن أن نحصل على تصور كاف لذلك ، فقد كان البناء المعماري للخزانة يعتمد على حجم وعدد الكتب التي بها ، وعدد المستخدمين لها وما إلى ذلك ، وتقسم الخزانة إلى رفوف مقطعة بحواجز ، وربما كان على كل حاجز باب بمفصلات وقفل ، وفي كل خزانة مجموعة من الكتب يلصق عليها ورقة تعريف بالمحتوى أو نوعية الكتب ملصقة على باب كل خزانة[١] ، وكانت المصاحف الكبرى توضع في خزانة خاصة جانب المحراب بالمدرسة أو الجامع، وكانت الكتب تصنف وتوضع ذات المواضيع الواحدة في مكان واحد، ويراعى في عملية الرص مدى أهمية الكتاب من حيث ما يحتويه من علوم ، ومكانة مصنفه فترص كتب الحديث ، ثم صحيح مسلم ، ثم تفسير القرآن ، ثم تفسير الحديث ، ثم أصول الدين ، ثم أصول الفقه ، ثم النحو والتصرف ، ثم أشعار العرب ثم العروض[٢] وهكذا.

وتحفظ الكتب وخاصة المصاحف فيما يعرف بالبيوت ، لحمايتها من التمزق والتلف، وكانت تصنع من الجلود أو القماش[٣].

وتحتوي المكتبات على فهرس أو (كتاب) يضم قائمة بأسماء الكتب والمؤلفات وأماكن وجودها على الأرفف ، ليسهل تناولها واستخدامها للباحثين والدارسين ، والمسؤول عن إعداد هذه الفهارس في الغالب هو خازن المكتبة[٤].

---

(١) السبكي : فتاوى السبكي ، 111/2 ؛ حمادة : المكتبات في الإسلام ، ص156 ؛ النشار : تاريخ المكتبات في مصر في العصر المملوكي ، 182.

(٢) ابن جماعة : تذكرة السامع ، ص171.

(٣) المصدر السابق ، ص170.

(٤) شعبان خليفة : الكتب والمكتبات في العصور الوسطى ، ص399-401 ؛ النشار : تاريخ المكتبات في مصر في العصر المملوكي ، ص177-178.

أما موارد الكتب الوافدة إلى الخزانة : فكانت تأتي بعدة طرق منها الشراء فيشتري ناظر الوقف الكتب ويضعها في الخزانة ، أو يشتري الواهب كتباً ويهبها للخزانة [١] ، ومنها ما كان يتم عن طريق النسخ ، فيكون ثمة نساخ للخزانة لنسخ الكتب التي تحتاجها الخزانة ويصعب الحصول عليها بالهبة أو الشراء بالإضافة إلى الهدايا والوقف[٢].

أما بالنسبة للهيكل الإداري لموظفي الخزانة ، فكان يتم تعيين عدد من الموظفين بالخزانة على رأسهم الخازن ، وهو المشرف على المكتبة والمسئول عن كتبها ، وتنظيم العمل بها وفقاً لشروط الواقف [٣] ، وكان يشترط فيه أن يكون عالماً فقيهاً ، من أهل الدين والخير والأمانة ليكون عونا للطلبة والباحثين ومرشداً لهم [٤] ، وأن يعير الكتب لمن هو أهلٌ لها ، وأن يتفقد أحوالها باستمرار فيرمم شعثها ، ويصلح أحوالها ، ويتأكد من أنها موضوعة بمكانها المخصص بالخزانة المرصدة لها [٥] كما يكون بالمكتبة النساخون والمجلدون ، وعدد من المناولين والفراشين[٦].

ولأهمية الكتاب ومكانته العظيمة عند المسلمين ، فقد كان التعامل معه له أصول وآداب ذكرها العلماء في كثير من مؤلفاتهم ، ومن هذه الآداب : تعظيم الكتاب واحترامه تعظيماً للعلم ، فقد ذهب بعض العلماء إلى أنه لا ينبغي لطالب العلم أو لغيره ألا يأخذ الكتاب إلا على طهارة [٧] ، كما أوجبوا وضع كتب التفسير فوق سائر الكتب ، وألا يوضع شيءٌ آخر فوق الكتاب كالمحبرة وغيرها ، وأن يستعمل الكتاب على ما خصص له ، وألا يجعله خزانة للكراريس أو مخدة أو مروحة ولا مسنداً ولا متكأً ولا مقتلة للبق وغيره[٨].

---

(١) زبيدة عطا : مكتبات المدارس في العصر الأيوبي والمملوكي ، ص218.

(٢) حمادة : المكتبات في الإسلام ، ص175.

(٣) النشار : تاريخ المكتبات في مصر في العصر المملوكي ، ص137-138 ؛ حمادة : المكتبات في الإسلام ، ص150-151.

(٤) المقريزي : الخطط ، 379/3 ؛ النبراوي : أسعار السلع ، ص519.

(٥) ابن جماعة : معيد النعم ، ص111 ؛ النبراوي : أسعار السلع ، ص519.

(٦) المقريزي : الخطط ، 346/3.

(٧) قال الإمام شمس الأئمة الحلواني : " إنما نلت هذا العلم بالتعظيم ، فاني ما أخذت الكاغد إلا بطهارة " . الزرنوجي : تعليم المتعلم ، ص 60 .

(٨) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم ، ص 172.

ومن الأصول العظيمة التي رغب إليها العلماء إعارة الكتب ، فالإعارة تعد من أهم الوسائل المساعدة لنشر العلم والمعرفة عند الخاصة والعامة ، وقد عدت الإعارة من بركة العلم من جهة ، ومن الأعمال المحمودة لدى العلماء من جهة أخرى ، قال وكيع " أول بركة الحديث إعارة الكتب[١] ، وقيل بأن " أول بركة العلم إعارة الكتب "[٢].

وقد حض العلماء على الإعارة فقيل " وإعارة الكتب للطلبة والمشيخة أمر قد استحسنه الأولون والآخرون لما فيه من نشر العلم خاصة ، وإفادة الناس عامة ، حتى عد من صفات العلماء المحمودة "[٣].

وقد حوت مراكز العلم بحماة فترة الدراسة العديد من خزائن الكتب المتنوعة ، حيث غدت حماة في ذلك الوقت واحدة من أبرز مدن العالم الإسلامي في الإنتاج العلمي ، مما أسهم بشكل كبير في جعلها أرضاً خصبة للعلماء وطلاب العلم الراغبين في الاستزادة من دروس علمائها ودعم ملوكها.

وبالاطلاع على ما توفر لنا من معلومات في بطون المصادر نجد تنوعاً في خزائن الكتب بحماة ، فمنها ما هو خاص ، ومنها ما هو عام ، فأما خزائن الكتب الخاصة فهي تلك المملوكة لحكام حماة أو علمائها ، أما الخزائن العامة ، فهي الملحقة بدور العلم من مساجد ومدارس وغيرها من مراكز العلم المختلفة ، والتي أوقف عليها أصحابها الأوقاف الجليلة الكفيلة بالصرف على مقتنياتها.

فمن خزائن الكتب الخاصة :

– خزائن كتب قلعة حماة (مكتبات القصر) :

أولع ملوك وحكام حماة باقتناء الكتب النفيسة ، وجمع ما ندر وجوده وعم نفعه ، فكونوا في قصورهم المكتبات العامرة ، والتي استفادوا منها في تأليفهم لمؤلفاتهم ، أو مطالعاتهم لمسائل الأمور ودقائقها ، ومن ثم مناظرة العلماء بها في مجالسهم في قصورهم ، ومن أشهر

---

(١) السمعاني : آداب الإملاء والاستملاء ، ص 175.

(٢) ابن منظور : مختصر تاريخ دمشق ، 1066/1.

(٣) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم ، ص 168.

الخزائن التي عمل ملوك حماة على الاعتناء بها وتزويدها بالكتب ، وتوفير مقتنياتها للعلماء والفقهاء والأدباء :

- مكتبة الملك المنصور الأول محمد :

أسس المنصور الأول خزانة للكتب بقلعة حماة ، جمع فيها كثيراً من الكتب القيمة ، وكان شديد الاعتناء بها ، حريصاً على مطالعة ما تضمه من كتب ومراجعتها ، ومناظرة العلماء فيها[١] ، وقد أكد الذهبي على امتلاك المنصور محمد لهذه الخزانة ، وكيف ملأها بأمهات الكتب النفيسة فقال : " قد جمع من الكتب ما لا مزيد عليه "[٢].

- مكتبة السلطان أبي الفداء :

لقد امتلك سلطان حماة وحاكمها أبو الفداء مكتبة غنية بأمهات الكتب ، نالت شهرة عظيمة من قبل العلماء ، لكبرها وتنوع كتبها ، والذين استفادوا من مقتنياتها ، ومن شدة حب أبي الفداء للعلم وتقديره للكتاب فقد أوقف مكتبته على القراء وأهل العلم ، وقد بلغت عدد الكتب التي حوتها مكتبته ما يزيد على سبعة آلاف كتاب[٣].

ومن خزائن الكتب الخاصة تلك المملوكة للعلماء ، ومنها :

- خزانة كتب الكندي :

هي ملك االشيخ العالم أبي اليمن الكندي تاج الدين زيد بن الحسين (ت 612هـ/ 1216م) ، ذكرت المصادر التاريخية أنه كانت له مكتبة عامرة تضم أكثر من سبعمائة كتاب ، في مختلف فنون المعرفة ، أوقفها على مكتبة الجامع الأموي بدمشق ، حين رحل من حماة إلى دمشق بعد وفاة صاحبها المظفر الأول تقي الدين عمر[٤].

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، 80/4 ؛ أبو الفداء : المختصر ، 125/3 ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 148/22؛ الكتبي : فوات الوفيات ، 12/4.

(٢) تاريخ الإسلام ، ص 343.

(٣) إحسان العظم : مجلة المعرفة (السورية) ، العدد 154 ، كانون الثاني ، 1974م ، ص182 ، وقد ذكر ذلك في روشن المدرسة التي تضم هذه المكتبة . سبانو : مملكة حماة الأيوبية ، ص183.

(٤) ابن العديم : بغية الطلب ، 4012/9 ؛ القثامي : مملكة حماة في العصر الأيوبي ، ص 393.

- **خزانة كتب البارزي :**

وهي خاصة بقاضي حماة ، شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم ، البارزي (ت738هـ/1338م) ، ألف العديد من المصنفات حتى زادت على بضعة وتسعين كتابا ، كما تولع باقتناء الكثير من الكتب ، وذُكر بأنه اجتمع له في مكتبته من الكتب ما فاقت قيمته مائة ألف درهم ، حتى قال البعض أنه اجتمع عنده من الكتب ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره[١] ، حتى غدت خزانة الكتب البارزية هذه من أشهر خزائن الكتب في بلاد الشام، وقد خدمت هذه المكتبة العديد من طلاب العلم داخل حماة وخارجها ، فشدت إليها الرحال من البلاد البعيدة ، وقد وقف البارزي مكتبته على طلبة العلم طمعاً في الأجر ، وخوفاً عليها من التلف والضياع[٢].

المكتبات العامة :

تمتعت حماة بالعديد من المدارس العامرة ، والتي أوقفت لها الأوقاف الجليلة ، وكانت تضم كل مدرسة بها مكتبة خاصة تخدم طلابها ومرتاديها من طلاب العلم وعلمائها الذين يدرسون بها.

وأحد أشهر تلك المكتبات:

- **مكتبة مدرسة البيمارستان النوري:**

أنشأ السلطان نور الدين زنكي بيمارستان (مستشفى) عام (550هـ/1164م) إلى جوار جامعه في جهة الجنوب منه، وكان البيمارستان يشتمل على غرف عديدة تحيط بباحته، وكان قسمه الشرقي يطل على نهر العاصي، ويحتوي الجانب الغربي من البيمارستان على ثلاث غرف ذات مداخل متجهة نحو الجنوب، وكان بالبيمارستان مكتبة خاصة للأطباء العاملين به والدارسين فيه[٣].

---

(١) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، 39/3 ؛ الصابوني : تاريخ حماة ، 145.

(٢) أبو الفداء : المختصر ، 145/4 ؛ الأسنوي : طبقات الشافعية 135/1 ؛ الصابوني : تاريخ حماة ، 145.

(٣) ابن أبي أصيبعة: طبقات الأطباء ص659. 660؛ كامل شحاتة: البيمارستان النوري، مجلة العمران، عدد حماة، ص 29. 30/ 102. 103.

- **مكتبة المدرسة الخاتونية :**

فقد أنشأت مؤنسة خاتون (ت703هـ/1303م) ابنة المظفر الثاني مدرسة لها بحماة، وأوقفت على المدرسة الأوقاف الجليلة لضمان استمرار الرسالة التي من أجلها أنشئت لها ، وزودت المدرسة بمكتبة عامرة بمختلف الكتب[1].

ومما هو جدير بالذكر أن الكثير من خزائن الكتب بحماة تعرضت للتدمير والتلف ، أو السرقة لكتبها ومقتنياتها ، أو أن يرتحل صاحبها عن حماة فيأخذها معه ، وهذا بلا ريب يعد خسارة كبيرة في إطار جمع التراث العملي وحفظه.

فعلى سبيل المثال ما حدث عام (658هـ/1259م) حين دخل هولاكو إلى الشام، أرسل عماله إلى حماة فعاثوا فيها فساداً ، وهدموا أسوارها ، وسطوا على خزائن الكتب فيها، فأحرقوا ما بها من كتب نفيسة ، وما تبقى منها بيع بأبخس الأثمان[2].

أو كما فعل الشيخ أبو اليمن الكندي تاج الدين زيد بن الحسين (ت 612هـ/ 1216م) ، فحين رحل من حماة إلى دمشق نقل مكتبته معه وأوقفها على مكتبة الجامع الأموي بدمشق[3].

---

(١) أبو الفداء : المختصر ، 144/3 ؛ الصابوني : تاريخ حماة ، ص 111 ؛ كرد علي : خطط الشام ، 124/6.

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، 186/13 ؛ أبو الفداء : المختصر ، 243/3 ؛ إحسان العظم : مجلة المعرفة السورية ، العدد 154 ، كانون الثاني ، 1974م ، ص 182.

(٣) ابن العديم : بغية الطلب ، 4012/9 ؛ القثامي : مملكة حماة في العصر الأيوبي ، ص 393.

المبحث الخامس : العلاقات العلمية بين حماة والمراكز العلمية الأخرى .

ديننا الإسلامي دين علم وعمل ، شجع العلم ، وحث العلماء على طلبه ، ومنحهم الأفضلية على غيرهم من المسلمين بقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١] ، ومن هذا المنطلق تشجع كثير من أبناء المسلمين على الاستزادة من جميع العلوم ، وفي شتى فروع المعرفة ، رغبة منهم في رضا الله ﷻ ، وطمعاً في المنزلة الشريفة التي وضعها الله للعلماء بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[٢].

كما أوجب الله على عبادة العلم ، أوجب عليهم نشره لكي يعم الخير والفائدة جميع أبناء المسلمين ، قال ﷺ : " من كتم علماً ألجمه الله لجاماً من نار يوم القيامة " [٣] ، وبهذا الحديث وهذا الوعيد يكون الله سبحانه وتعالى قد أوجب نشر العلم على عباده ، وأنه أمانة في عنق كل عالم يبلغه كل من بحث عنه ، أو ينشره لكل مستفيد منه.

ومما لا شك فيه أن الحياة العلمية في حماة إبان الحكم الأيوبي بلغت ذروتها ومجدها في ظل الاهتمام بها من جميع أبناء الدولة الأيوبية ، ابتداء من سلاطينها وأمرائها ووزرائها ، وذلك من خلال بناء المدارس ، وإنشاء المكتبات ، ودعم العلماء إما مادياً بإجزال العطاء لهم ، أو ببناء المدارس تكريماً لفضلهم ، أو معنوياً بتقريبهم وإجلالهم ، كما قُدم العلماء في العديد من مناصب الدولة المهمة مثل القضاء ورئاسة الدواوين.

ذلك التشجيع والدعم الذي لقيه العلماء في ظل الحكم الأيوبي ، ساعدهم في الاستزادة من العلم ، وتأليف الكتب ، وإجازة طلاب العلم ، والرحلة من أجل تلقي العلوم، وإقامة المناظرات والدروس العلمية ، والتدريس في المدارس النظامية المنتشرة في بلاد الشام ومصر.

وقد كانت حماة أحد مشاعل العلم في بلاد الشام ، قصدها طلاب العلم من جميع مدن بلاد الشام والأقطار الإسلامية ، لما كانت تحويه من علماء بارزين كلٌ في تخصصه ، ونظراً لوجود سلاطين البيت التقوي الذين ذكرنا جهودهم سابقاً في دعم الاستقرار السياسي والأمني،

---

(١) سورة الزمر ، آية 9.

(٢) سورة فاطر ، آية 28.

(٣) ابن ماجة : السنن ، باب من سئل عن علم فكتمه ، 97/1 ، ح 265.

وتوفير الرخاء الاقتصادي ، وتبني العلم وتشجيع العلماء من حماة وخارجها ، مما أسهم بشكل كبير في تشكيل أهمية حماة كمقصد لكل طالب علم ، حيث توفرت بها مقومات أسهمت في قيام علاقات علمية مهمة بين حماة ومدن الشام ، أو بين حماة والمراكز العلمية في العالم الإسلامي . وفيما يلي بيان ذلك[١] :

أولاً : العلاقات العلمية بين حماة ومدن الشام .

إن النهضَّة العلمية التي ظهرت في حماة ، واحتضنها ملوك حماة الأيوبيو ن ، ساعدت على رفعها وتطورها ونموها ، حتى باتت معقلاً للعلم والعلماء من جميع مدن الشام ، فأمها الكثير منهم طمعاً في الاستزادة من علم علمائها ، ورغبة في الاستفادة من تشجيع حكامها للعلماء ورعايتهم ، وقد مر بحماة العديد من العلماء ، فمن أبرز علماء الشام الذين زاروا حماة وأثروا وتأثروا بعلمها وعلمائها الشيخ العالم زكي الدين محمد البرزالي ، الحافظ ، من أبرز علماء الشريعة في عصره ، رحالة جاب الآفاق طالباً للعلم ، حيث زار الحجاز ومصر والعراق وأصبهان وخراسان والجزيرة ، وتنقل بين مدن الشام ، حيث عاش بدمشق مدة طويلة من الزمن، ثم انتقل إلى حماة ، وبقي بها حتى وفاته، وقد صنفه الذهبي على أنه : " محدث الشام ومفيده"[٢] ، قصده طلاب العلم خلال إقامته بحماة ، وتخرج على يده الكثير من العلماء [٣] ، وحينما يستقر محدث الشام في حماة فإن أعين طلاب العلم تتجه إلى ذلك البلد ، فيقصدونه ، ويقيمون فيه ، وينقلون عنه ، فتصبح حماة بذلك مركزاً من مراكز العلم ومنارة للثقافة الإسلامية في بلاد الشام. كما زارها العلامة الفقيه المحدث عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ابن يوسف البعلبكي الدمشقي ، سمع بالقاهرة ، والإسكندرية ، وحلب ، وحماة ، وحمص ،

---

(١) إن العلاقات العلمية ما بين الأقطار عادةً ما تكون قائمة على الأخذ والعطاء المتبادل لكي يتم الهدف من هذه العلاقة وهو انتقال العلم والمعرفة ، والارتقاء الحضاري للشعوب ، ولكن ونتيجة لكثرة المحتوى الثقافي المتبادل ما بين حماة ومدن العالم الإسلامي سواء بلاد الشام أو مصر والعراق والمغرب .. الخ ، فقدكان هذا المبحث مخصصاً للفقهاء والقضاة والعلماء والمدرسين والمحدثين والوعاظ وغيرهم ممن أسهم في تميز العلاقات العلمية بين حماة وأقطار العالم الإسلامي من كلا الجانبين ، وأما مبحث الرحلة في طلب العلم ، في الفصل الرابع ، فللحديث عن طلبة العلم الذين رحلوا من حماة إلى البلاد الإسلامية لطلب العلم وتحصيله.

(٢) الذهبي : العبر ، 228/3.

(٣) أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص168 ؛ الذهبي : العبر ، 228/3.

وبعلبك ، والحجاز ، والقدس ، أتقن الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وخرج لنفسه ولغيره ، كان فيه خير كثير ، نفع به الخاصة والعامة ، وله عدة تصانيف ، ومن أشهرها كتابه : " الثمر الرائق المجتبى من الحدائق " (١) ، ومن خلال ترجمة البعلبكي نجد أنه حنبلي المذهب ورغم ذلك يحط رحاله في حماة الشافعية ليجد كل الترحيب من أهلها وفي هذا دلالة على أن ملوك حماة وعلماءها لم يتحيزوا لمذهب دون الآخر ، لذلك ازدهرت العلوم الشرعية حتى باتت حماة مقصداً لكل صاحب مذهب من المذاهب الأربعة. كما استقطبت حماة واحداً من أشهر شعراء الشام ، وهو محمد بن يعقوب بن علي ابن تميم ، فبالإضافة إلى كونه شاعراً فهو أحد أمراء الجند ، عاش عمره بدمشق ، ثم انتقل إلى حماة لخدمة صاحبها الملك المنصور إذ كان من خاصته(٢) ، وإن دل ذلك فإنما يدل على سياسة ملوك حماة كما أسلفنا من تقريب العلماء ، كما كان ابن تميم من العقلاء الفضلاء الكرماء ، كان شعره في غاية الجودة والرصانة (٣). وممن وفد إلى حماة أيضاً من بلاد الشام الشاعر المشهور محمد بن علي بن محمد المعروف بابن طرطور ، الذي كان يسكن بين دمشق وحماة ، خدم الملك الأفضل صاحب حماة الذي قربه وأدناه وحنا عليه ، ثم خرج من حماة في جولة بين مدن الشام ، ليزيد من علمه، ثم عاد إلى حماة وبقي بها حتى وفاته(٤). كما رحل إلى حماة من بلاد الشام أشهر الأطباء وأمهرهم ، أبو الفضل أسعد بن حلوان(٥) ، اشتهر بموفق المنفاخ ، من أهل المزة (٦) ، من أمهر أطباء عصره ، خدم الأشرف بن العادل (٧) في منطقة الجزيرة (٨) ، ثم انفصل عنه ، وقدم حماة وخدم أهلها

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 9/11 ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ، 343/5.

(٢) الذهبي : العبر في خبر من غبر ، 351/5 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، 307/13 ؛ الزركلي : الأعلام ، 145/7.

(٣) ابن العماد : شذرات الذهب ، 389/3.

(٤) ابن العماد : شذرات الذهب ، 389/3.

(٥) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 44/9.

(٦) المزة : قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق ، بينها وبين دمشق نصف فرسخ . ياقوت : معجم البلدان ، 122/5.

(٧) أبو الفتح موسى ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب ، أول شي ملكه مدينة الرها ، حران ، خياط وميافارقين ، نصيبين وسنجار ، ومعظم بلاد الجزيرة ، ثم حكم دمشق ، كان حكيما ، واسع الصدر ، توفي عام 685هـ بدمشق . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 330/5-336.

(٨) الجزيرة : هي التي بين دجلة والفرات ، مجاورة للشام ، من مدنها حران ، والرها ، والرقة ، وسنجار ، وماردين ، وآمد، وميافارقين ، والموصل . ياقوت: معجم البلدان ، 134/2.

حتى توفي بها عام (642هـ/1244م)[١] . وقد وجد كل الترحاب من قبل ملوكها وأهلها. كما يطالعنا عالم من علماء دمشق ممن جاب البلاد الإسلامية يستقي العلم منها ؛ وهو العالم مهذب الدين بن الحاجب ، من دمشق ، رحل لطلب العلم إلى العديد من البلاد الإسلامية ، فتنقل بين الموصل ، وإربل ، وطوس ، ثم عاد إلى دمشق ، ألقى العديد من الدروس في الكثير من فروع العلم ومنها ، الأدب ، والنحو ، والهندسة ، والطب وبرع فيهما ، ولكن شهرته كطبيب غلبت شهرته في الهندسة ، ولذلك خدم في البيمارستان النوري في عهد السلطان تقي الدين عمر ، وبعد وفاة تقي الدين عمر ، خرج إلى الديار المصرية ، وخدم الناصر صلاح الدين الأيوبي ، وبعد وفاة صلاح الدين استدعاه الملك المنصور صاحب حماة ، فأقام عنده ، حتى توفي بمرض ألم به[٢].

ولم يقتصر دور العلماء الوافدين على حماة بتلقي العلم فقط ، أو إلقائه ؛ بل اجتهد بعضهم ومن خلال إقامته بحماة في بناء المدارس والتي نسبت إليهم بعد ذلك ، فذلك أحد علماء حلب ، يزور حماة وينشئ بها مدرسة ويطلق عليها : " مدرسة الشيخة " ، وهو قاضي القضاة نجم الدين عبد الظاهر بن السفاح الحلبي ، وقد كانت هذه المدرسة من المدارس المعدودة في حماة ، وقد اشتهرت بعد ذلك باسم " الزاوية السفاحية "[٣].

وربما عمل بعضهم في أعمال في مملكة حماة فذلك الكاتب والشاعر أحمد بن سالم أبو المواهب ، المعروف بابن صصري (ت664هـ/1265م) ، كان أحد علماء الحديث في دمشق، من الذين زاروا حماة ، كان ذا ثروة ومال ، عُين في دار الإنشاء في حماة ، وولي منصب قاضي القضاة فيها حتى توفي بها[٤].

وفي المقابل ، خرج من حماة عدد كبير من العلماء صوب بلاد الشام فمنهم من تولى القضاء أو جلس للإفتاء أو تصدر للتدريس والإفادة ، فمن العلماء الحمويين الذين استقروا بدمشق وكانت لهم اليد الطولى في العلم والتعليم : الشيخ هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص708 ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، 44/9.

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص611 ؛ أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات ، ص119.

(٣) الصابوني : تاريخ حماة ، ص113 ؛ كرد علي : خطط الشام ، 125/6.

(٤) ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، 413/1 ؛ الزركلي : الأعلام ، 222/1.

رواحة الحموي ، أبو القاسم زكي الدين (ت 622هـ/1225م) ، من علماء حماة رحل إلى دمشق واستقر بها وبنى بها وبحلب مدرستين عرفت بالمدرسة الرواحية ، وقفهما على الشافعية ، وأقام لهما نظاراً ومدرسين ، وكان من التجار الموسرين ، توفي بدمشق [(١)]. ومنهم : الشيخ تقي الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن رزين بن موسى العامري الحموي الشافعي (ت680هـ/1274م) ، برع في الفقه والعربية والأصول ، وشارك في المنطق والكلام والحديث وفنون من العلوم وأفتى ، وله ثمان عشر سنة ، وسمع الحديث وانتفع بالشيخ تقي الدين بن الصلاح ، وأم بدار الحديث مدة ، ارتحل إلى دمشق ودرس بالمدرسة الشامية ، وولي وكالة بيت المال ، ثم سار إلى مصر فاشتغل بعدة مدارس ، ولي قضاء القضاة ، فلم يأخذ عليه رزقاً تديناً وورعاً، وتفقه به عدة أئمة ، وانتفع بعلمه وهديه وشيمه وورعه الكثيرون ، وكان مشكور السيرة محباً للعلم والعلماء ، توفي بمصر ودفن بالمقطم [(٢)] . وقد تولى ابنه عبد اللطيف بن محمد بن الحسين الحموي (ت710هـ/1310م) الخطابة والتدريس بالجامع الأزهر، بالإضافة إلى القضاء والإفتاء ، ومن مؤلفاته : " منحة الطالبين لحفظ الأربعين في التيمورية"[(٣)]. ومنهم خطيب حماة الشيخ ابن حبيش (ت699هـ/ 1299م)، الذي كان من الخطباء الذين يشار إليهم بالبنان ، ومن شهرته استدعاه المسؤولون في دمشق ، وقلدوه منصب خطابة وإمامة أشهر جامع بها وهو (الجامع الأموي) وقد كان ذلك عام (691هـ/ 1291م) ، واستمر في منصب الخطابة والإمامة مدة ست سنوات ، ثم عاد إلى حماة وتقلد منصب القضاء بها [(٤)]، وخرج من حماة أيضاً أحد أشهر أطباء عصره موفق الدين عبد السلام ، الذي عمل طبيباً لدى الناصر صاحب دمشق ، وأقام معه في حلب ، وكان مقدماً عند الناصر [(٥)] صاحب دمشق ، يعتمد عليه في كثير من شؤونه ، ولكن حماة كانت بحاجة لخدمات هذا الطبيب ، فاستدعاه المنصور

---

(١) الصفدي : وفيات الأعيان ، 244/3 ؛ الزركلي : الأعلام ، 28/2.

(٢) اليونيني : مرآة الزمان ، 214/2 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، 298/13.

(٣) اليونيني : مرآة الزمان ، 237/2 ؛ الذهبي : ديوان الإسلام ، 46/1.

(٤) السبكي : طبقات الشافعية ، 280/2 ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، 255/1 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، 105/3.

(٥) الملك الناصر يوسف ابن الملك العزيز محمد ، حكم دمشق عام 648هـ ،كان محباً للعلم والأدب ، أنشأ مدرسة في دمشق ، ورباط كبير ، قتله التتر عام 658هـ . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 10/4 ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 318/13.

الثاني ملك حماة وأكرمه ، وأجزل له العطاء ، وبلغ عند المنصور الثاني مكانة رفيعة [1]، وأيضاً انتفعت بلاد الشام بعَلم من أعلام حماة وهو عالمها المعروف ابن جماعة (ت 596هـ/1199م) ، وهو عالم تعدى تأثيره العلمي مملكة حماة إلى غيرها من البلاد ، فقد كان عالماً بالحديث والفقه ، زار القدس ، ودرس بها ، وبقي بها إلى أن توفي عام (675هـ/1269م)[2]، كما خرج من حماة عالم آخر قصده طلاب العلم لأخذ العلم والمعرفة عنه ، وهو الشيخ محمد بن خالد الهذباني الحموي ، أحد العلماء الأفذاذ ، برع في علم الحديث ، انتقل بعلمه بين حماة إلى دمشق ، وحلب ، ونشر علمه ، ونفع طلابه ، إلى أن توفي في أثناء رحلاته إلى حلب عام (687هـ/1288م)[3].

ثانياً : العلاقات العلمية بين حماة والمراكز العلمية في العالم الإسلامي :

عرفت بلاد الشام خلال حكم الأيوبيين نهضة فكرية وثقافية واسعة ، وأنتجت رجالاً وأعلاماً في الثقافة والعلوم والأدب ، رفعوا اسم حماة بين مصاف مدن العالم الإسلامي حتى غدت حماة موئلاً للعلم والعلماء من داخل الشام أو من جميع مدن العالم الإسلامي ، فباتت حماة بعلمائها مقصداً لكل طالب علم ، وبأمرائها مقصداً لكل عالم يريد الاستفادة من دعم ملوكها لجهود العلماء فيها.

فممن رحل من العراق صوب حماة من العلماء : العالم محمد عرب الهيتي الحسني الحنفي العراقي (ت714هـ/1314م) ، أحد أكبر مشاهير اللغة العربية والمشتغلين بها ، جاء به قاضي القضاة شرف الدين هبة الله البارزي من العراق ، وعينه معلماً بالجامع الكبير والجامع النوري بحماة ، كان تقريره للخطاب سهلاً ، انتفع بعلمه الكثير من أهل حماة [4] ، منهم ابن

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، 755-757 ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، 260/4.

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ، 105/3؛ السبكي : طبقات الشافعية ، 280/2 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، 298/9 ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، 255/1.

(٣) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 36/3 ؛ البرزالي : المقتفي لتاريخ أبي شامة ، 137/1.

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص 704-707 ؛ مجلة المعرفة (السورية) ، العدد 154 ، كانون الثاني ، 1974م، عدد خاص عن أبي الفداء ، ص 180.

القضامي قاضي حماة ، وتقي الدين أبو بكر بن عثمان بن محمد الجيتي الحنفي وغيرهم كثير[١].

كما دعا المنصور الأول صاحب حماة أحد مشاهير أطباء العالم الإسلامي ، وهو الطبيب أبو الثناء محمود بن عمر الحانوي ، المعروف بابن رقيقة ، الذي قدم من (حيني) [٢] ليستفيد من علمه في مجال الطب طلبة العلم بحماة ، وكذلك يعالج الحالات المستعصية[٣].

وممن قصدها من الشعراء من أهل الموصل[٤] بالعراق ، أبو المكارم شهاب الدين محمد بن يوسف الشيباني التلعفري ، من أهل الموصل ، كان شاعراً مشهوراً ، مدح الكثير من ملوك زمانه ، ونال الجوائز الوفيرة على قصائده ، جال العديد من البلاد الإسلامية من الجزيرة إلى حلب ، ثم نزل حماة واتصل بملكها المظفر الثاني ، وظل بها حتى غزا المغول بلاد الشام ، ثم عاد إليها بصحبة المنصور الثاني بعد دحر المغول في عين جالوت ، واستقر بها حتى وفاته سنة (675هـ/1276م)[٥].

ومن بلاد المغرب والأندلس : زارها الرحالة المعروف ابن ظفر محمد بن عبد الله الصقلي ، وهو من أهل صقلية[٦] ، تنقل بين البلاد الإسلامية فجال إفريقيا ، والأندلس ، وبلاد الشام ، ومر على حماة وطاب له المقام فيها ، فاتخذها موطناً له ، وبقي بها حتى وفاته عام (565هـ/1170م)[٧].

ومن أهل الأندلس من مرسية أبو الحسن علي بن أحمد الحرالي الأندلسي (ت637هـ/1278م) ، رحل إلى المشرق فأخذ عن جلّةٍ من المشايخ شرقاً وغرباً ، ثم استقر بحماة ، حيث نزل عند قاضي حماة البارزي ؛ وتزوّج بحماة ، واستقر بها حتى وافته المنية ، كان

---

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة ، 299/5 ؛ سبانو : مملكة حماة الأيوبية ، ص179.

(٢) حيني : تسمى أيضا بحاني ، بلدة صغيرة تقع في ديار بكر . ياقوت : تقويم البلدان ، 333/2.

(٣) الذهبي : العبر ، 232/3 . وانظر الفصل الخامس مبحث العلوم الطبية من هذه الرسالة.

٤) الموصل : إحدى أشهر المدن الإسلامية ، وهي باب العراق ومفتاح خراسان ، سميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق ، وقيل بين دجلة والفرات ، تقع على طرف دجلة . ياقوت : معجم البلدان ، 223/5-224.

(٥) ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، 343/8 ؛ ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، 62/4.

(٦) صقلية : جزيرة ببحر المغرب ، البحر المتوسط ؛ مقابل أفريقيا ، مثلثة الشكل ، فتحت في عهد بني الأغلب على يد أسد بن الفرات . ياقوت : معجم البلدان ، 416/3-417.

(٧) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 230/6 ؛ الصابوني : تاريخ حماة ، ص176.

أعلم الناس بمذهب مالك ، له العديد من المصنفات في علوم شتى كالفقه والمنطق والتفسير ، والذي اشتغل به وبرع فيه ، فكان له كتاب : " مفتاح اللّبّ المقفل على فهم القرآن المنزل " ، وقيل أنه لم يكمله [١]. كما سكنها ، عالم الفلسفة أبو بكر التجيبي الموسوي الأندلسي (ت638هـ/ 1240م) ، الذي جال البلاد ، وحط عصا ترحاله في حماة ، حيث وجد بها البيئة الصالحة له ولعلمه ، ولولا ذلك لما كان استقر بها دون باقي المدن الإسلامية ، وكان عالماً بالفلسفة وعلم الكلام والنطق ، ضليعاً بالمناظرة[٢].

ومن مصر ، وفد عليها أحد أشهر علماء عصره في علم الرياضيات والفلك وهو الشيخ علم الدين قيصر من قرية أصفون [٣] بمصر ، المعروف بتعاسيف ، خدم المظفر الثاني صاحي حماة وتولى التدريس في المدرسة النورية ، كانت له جهوده البارزة في حماة سواءً من الناحية العلمية أو العمرانية ، حيث ساهم في ترميم أجزاء من مدينة حماة ، وصنع طاحوناً لحماة الذي بات أحد أبرز معالمها ، كما كانت له جهوده في صنع الآلات الرياضية والفلكية ، ولكنه لم يبق في حماة بعد وفاة المظفر الثاني ، حيث انتقل إلى دمشق وبقي بها حتى وفاته عام (649هـ/1251م)[٤]. ووفد عليها من مصر أيضاً ، الحافظ الكبير الشهير شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي ، أتقن علم الحديث ، وسمع من علماء عصره ، حتى قيل عنه أنه : " آخر من بقي من الحفاظ وأهل الحديث " ، له العديد من المؤلفات في علم الحديث وغيره ، رحل إلى عدد من بلاد العالم الإسلامي واستفاد من علمه الخلق الكثير ، فدخل مكة والقاهرة ، وحلب وحماة ، ودرس بعدد من مدارس هذه البلاد ، فكان له الفضل والثناء ، توفي بعد أن عمر طويلاً سنة (705هـ/1305م)[٥]. كما خرج من حماة صوب بلاد الشام والعراق والعراق ومصر والمغرب علماء بارزين نفعوا بعلمهم طلبة العلم فنشروا العلم ، وأجازوا الطلاب ، وأقاموا الحلقات العلمية ، وناظروا ، ونالوا التقدير في كل بلد حلو به ، منهم : الشيخ مجد

---

(١) ابن المقري : نفح الطيب ، 188/1.

(٢) الذهبي : العبر ، 157/5.

(٣) أصفون : قرية بصعيد مصر الأعلى ، على شاطئ غرب النيل ، وهي تقع على تل مشرف . ياقوت : معجم البلدان، 212/1.

(٤) الأدفوي : الطالع السعيد ، 469-471.

(٥) الذهبي : معرفة القراء الكبار ، 729/2 ؛ سبانو : مملكة حماة الأيوبية ، ص 187.

الدين أبو المعالي محمد بن خالد بن حمدون الهذباني الحموي ، وهو أحد علماء حماة اللذين قصدهم طلاب العلم من جميع البلاد الإسلامية ، أتصف بالزهد والعبادة ، برع في علم الحديث وأجاد، خرج من حماة متوجهاً إلى بغداد سعياً في طلب العلم ، وبقي بها فترة فاد واستفاد من علمائها، وقد توفي في حلب عام (687هـ/1288م)(١).

ومن علماء حماة الذين خدموا العالم الإسلامي ، وأثروا فيه ، ابن واصل الذي بلغ بعلمه وخبراته على أن يختاره الظاهر بيبرس صاحب مصر والشام في ذلك الوقت في إرساله إلى إمبراطور صقلية ، حيث رأى فيه أنه خير من يمثل ويرسم صورة واضحة عن مدى تطور المسلمين علمياً وثقافياً ، ولاغرو فابن واصل الذي كان قاضي حماة في ذلك العصر ، كان عالماً ملماً بكثير من فروع العلم ومنها : أصول الدين ، والفقه ، والتاريخ ، والمنطق ، والهندسة ، كما كان له مصنفات عديدة ، أرسله الظاهر بيبرس رسولاً عام (659هـ/ 1260م) لمملكة صقلية ، وقد كان ملكها محباً للعلم والعلوم ، وقد ألف ابن واصل كتاب لملك صقلية في المنطق، وأهداه إياه حينما كان مقيماً عنده (٢). كما خرج من حماة ، ابن أبي القاسم بن أبي الفضائل بن أبي القاسم بن محمد ، الشيخ الإمام الزاهد العالم الكامل الفقيه أمين الدين بن قرناص الخزاعي الحموي (ت727هـ/1326م) ، الذي رحل في طلب العلم من حماة ، وتوجه إلى حلب ، أقام بها فترة من الزمن ، ثم انتقل إلى بغداد ، يستقي من علم علمائها ، وينشر شعره الذي عرف بالجزالة والرصانة ، وقد كان رئيساً فاضلاً في حماة(٣).

وانتقل من حماة إلى مصر الشاعر محمد بن علي بن غازي الأصيل أبو عبد الله الحموي (ت638هـ/ 1341م) ، قاضي حماة وأحد فضلائها وشعرائها ، انتقل إلى مصر ، فمدح ملكها الكامل بن العادل وصحبه إلى الإسكندرية ، ثم ارتحل إلى بغداد واستقر بها ، ودرسّ بالمدرسة الحنفية ، وتولى قضاء واسط فترة من الزمن ، بعدها ارتحل إلى اليمن ، وصنف كتباً منها : " تاريخ المنصوري " ، و " الكفاية في علم الرماية " ، و " الأس في العمل بالسيف

---

(١) ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، 62/4 ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، 343/8.

(٢) ابن الغزي : ديوان الإسلام ، 94/1.

(٣) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 41/3 ؛ ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، 62/4 ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، 343/8.

والترس "[1]. كما توجه من حماة إلى مصر الحسين بن حميد الحسين الحموي ، كان ضريراً ، عالماً بالحديث ، والنحو ، وهو ثقة في علمه ، كانت له حلقات علمية عديدة ، أشهرها حلقته في جامع عمرو بن العاص بمصر ، وقد كان إلى جانب تمكنه من الحديث والنحو محباً للشعر ، له نظم مشهود له بالحسن والجودة[2].

وإلى جانب انتقال العلماء من وإلى حماة من أجل تلقي العلوم ، ونشرها ، ظهر في تلك الفترة نوع آخر من العلاقات العلمية والتبادل العلمي بين المدن الإسلامية ، من ذلك استدعاء القائمين على المدن للعلماء الأفذاذ للقيام ببعض الواجبات خارج مدنهم ، ومن ذلك استدعاء الحكام في دمشق لخطيب حماة ابن حبيش، وقلدوه خطابة وإمامة أشهر جوامع دمشق وهو (الجامع الأموي) عام (691هـ /1291م) ، وقد بقي بدمشق حتى وافته المنية بها[3]. كما استدعى ابن رزين محمد بن الحسين بن رزين (ت 680هـ/1281م) ، عالم وفقيه حماة الشافعي ، الذي ذاع صيته ، وقصده طلاب العلم من كل مكان ، وكانت الفتوى تنهال عليه من حماة وخارجها ، برع في عدة علوم ، منها القراءات ، النحو ، التفسير ، والحديث[4] ، مما جعل الملك الناصر يوسف صاحب حلب ، يستدعيه ويقلده منصب وكالة بيت المال بها ، وهو منصب يشترط فيمن يتصدى له الأمانة إضافة إلى العلم والتقوى[5].

---

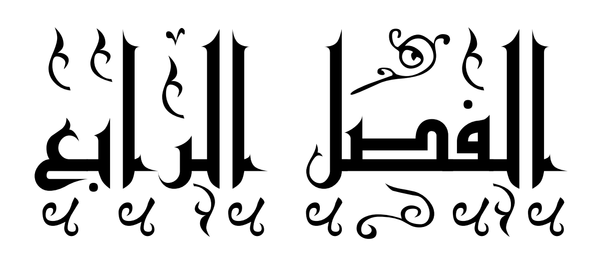
(١) الزركلي : الأعلام ، 282/6.

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 36/3 ؛ المقريزي : السلوك ، 209/2.

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، 145/5-146 ؛ أبو الفداء : المختصر ، 50/4-51.

(٤) ابن العديم : بغية الطلب ، 1204/3- 1206.

(٥) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات (تاريخ الدول والملوك) ، 243/7 ؛ ابن قاضي شهبه : طبقات النحويين واللغات ، ص 102.



التعليم في حماة (أماكنه – نظمه – وسائله) .

المبحث الأول : المسجد .

المبحث الثاني : الكتاتيب .

المبحث الثالث : دور القرآن ودور الحديث .

المبحث الرابع : الأربطة والزوايا .

المبحث الخامس : المجالس العلمية .

المبحث السادس : المدارس .

المبحث السابع : نظم التعليم ووسائله .

المبحث الثامن : الرحلة في طلب العلم .

المبحث الأول : المساجد .

منذ ظهور الإسلام وانتشاره في أصقاع الأرض احتل المسجد مكانة عظيمة في نفوس المسلمين [١] ، ولا أدل على أهميته من أن النبي ﷺ أول ما قدم المدينة قام بالإعداد لبناء المسجد[٢] ، ولأهميته أيضاً أن أفرد له الإمام البخاري في صحيحه أحد أبوابه تحت مسمى : " باب ذكر العلم والفتيا في المسجد "[٣].

ولم يقتصر دور المسجد في الإسلام على مجرد أداء الصلوات الخمس ، بل تجاوز ذلك فصار مؤسسة اجتماعية تربوية ، والنواة الأولية لبث الدعوة الإسلامية ، فقد اتخذه المسلمون مكاناً للعبادة بالإضافة إلى ذلك معهداً للتعليم ، وداراً للقضاء ، وساحة تتجمع فيها الجيوش، ومنزلاً لاستقبال الوفود والسفراء "[٤].

وهكذا يتضح لنا أن من أهم خصائص المسجد في الإسلام أنه منارة علم دائمة ، ومؤسسة تربوية واجتماعية ، ومكان لعقد رايات الجهاد[٥].

ولم يحدث تغيير كبير في خصائص المساجد في الدولة الأيوبية عنها في عصور الإسلام السابقة ، فكانت المساجد تؤدي دورها العلمي من خلال الخطابة وحلقات الدروس، وتؤدي دورها الاجتماعي التربوي كذلك ، كما أنها لم تغفل الدور الجهادي ولاسيما وأن الدولة الأيوبية دولة جهادية[٦].

كما لم يختلف دور المسجد في الحياة العلمية في حماة عنه في مساجد الدولة الأيوبية ، فقد كانت المساجد مفتوحة وحلقات العلم فيها كثيرة ومتنوعة ، وبإمكان الطالب أن ينتقل من حلقة إلى أخرى وفق رغبته ، كما أن الحضور كان بها اختيارياً ، ولكافة الطبقات والأعمار ، فليس هناك قواعد لحضور الطلاب أو انصرافهم ، وليس الطالب مقيداً بالاستماع إلى أستاذ معين ، أو دراسة

---

(١) الوشلي : المسجد ونشاطه الاجتماعي ، ص 102.

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج2، ص 213-217.

(٣) البخاري : صحيح البخاري ، 61/1.

(٤) ابن الحاج : المدخل ، 85/1 ؛ عبد الغني عبود : التعليم مدى الحياة في الإسلام ، ص10.

(٥) الحسين شواط : مدرسة الحديث في القيروان ، 130/1 ؛ الوشلي : المسجد ودوره التعليمي عبر العصور ، ص22-23.

(٦) سعيد عاشور : العلم بين المسجد والمدرسة ، ص116-118.

علم معين ، وليس الشيخ مقيداً بمنهج ثابت ، فكان الطلاب يحضرون على الشيخ الذي يروقهم في حلقته ، فإذا أحب طالب دروس شيخ لازمه وأخذ عنه ، حتى يتخرج على يديه ويجيزه للتدريس فيما بعد فيما أخذه عنه (١).

وامتاز العصر الأيوبي بكثرة المساجد على وجه العموم ، فقد أحصى ابن عساكر ما كان موجوداً من المساجد في دمشق وحدها ، فبلغت مائتين واثنين وأربعين مسجداً فقط ، أما التي في ربضها فقد جاوزت مائة وثمانية وسبعين مسجداً(٢).

ونحن لا نستبعد وجود العشرات من المساجد في مدينة حماة والتي كانت لها أدوار في تنشيط الحياة العلمية بها من خلال الدروس العلمية التي كانت تقام فيها ، وإن شحت المصادر بمعلومات تفيدنا عنها ، ولعل ذلك يعود لعظم الأحداث السياسية التي شهدتها حماة فترة البحث والتي كانت عاملاً مهماً في شحذ همم المؤلفين وتصديهم لتوثيقها في بطون كتب التاريخ ، متشاغلين عن التوسع في توثيق الحياة العلمية بها ، ومراكز العلم المنتشرة في دروبها ، فعند الحديث عن المساجد في مدينة حماة لا يقابلنا وصف واضح أو مفرد لمساجدها أو حلقاتها ، إلاّ ما كان وارداً في سير ملوكها ، وتاريخ صراعها ضد الصليبين والمغول(٣).

وبتتبع بداية ظهور المساجد في مدينة حماة الأيوبية نجد أن أول مسجد بها كان بعد الفتح الإسلامي لها عام 15هـ ، على يد الصحابي أبي عبيدة عامر ابن الجراح ﵁(٤).

وفيما يلي بيان لما توفر لنا من معلومات عن المساجد في حماة فترة البحث :

– الجامع الأعلى أو (الجامع الكبير) .

هو أول الجوامع والمساجد التي رفع فيها اسم الله بحماة ، إذ اشترط أبو عبيدة بن الجراح ﵁ عند دخوله المدينة على من كان يسكنها من الروم نظير الصلح معهم على الجزية والخراج وتحويل كنيستهم العظمى إلى مسجد (٥). وقد عُرف باسم الجامع الأعلى أو الكبير ، أو جامع السوق

---

(١) أحمد الأهواني : التربية في الإسلام ، ص 15 ؛ شوقي الكيلاني : تطور التعليم في حماة مراحله ، مجلة العمران ، عدد 29-30 ، حزيران ، 1969م ، ص 167.

(٢) ابن عساكر : تاريخ دمشق ، 78/1.

(٣) سعيد عاشور : العلم بين المسجد والمدرسة ، ص 19-20 .

(٤) انظر الفصل الأول ، الحياة السياسية.

(٥) أبو الفداء : المختصر ، 200/1.

الأعلى ، قيل بأنه خامس مسجد في الإسلام بعد قباء والأقصى والحرمين الشريفين ، وقد سمي بالجامع الأعلى لتمييزه عن الجامع الأسفل : الجامع النوري " ، وقد شهد هذا المسجد عدداً من الزيادات كانت أولها في عهد المهدي العباسي ، وفي عهد الدولة الأيوبية تم توسعته وترميمه من قبل صاحب حماة المظفر عمر ، حيث زاد فيه وبنى بجواره مدرسة [١] ، وقد ذكر ابن جبير بأن بحماة مسجدين جامعين وأطلق عليهما مسمى " الجامع الصغير والجامع الكبير " [٢]. ووصفه ياقوت الحموي في رحلته بأنه : " جامع كبير يقع على نهر العاصي ، ويشرف عليه، وكان بوسط هذا الجامع بركة ماء تصب به مياه النواعير التي تسقي بساتين حماة "[٣].

ويتميز الجامع الأعلى بمتانة بنائه ، وروعة تصاميمه ، التي مكنت له البقاء إلى اليوم متحديا عوامل الزمن ، فكما أسلفنا كان المسجد معبداً منذ زمن الرومان ، ثم تحول إلى كنيسة كبرى ، وفي ظل الحكم الإسلامي لحماة تحول إلى مسجد عامر يذكر فيه اسم الله تعالى ، ويحوي المسجد مئذنة مربعة الشكل ، إضافة إلى مئذنة أخرى شمالية مثمنة الشكل ، ومنبر خشبي جميل المنظر ، محلى بالنقوش الإسلامية والفسيفساء ، وأما حرم المسجد فيتكون السقف من خمس قباب تقوم على دعائم مربعة[٤].

وممن تولى خطابة الجامع الأعلى فترة البحث الشيخ العلامة عبد الرحمن بن محمد بن موهوب (ت659هـ/1260م) ، حيث اشتهر بفضله وعلمه ، وحسن خطابته ، كما تولى التدريس والإفتاء بالجامع وقد حسنت سيرته وحمدت سريرته [٥]. كما جلس في هذا الجامع ودرّس فيه الشيخ محمد بن عرب الهيتي (ت 684هـ/ 1285م) ، عالم اللغة المعروف ، اشتغل بعلم اللغة العربية في الجامع الكبير ، والجامع النوري بحماة ، انتفع به كثير من طلبة العلم ، فقد كان أسلوبه سهلاً ، سريع المأخذ ، ومن أشهر طلابه وممن درس على يده وأخذ عنه قاضي

---

(١) اليافعي : مرآة الجنان ، 79/2 ؛ الصابوني : تاريخ حماة ، ص 178.

(٢) ابن جبير : الرحلة ، ص 230.

(٣) معجم البلدان ، 200/2.

(٤) محمد علي الحبش : حماة في رحاب التاريخ والجمال ، المجلة العربية ، سنة 25 ، عدد 279 ، ربيع الأخر ، 1421هـ ، ص 47 ؛ هشام عدرة : جوامع ومساجد مدينة حماة السورية القديمة ، روائع معمارية على ضفاف نهر العاصي ونواعير المدينة ، مجلة الحج والعمرة ، السنة 61 ، العدد الأول ، محرم ، 1427هـ ، ص84.

(٥) أبو شامه : ذيل الروضتين ، ص212 ؛ اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، 129/2.

حماة ابن القضامي ، والقاضي محمد بن البارزي وغيرهم كثير [١]. وممن جمع بين التدريس في المسجد الجامع والفتيا به ، الشيخ أبو العرب مخلص الدين إسماعيل بن عمر بن قرناص (ت659هـ/1261م)[٢]. كما درّس وعلّم في الجامع الأعلى أيضاً : الشيخ أبو محمد ابن نصر الله (602هـ/ 1205م-690هـ/ 1291م) ، الذي جمع بين خطابة الجامع الأعلى وبين التدريس بعدة مدارس بحماة منها دار الحديث والمدرسة المؤيدية [٣].

- الجامع الأسفل (جامع النوري) :

من أشهر جوامع حماة بعد الجامع الكبير ، وله عدة مسميات فيطلق عليه الجامع الأسفل ، أو جامع السوق الأسفل ، لأنه يقع في الشطر السفلي من المدينة ، والجامع النوري، نسبة لبانيه السلطان نور الدين زنكي ، ويذكر لنا ابن جبير وصفاً مختصراً له فيقول : " وعلى شطه الثاني - يقصد نهر العاصي - المتصل بالمدينة السفلي جامع صغير ، قد فتح جداره الشرقي عليه طيقاناً يتجلى منها منظر ترتاح النفس إليه ، وتتقيد الأبصار لديه "[٤].

ويذكر المؤرخون أن جامع النوري بني في مكان دير قديم يسمى دير قزما ، وبالقرب من مكان قصر الملك المظفر المعروف بدار السعادة ، ويطل الناظر من نوافذه وسطوحه على بقعة غناء يجري من تحتها نهر العاصي ، مشكلاً فيها بحيرة كبرى ، ويقوم الجامع على ثلاث قناطر مرتفعة ، تتوضع في غربها ، ويتألف الجامع النوري من ثلاثة مداخل أحدها في وجهته الغربية وآخران رئيسان في وجهته الأمامية من الشمال ، وتحتوي هذه الواجهة على ثلاث لوحات كتابية ذات أهمية تاريخية ، اثنتان بالعربية أبرزهما ، يحف بها إطار يتألف من حلقات صغيرة تتخللها عروة وخيوط نباتية وأوراق نباتية محورة ، تبتدئ بالبسملة والهلهلة ، ثم تشير إلى إنشاء الجامع من قبل نور الدين محمود زنكي في سنة (558هـ/1162م) ، ونصها ما يلي : " بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ أمر بعمل هذا الجامع المبارك مولانا الملك

---

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة 299/5.

(٢) ابن العديم : بغية الطلب ، 721/4 ؛ اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، 473/1 ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، 182/6 ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، 413/2.

(٣) ابن حبيب : تذكرة النبيه ، 148/1 ؛ المقريزي : السلوك ، 777/1.

(٤) ابن جبير : الرحلة ، ص 230.

العادل العالم العارف الزاهد نور الدين ركن الإسلام والمسلمين ، محيي العدل في العالمين ، نصير الحق بالبراهين ، قيم الدولة القاهرة عن الملة الزاهرة ، مجير الأمة الباهرة ، حافظ الثغور غياث الجمهور ، قاهر المتمردين قاتل الكفرة والمشركين ، منصف المظلومين ، أبو القاسم محمود بن زنكي بن آقسنقر ناصر أمير المؤمنين في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . انتهى " [١] ، وكان للجامع أوقاف جليلة من قبل السلطان نور الدين ، كما أوقف العديد من أعيان حماة وعلمائها الأوقاف الجليلة عليه حباً في نشر العلم وإعانة الطلبة ، وطلب الأجر والمثوبة من الله، ففوق أحد أبوابه وعلى قطعة من الحجارة وجد ما يستفاد منه أن أحد ملوك حماة وقف لطلبة العلم فيه خمسة عشر ألف درهم في كل سنة استجلاباً لأدعيتهم وإعانة لهم على طلب العلم[٢]. وفي زاوية الجهة العربية تنصب مئذنة الجامع المربعة الرائعة البناء ، حيث يتناوب في بنائها مداميك الحجارة السوداء والبيضاء ، محدثة أشكالاً هندسية جميلة ، أما الحرم فيتكون من الداخل من أروقة ثلاث ذات أقواس محمولة على دعائم مربعة استعيض عن إحداها من الشرق بعمود ذي تاج زهري اللون جميل ، والحرم من الجنوب ملف من قسمين شرقي سقفه ذو خمسة قباب كبار مختلفة الشكل والحجم ، وهو ملحق من قبل الملك أبي الفداء ، ويسمى الروشن ، وقد كان في الأصل مدرسة أشارت إليها كتابة فوق المدخل الشمالي ، والقسم الغربي مستطيل معقود يحتوي على منبر جميل من خشب الأبنوس ، ومصنوع من قبل الباني نور الدين زنكي ، وهو لوحة نادرة في فن العمارة العربية ، تتجلى فيه جميع أنواع الزخارف النباتية والهندسية والكتابية[٣].

وقد ظل هذا المسجد في أداء رسالته الدينية والعلمية حتى عصر مؤرخ حماة أحمد الصابوني ، والذي روى لنا ما حفر على نقش هذا المسجد [٤] ، وفي هذا دلالة على أن الدروس في المسجد النوري لم تنقطع منذ إنشائه وحتى العصر الحديث.

---

(١) الصابوني : تاريخ حماة ، ص 106 ؛ انظر الملحق.

(٢) الصابوني : تاريخ حماة ، ص 106.

(٣) هشام عدرة : جوامع ومساجد مدينة حماة السورية القديمة ، روائع معمارية على ضفاف نهر العاصي ونواعير المدينة ، مجلة الحج والعمرة ، السنة 61 ، العدد الأول ، محرم ، 1427هـ ، ص 88.

(٤) الصابوني : تاريخ حماة ، ص 109 ، هامش : 2.

ومن أشهر العلماء الذين خدموا هذا المسجد وطلابه فترة البحث ، الشيخ الخطيب زين الدين أحمد بن محمد ابن المعيزل ، فقد تولى الخطابة بالجامع الأسفل حتى وفاته عام (699هـ/ 1299م)[١]. وخدم بالجامع الأسفل أيضاً صلاح الدين يوسف ابن المعتزل (ت720هـ/1320م) ، تولى خطابة المسجد ، بالإضافة إلى إلقاء الدروس والمواعظ[٢].

– جامع الحيات :

بناه أبو الفداء إسماعيل ملك حماة ، وكان يسمى أيضاً بجامع الدهيشة ، ويقع في محلة باب الجسر ، وقد امتاز بكبر مساحته واتساعه ، وقد عمل المؤيد لحرمه من جهة الشرق شباكين كبيرين بينهما عمود كبير من الرخام ، على شكل أفاعي ملتفة ، ولهذا سمي بجامع الحيات ، ونقشت أرضية حرمه وجدرانه بالفسيفساء والذهب والرخام الملون ، وعمل له من الغرب شباكان مثل ما في الشرق ، وقد ألحق به خزانة كتب قيمة ضمت ما يقارب سبعة آلاف كتاب في كافة فنون العلم والمعرفة ، وهو من الآثار الخالدة حتى يومنا هذا ، والذي يشهد على روعة البناء وجماله [٣]. ومن العلماء الذين تولوا الخطابة بجامع الدهيشة الشيخ القدوة العلامة أبو الثناء نور الدين محمود الشافعي تولى خطابة جامع الدهيشة بحماة [٤].

– مسجد السلطان :

بناه السلطان بدر الدين حسن ، شقيق الملك أبي الفداء في حي جميل من مدينة حماة يعرف بمحلة الدباغة ، وكان على هيئة جامع الدهيشة ، ففي كل منهما حجارة رخامية محفورة بالآيات القرآنية من يد كاتب واحد ، وفي كل منهما حجارة سوداء في الجدار القبلي مدورة تذكاراً للحجر الأسود ، وقد أوقف السلطان بدر الدين على هذه الجامع أوقافاً جليلة للصرف على عمارته وملحقاته[٥].

---

(١) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 124/8 ؛ أعيان العصر وأعوان النصر ، 98/1.

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، 80/14.

(٣) الصابوني : تاريخ حماة ، ص 103 ، 106 ؛ محمد علي الحبش : حماة في رحاب التاريخ والجمال ، المجلة العربية ، سنة 25 ، عدد 279 ، ربيع الآخر ، 1421هـ ، ص 47.

(٤) الصابوني : تاريخ حماة ، ص 157.

(٥) المصدر السابق ، ص 106 محمد علي الحبش : حماة في رحاب التاريخ والجمال ، المجلة العربية ، سنة 25 ، عدد 279 ، ربيع الآخر ، 1421هـ ، ص 47.

- **جامع القاق ، أو (جامع القان) :**

يقع جامع القاق بجوار بيت القاضي شرف الدين هبة الله البارزي (ت738هـ/ 1337م) ، وهو مسجد يحوي حلقات علم في فنون مختلفة ، ويؤمه العلماء وطلبة العلم ، منهم الشيخ جمال الدين ابن مالك ، والذي نظم " الألفية " به ، فيذكر ابن الوردي في تاريخه على لسان الشيخ شرف الدين هبة الله البارزي أنه قال : " نظم الشيخ جمال الدين الخلاصة " الألفية " بحماة برسم اشتغالي فيها ، وكنت شاباً ، وخدمته ، ولقد رأيت بركة خدمتي له "[١].

- **جامع الحسنين :**

في محلة المدينة ، كان قديماً ، قام بتجديده السلطان نور الدين زنكي[٢].

- **جامع المدرسة العصرونية :**

وهو ملحق بالمدرسة العصرونية [٣] ، ويقع عند باب حمص على نهر العاصي قرب بستان الجبل ، وله أوقاف جليلة للصرف عليه[٤].

- **جامع العزي :**

بناه الشيخ محمد بن حمزة العزي في محلة باب الجسر ، ومرسوم على جدار الجامع لوحة تبين سنة إنشائه وهي سنة (657هـ/1258م)[٥].

---

(١) مجلة المعرفة (السورية) ، العدد 154 ، كانون الثاني ، 1974م ، عدد خاص عن أبي الفداء ، ص 178.

(٢) الصابوني : تاريخ حماة ، ص 107.

(٣) انظر الفصل الرابع مبحث المدارس من هذه الرسالة.

(٤) الصابوني : تاريخ حماة ، ص 107.

(٥) المصدر السابق ، ص 107.

المبحث الثاني : الكتاتيب .

الكُتَّاب هو محل تعليم الصبيان ، ويقال : إن هذا من اللحن الدارج ، فقد ذكر ابن منظور : أن المكْتب هو موضوع الكتاب ، والمكتب والكتاب موضوع تعليم الكتاب ، والجمع الكتاتيب والمكاتب ، ثم أورد قول المبرد : " المكتب موضوع التعليم والمكتِب : المعلم ، والكتاب : الصبيان ، قال : ومن جعل الموضوع الكتاب فقد أخطأ "[١] ، إلا أن الظاهر أن هذا لم يكن متفقاً على كونه لحناً في اللغة ، فقد جاء في مختار الصحاح أن الكتاب والمكتب واحد[٢] ، وليس هناك ما يمنع أن يكون الكتَّاب هو الكتبة ، ثم اتسع استعمال الكلمة في الموضع الذي يتعلم فيه الصبيان الكتابة.

ودور الكتاتيب دور قديمة ، فلم يزل الناس في كل مجتمع يجتمعون على وضع نظام تعليم الصبيان ، وقد وجدت هذه الدور في العصر النبوي ، فقد جاء عن أم سلمة أنها بعثت يوماً إلى معلِّم الكتاب : " ابعث إليَّ غلماناً ينفشون صوفاً ، ولا تبعث إليَّ حراً "[٣].

وقد انتشرت الكتاتيب في جميع أرجاء العالم الإسلامي عبر العصور المختلفة ، وشهدت توسعاً ملحوظاً في العصر الأيوبي ، ثم كان امتداد ذلك في العصر المملوكي لاحقاً ، وصارت الكتاتيب المدد الأول للمدارس السنية التي كثرت في هذا العصر ، كما كانت تهدف إلى أن تكون بداية لتعليم الأولاد على المنهج الأقوم والطريق الأرشد [٤] ، ففي الكتاتيب يتعلمون الكتابة والخط ، وشيئاً من المسائل الفقه ية ، وبعض متون الحديث ، وأصول الحساب ، وما يعين على إظهار دين الله ومعرفة أحكامه[٥].

ويعود الفضل في نشر الكتاتيب في بلاد الشام وغيرها إلى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ ، حيث كتب إلى أمير الشام في زمنه يزيد بن أبي سفيان يذكر له حاجة أهل الشام إلى من يقرئهم القرآن ، فأرسل لهم ثلاثة من الصحابة من أهل المدينة ممن حفظ القرآن

---

(١) لسان العرب ، 3817/6 ، مادة كتب.

(٢) الرازي : مختار الصحاح ، ص 495 ، مادة كتب.

(٣) ابن حجر : فتح الباري ، 53/12 .

(٤) ابن الحاج : المدخل ، 457/2-458.

(٥) ابن الأخوة : معالم القربة ، ص 170 ؛ ابن الحاج : المدخل ، 452/2.

فقاموا بتعليم الناس[١]، وكان يقوم على أمر هذه الكتاتيب : الفقيه أو المعلم ، و قد روعي أن يكون صحيح العقيدة ، أميناً على عمله ، وعالماً بما يقوم به ، متزوجاً[٢].

وقد روعي عند إقامة الكتاب أن يكون بعيداً عن الأسواق ، مع ضرورة صرف الباعة من بابه ، حتى لا يتلهى الصبيان بما في أيديهم عن الدرس ، فإن تعذر فعلى شوارع المسلمين ، ويكره أن يكون الموضع بمكان غير مسلوك للناس أو في القرافة ، أو أن يكون في المساجد لحديث النبي ﷺ : " جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم "[٣] ، لذا فكانت تلحق بجانب المساجد أو المدارس أو الأربطة أو أعلى الأسبلة [٤]. وحدد سن معين لدخول الكتاب وهو السبع سنوات ، وإن كان بعض الآباء يلحقون أبناءهم في سن أقل ليستراح من تعبهم[٥].

ودأب أهالي حماة على تعليم أولادهم ، فكانوا يدفعون بهم إلى المكتب من سن الخامسة أو السادسة ، فقد أشار الشيرازي إلى ذلك بقوله : " ومن كان عمره فوق سبع سنين أمره المؤدب بالصلاة[٦] ، وهذا النص يشير إلى دخول الصبي المكتب قبل ذلك .

ويستمر الطالب في المكتب في حفظ للقرآن ، أو سماع للحديث ، أو تعلم للفقه ، أو اشتغال بالقراءة والكتابة والخط حتى سن البلوغ [٧] ، ثم ينتقل إلى المدارس أو المساجد التي تروق له ليلتحق بإحدى حلقاتها ، وإن لم يرغب فينصرف لشؤون الحياة.

وقد خصصت بحماة كتاتيب لتعليم القرآن الكريم وأخرى لتعليم القراءة والكتابة مثلها مثل بقية مدن الشام كدمشق وحلب وغيرها – فترة الدراسة – فيوضح لنا ابن جبير في رحلته عن الكتاتيب في بلاد الشام ومصر وكيفية التعليم فيها ، فيقول : " وتعليم الصبيان للقرآن بهذه البلاد المشرقية كلها إنما هو تلقين ، ويُعلَّمون الخط في الأشعار وغيرها ، تنزيهاً لكتاب الله

---

(١) سعيد الديوه جي : التربية والتعليم في الإسلام ، منشورات مكتبة بسام ، العراق ، ص 16.

(٢) السبكي : مبيد النعم ، ص 130 ؛ ابن الحاج : المدخل ، 457/2.

(٣) ابن ماجة : السنن ، في كتاب المساجد ، (ح 750) ، وقال الألباني في صفة صلاة النبي ﷺ (ص 391) : ضعيف ، لا يحتج به اتفاقاً . وممن ضعفه ابن الجوزي ، والمنذري ، والهيثمي ، والحافظ ابن حجر العسقلاني ، والبوصيري.

(٤) ابن الحاج : المدخل ، 458/2.

(٥) المصدر السابق ، 457/2-459.

(٦) نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص 103.

(٧) ابن حبيب : تذكرة النبيه ، 410/3.

ﷺ عن ابتذال الصبيان له بالإثبات والمح و ، وقد يكون في أكثر البلاد الملقن على حدة ، والمكتب على حدة ، فينفصل التلقين عن التكتيب ، ولهم في ذلك سيرة حسنة . ولذلك ما يتأتى لهم حسن الخط ، لأن المعلم له لا يشتغل بغيره ، فهو يستفرغ جهده في التعليم والصبي في التعلم كذلك ، ويسهل عليه لأنه بتصوير يحذو حذوه "(١).

وكان التعليم يتم عن طريق التلقين ، بحيث يجلس المعلم ، ويجلس الصبية أمامه فيلقنهم القرآن ، ويختار المؤدب من القراء الكبار والعلماء والفقهاء والأدباء(٢).

وتبدأ الدراسة بالكتاتيب يومياً من طلوع الشمس وحتى العصر ، وكان يوم الثلاثاء ويوم الجمعة عطلة رسمية ، بالإضافة لعطلات العيدين والتي تتم قبل العيد بيوم أو يومين أو ثلاثة(٣).

ثلاثة(٣).

وتبدأ الدراسة بالقرآن فيحفظ الصبي صغار السور ، بعد معرفته للحروف وضبطها ، ثم عقائد السنن كقواعد الإسلام الخمس والوضوء والصلاة ، وأصول الحساب والخط ، مع التدريب على الحفظ والكتابة(٤). ومن المعلمين من اختص بتعليم أولاد السلاطين والوزراء وكبار وكبار رجالات الدولة ، ولم يكن يتولى هذه المهمة إلا كبار العلماء والأفاضل من الأدباء(٥).

أما منهج المكتب ؛ فقد وضع الشيزري طريقة التعليم به فرتب المنهج الدراسي به بقوله: " وأول ما ينبغي للمؤدب أن يعلم الصبي السور القصار من القرآن ، بعد حذقه بمعرفة الحروف وضبطها بالشكل ، ويدرجه بذلك حتى يألفه طبعه ، ثم يعرفه عقائد أهل السنة والجماعة ، ثم أصول الحساب ، وما يستحسن من المراسلات والأشعار دون سخيفها ومسترذلها. وفي الرواح يأمرهم المؤدب بتجويد الخط على المثال ، ويكلفهم عرض ما أملاه عليهم حفظا غائبا لا نظرا.

---

(١) ابن جبير : الرحلة ، ص 244-245.

(٢) المصدر السابق ، ص 244-245

(٣) ابن الحاج : المدخل ، 462/2.

(٤) ابن الحاج : المدخل ، 459/2 ؛ علي السيد علي : القدس في العصر المملوكي ، ص 159.

(٥) عسيري : الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي : ص 220-221.

ومن كان عمره فوق سبع سنين أمره المؤدب بالصلاة في جماعة ، لأن النبي ﷺ قال : " مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عش ر وفرقوا بينهم في المضاجع "[١] ، ويضربهم على إساءة الأدب والفحش من الكلام ، وغير ذلك من الأفعال الخارجة عن قانون الشرع ...، ولا يضرب صبيا بعصا غليظة تكسر العظم ، ولا رقيقة تؤلم الجسم ، بل تكون وسطا ، ويتخذ مجلدا عريض السير ، ويعتمد في ضربه على اللوايا والأفخاذ وأسافل الرجلين ؛ لأن هذه المواضع لا يخشى منها مرض ولا غائلة"[٢].

وقد حددت نظم العقوبة داخل الكتاتيب ، بحيث يتم تأديب الأطفال لإصلاحهم ، وذلك بالتدريج ، فيبدأ المعلم تأديب الصبي من خلال العبوس في وجهه ، ثم يتدرج إلى توبيخه، واستخدام أسلوب التغليظ والتهديد ، فإن لم يُجْدِ نفعاً فيقوم بضربه ضرباً غير مبرح ، عادة ما يكون على أسفل الرجلين أو الأفخاذ أو غيرها من المواضع التي لا يخشى منها مرض ولا غائلة ، ويكون الضرب بعصا وسط لا هي بالغليظة التي تكسر العظام أو الرقيقة التي لا تؤلم[٣] ، ويعتبر هذا النوع من التأديب هو النوع الوسط الذي يصل .ح الأولاد ، وأن التأديب الشديد يؤثر تأثيراً سلبياً على نفسية الصبي ، فيحمله على الكذب وغير ذلك من الصفات المذمومة ويؤكد على ذلك ابن خلدون بقوله : " ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو الخدم سطا به القهر ، وضيق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه إلى الكسل ، وحمل على الكذب والخبث ، وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه ، وعلمه المكر والخديعة لذلك ، وصارت له هذه عادة وخلقاً ، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن ، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله ، وصار عيالاً على غيره في ذلك ، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها ، فارتكس وعاد في أسفل سافلين... فينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده أن لا يستبد عليهما في التأديب "[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود والإمام أحمد وصححه الألباني ، أبو داود ، السنن ، في كتاب الصلاة باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، (ح 495-496) ، وأحمد : المسند ، (187/2) ، إرواء الغليل : الألباني ، (266/1).

(٢) نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص 103-104.

(٣) ابن الأخوة : معالم القربة ، ص 171 ؛ المدخل : ابن الحاج ، 460/2.

(٤) ابن خلدون : المقدمة ، ص 1253.

وكان الصبي يتخرج من الكتاب وهو حافظ للقرآن الكريم ، وشيء من متون الأحاديث ، وعقائد السنن ، وأصول الحساب ، ويكون عارفاً بالخط ، متعلماً لسلوكيات التهذيب والتقويم من بر الوالدين ، والانقياد لهم بالسمع والطاعة ، ومراعياً لقواعد الآداب والكلام ، وغير ذلك من أولويات الذوق السليم(١).

وقد دونت المصادر حادثة الزلزلة المؤسفة التي مات فيها جمع كبير من الناس ومنهم صبيان أحد المكاتب بحماة ، وقد استمرت الزلازل في عامي (551هـ-552هـ)/ (1156م-1157م) ، هلك بسببها خلق كثير لا يعلمهم إلا الله ، وتهدم أكثر حلب وحما ة وشيزر ... وتهدم أسوار أكثر مدن الشام ، حتى إن مكتبا من مدينة حما ة أنهدم على من فيه من الصغار فهلكوا عن آخرهم فلم يأت أحد يسأل عن أحد منهم(٢).

وكان ابتداؤها في شهر الله رجب سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ، واستمرت عدة أشهر هلك بها من ملك من الخلق ، وكان نحوا من عشرة آلاف نسمة (٣).

---

(١) ابن الأخوة : معالم القربة ، ص 171.

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، 236/12.

(٣) أبو شامة : الروضتين في أخبار النورية والصلاحية ، 115/1.

المبحث الثالث : دور القرآن ودور الحديث[1].

* أولاً : دور القرآن الكريم .

لقي تعليم القرآن الكريم وعلوم القراءات في العصر الأيوبي ببلاد الشام عناية كبرى، فقد كان الناس مكثرين من الاعتناء بتلاوة القرآن العزيز تعلماً وتعليماً ، وعرضاً ودراسةً في جماعات وفرادى مجتهدين في ذلك بالليالي والأيام[2].

وراجت هذه المدارس وكثر طلابها ، وذلك لحرص أهل حماة على أخذ القرآن وتلقيه من شيوخه وأعلامه.

وكانت دور تعليم القرآن بحماة مقامة على هيئة مبانٍ إما مستقلة يتم بناؤها لهذا الهدف ، أو مبان ملحقة بالمدارس.

وكان الأسلوب السائد في تعليم القرآن وعلومه هو أسلوب المشافهة. وهذا لأن القرآن لا يصح أخذه إلا بالتلقين والمشافهة ، لأن الأداء يحتاج إلى تعليم مخارج الحروف وكيفية إخراج الغنة ، وصوت القلقلة وما إلى ذلك ، ولا يمكن تعلم هذا على الوجه الصحيح إلا بالمشافهة ، وهذا الذي درج عليه المقرئون منذ عهد النبي ﷺ ولذا يقول الصحابي الجليل ابن مسعود ﷺ : " قرأتُ مِنْ في رسول الله ﷺ بِضْعاً وسَبْعين سُورَةً "[3].

فقوله : " من في رسول الله " أي من فم رسول الله ﷺ فيدل على ضرورة أخذ القرآن بالتلقي.

---

(١) دور القرآن ودور الحديث هي مراكز علمية من حيث الجملة ، لكن تعنى دور القرآن بتدريس القرآن ، وتعنى دور الحديث بتدريس الحديث ، فهي مدارس متخصصة ، وقد أفردت بالدراسة لتميزها وكثرتها.

(٢) النووي : التبيان في آداب حملة القرآن ، ص 8.

(٣) النسائي : السنن ، 277/2 ؛ وقال الألباني : إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين . انظر : السلسلة الصحيحة ، 28/7.

وقد دأب المقرئون في حماة على اتخاذ هذا الأسلوب في التعليم ، رغم ما يكتنفه من صعوبة في الأداء وحاجة الملقن فيه إلى الصبر والمجاهدة[١].

إلا أن كثرة الطلبة ، قد تجعل المقرئ يستمع لأكثر من طالب في آن واحد ، وهي عملية مرهقة ولا يستطيعها كل أحد ، وينقل لنا الذهبي صورة من ذلك فيقول : وكان الإمام علم الدين السخاوي يَقْرَأُ الاثنان والثلاثة في آن واحد ، وهو يرد على الجميع[٢].

وقد صنف في هذا العصر الكثير من الكتب التعليمية التي تبين طرق وأساليب تعلم القرآن ، وبينت هذه الكتب ما ينبغي على قارئ القرآن والمقرئ من الآداب في التعليم والتعلم منها كتاب : " جمال القراء وكمال الإقراء " للإمام علم الدين السخاوي (ت643هـ/1245م)، فإنه عقد فصلاً في كتابه سماه حامل القرآن ومتعلمه ومعلمه وما يطلب به حملة القرآن ، وكيف كان قراء السلف والصدر الأول يقرئون القرآن ، سرد فيه بعض الأحاديث الواردة في ذلك ، ترغيبا في تعلم القرآن وتعليمه ، وعرض فيه إلى مسائل مهمة ، تتعلق بهذا العلم وتدريسه كمسألة حمل القرآن في السفر إلى بلاد الكفار ، ومسألة النهي عن الاستخفاف بالقرآن بالقول والفعل ، ومسألة تجزئة القرآن إلى أحزاب ، وغيرها من المسائل ، كما تطرق إلى صفات معلم القرآن ، وغير ذلك [٣]. كما كان لشرف الدين النووي (ت676هـ/1277م) كتاب " التبيان في آداب حملة القرآن " ، وهو من أشهر الكتب التي ألفت في هذا الفن ، ويعد مصدراً لكل الدارسين لعلوم القرآن ، حيث اشتمل على أبواب خصص منها ثلاثة لذكر صفات معلم القرآن ومتعلمه ، وأدرج فيها أساليب وطرقاً في تعليم القرآن الكريم [٤]. وقد اعتمد الطلاب في تعلم القراءات على الكتب المشهورة فيها ، مثل كتاب " التيسير في القراءات السبع " لأبي عمرو بن عثمان بن سعيد الداني (ت444هـ/1052م)[٥] ، وكتاب " الكنز في القراءات العشر " للإمام نجم الدين بن عبد الله

---

(١) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، 8/586-587.

(٢) تذكرة الحفاظ ، 2/1376.

(٣) جمال القراء ، 1/102-117.

(٤) التبيان في آداب حملة القرآن ، ص 17-36.

(٥) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ص 1120-1121.

بن عبد الواحد الواسطي [١]، و " حرز الأماني ووجه التهاني " للشاطبي ، وهي المنظومة المشهورة بالشاطبية ، وتعتبر العمدة في تعليم القراءات [٢].

ومن دور القرآن الكريم التي اشتهرت بحماه فترة البحث :

– المدرسة العصرونية (المدرسة النورية الشافعية) :

أنشأها نور الدين زنكي إكراماً لشرف الدين بن أبي عصرون [٣] ، وتتكون المدرسة من إيوانين ، وهي من المدارس القليلة التي تتصف بهذه الصفة ، وتقع على ضفة نهر العاصي ، قرب بستان الجبل القريب من باب حماة ، وملحق بها جامع ، ولها أوقاف كثيرة جداً ولاسيما نواحي شيزر[٤].

والمدرسة مخصصة لتعليم القرآن الكريم ، وتضم سكناً لإيواء الطلاب الفقراء القادمين من خارج حماة ، ويتولى التدريس بها شيخان ، وحددت مدة الإقامة لكل طالب مغترب بخمس سنوات ، فإن ختم القرآن الكريم أو انقضت المدة المحددة فيكسى ثوباً أو جبة ، كما ورد بالنقش عبارة تناشد الطلاب الدعاء لواقف المدرسة ولوالديه وللمسلمين[٥].

وقد ورد في المصادر الحديثة أنها مازالت قائمة إلى اليوم[٦].

– مدرسة دار القرآن :

تنسب إلى منشئها محمد بن أبي بكر الشافعي ، وتقع في محلة باب حمص من حي الباشورة والشيء المستطرف أن واقف هذه المدرسة جعلها مقتصرة على العزاب دون

---

(١) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ص 3–4 ؛ الجزري : غاية النهاية ، 128/2.

(٢) المصدر السابق ، 20/2 ؛ عبد المهدي : المدارس في بيت المقدس ، 17/1.

(٣) هو شرف الدين أبو سعد ، عبد الله بن محمد بن هبة الله علي بن المطهر أبي عصرون (ت 585هـ/1189م) ، استقدمه نور الدين من سنجار ، وأقام له مدارس في دمشق وحماة وحمص ومنبج وبعلبك . النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، 304/1 ؛ جودة : المدارس العصرونية ، ص 9 ، 17 ، 42.

(٤) أحمد رمضان : المجتمع الإسلامي ، ص 145.

(٥) الصابوني : تاريخ حماة ، ص 112 ؛ صادق جودة : المدارس العصرونية ، 184.

(٦) كرد علي : خطط الشام ، 124/6–125 ؛ الصابوني : تاريخ حماة ، ص 112.

المتزوجين[1]. وممن تولى الإقراء بحماة الشيخ ابن الفقاعي الحموي (ت715هـ/1315م)، له معرفة بالقراءات ، وهو حسن الأداء في القراءة ، خبير بالتجويد[2]. والشيخ محمد بن أيوب بن عبد القاهر الإمام بدر الدين (ت705هـ/ 1305م ، شيخ القراء بحماة الحنفي الحلبي ، تتلمذ على يد علماء عصره في القراءات ، وقرأ بنفسه وتميز وصنف ، أخذ عنه الكثير من علماء عصره[3]. والشيخ هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله ، العلامة شرف الدين أبو القاسم بن البارزي الحموي ، قرأ بالسبع على البدر محمد التا دفي ، وأجازه الكمال الضرير ، وحدّث عن أبيه وجدّه . له مؤلف في علم القراءات " الشرعة في قراءات السبعة "[4]، وشرح الشاطبية وسماه الفريدة البارزية في حل الشاطبية[5].

وممن اشتهر من المقرئين بحماة ، ممن نظن أنهم تنقلوا للإقراء على دور القرآن والمساجد والمدارس : خضر بن عبد الرحمن الحموي (ت681هـ/1282م)، المقري شيخ حماة ، قرأ على أبي الحسن علي بن محمد السخاوي ، وعمر دهراً وكان حاذقاً عارفاً فن القراءات ، قرأ عليه إسماعيل بن محمد بن الفقاعي وغيره ، وحدث عنه أبو الحسين بن اليونيني[6]. كذلك إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن الفقاعي الحموي الحنفي (ت715هـ/1315م) ، مقرئ مجود ، شرح " نونية " السخاوي[7].

---

(١) قدري الكيلاني : تطور التعليم في حماة ومراحله ، مجلة العمران ، عدد خاص عن حماة ، وزارة البلديات ، دمشق ، السنة الرابعة ، العدد 29-30 ، حزيران ، 1969م ، ص 169 ؛ عدنان قيطار : الحركة الفكرية في مدينة حماة قديماً وحديثاً ، مجلة العمران ، 29-30 ، 1969م ، ص 173.

(٢) الغزي : الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، 181/1.

(٣) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 248/1.

(٤) يريد علماء القراءات بالأصول الأحكام الكلية المطردة الجارية في كل ما تحقق فيه شرط ذلك الحكم كالمد والقصر والإظهار والإدغام والإقلاب وغيرها ، والمراد بالفرش ما يذكر في السورة من كيفية قراءة كل كلمة قرآنية مختلف فيها بين القراء مع عزو كل قراءة إلى صاحبها ، ويسمى فرش الحروف وسماه بعضهم بالفروع مقابلة للأصول . انظر : أحمد سعيد الخطيب : المعنى القرآني في ضوء اختلاف القراءات ، 26/1.

(٥) الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ، 431/1 ؛ عدنان قيطار : الحركة الفكرية في مدينة حماة قديماً وحديثاً ، مجلة العمران ، 29-30 ، 1969م ، ص 174.

(٦) الجزري : غاية النهاية ، 118/1 ؛ الذهبي : معرفة القراء الكبار ، 687/2.

(٧) الجزري : غاية النهاية ، 73/1.

*** ثانياً : دور الحديث :**

حرص سلاطين آل أيوب على إحياء علوم السنة ، مناهضة للتشيع الذي كان في البلاد ، فأكثروا من بناء دور الحديث وأوقفوا عليها الأوقاف السخية التي تقوم بشئونها[١].

وتعتبر دور الحديث من مبتكرات نور الدين زنكي ، فهو أول من بنى داراً للحديث على وجه الأرض[٢]. وقد حظيت حماة بمثل هذا النوع من المدارس باعتبارها كانت مركزاً من أهم المراكز العلمية في الدولة الأيوبية. وكانت تدرس بها كتب الحديث المشهورة مثل الكتب الأمهات الستة وهي صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وسنن الترمذي ، وسنن النسائي ، وسنن أبي داود وسنن ابن ماجه ، وهي الأساس لدراسة الحديث والتأليف فيه[٣].

واختلف في السن الذي يقبل فيه تحمل رواية الحديث عند المحدثين ، فقيل عند سن خمس سنين[٤] ، وقيل في سن العاشرة وعليه أهل البصرة ، وقيل عند قرب عشرين سنة ، وعليه وعليه أهل الكوفة [٥] ، وقيل ثلاثين سنة وعليه أهل الشام [٦] ، وقيل غير ذلك ، والظاهر أن مرادهم حيث يضبطه ، ولذا فإذا كان منضبطاً في الكتب ؛ فتكون السن حيث يفهم الصبي، قال السيوطي : والصواب في هذه الأزمان التبكير به من حين يصح سماعه وبكتبه وتقييده حين يتأهل له ، ويختلف باختلاف الأشخاص [٧]. ولذلك فقد كان الطلاب بدور الحديث متفاوتي السن ، فقد نجد فيهم الشيخ الكبير والشاب في مقتبل العمر ، شأنها شأن دور القرآن الكريم ، خلاف الكتاتيب والمدارس.

---

(١) بدوي : التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني ، ص 289.

(٢) عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص 288 ؛ ناجي معروف : نشأة المدارس المستقلة في الإسلام ، ص 14.

(٣) بدوي : الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ، ص 126.

(٤) ابن الصلاح : علوم الحديث ، ص 129.

(٥) ابن النفيس : المختصر في علوم أصول الحديث النبوي ، ص 133.

(٦) السيوطي : تدريب الراوي ، 5/2.

(٧) السيوطي : تدريب الراوي ، 5/2.

وقد اتبع العلماء في تدريس الحديث طرقا اصطلح عليها بينهم بطرق تحمل الحديث، وألفاظ الأداء ، فطُرُق تحمل الحديث ثمانية وهي : السماع من لفظ الشيخ القراءة على الشيخ، الإجازة ، المناولة ، الكتابة ، الإعلام ، الوصية ، الوجادة ، وأعرض لها مع بيان ألفاظ الأداء لكل منها باختصار.

1- السماع من لفظ الشيخ : بأن يقرأ الشيخ ، ويسمع الطالب ، والسماع أعلى أقسام طرق التحمل عن الجماهير . ويؤدي الطالب بلفظ : سمعت ونحوه.

2- القراءة على الشيخ : ويسميها أكثر المحدثين عَرْضاً ويؤدي الطالب بـأخبرني ، وقرأت عليه.

3- الإجازة : وهي الإذن بالرواية لفظا أو كتابة بأن يقول الشيخ لأحد طلابه : أَجَزْتُ لك أن تروي عني صحيح البخاري مثلاً ، ويؤدي الطالب بأجاز لي فلان.

4- المناولة : مقرونة بالإجازة : بأن يدفع الشيخ إلى الطالب كتابه ويقول له : هذا روايتي عن فلان فاروه عني ، ثم يبقيه معه تمليكاً أو إعارة لينسخه ، فتجوز الرواية بها ، ويؤدي الطالب بناولني وأجاز لي.

5- الكتابة : بأن يكتب الشيخ مَسْمُوْعَهُ لحاضر أو غائب بخطه أو أمره ، ويؤدي الطالب بكتب إلى فلان، وهي إما مقرونة بالإجازة : كأجزتك ما كتبت لك أو إليك ، وهي في الصحة والقوة كالمناولة المقرونة. أو مُجَرَّدة عن الإجازة : كأن يكتب له بعض الأحاديث ويرسلها له ، ولا يجيزه بروايتها والصحيح الجواز عند أهل الحديث لإشهارها بمعنى الإجازة.

6- الإعلام : بأن يخبر الشيخ الطالب أن هذا الحديث أو هذا الكتاب سماعه ، والرواية بها موضع نزاع ويقول الطالب في الأداء : أعلمني شيخي بكذا.

7- الوصية : بأن يوصي الشيخ عند موته أو سفره لشخص بكتاب من كتبه التي يرويها . والرواية بها موضع نزاع و يقول الطالب في الأداء : أوصى إلى فلان بكذا أو حدثني فلان وصية .

8- الوِجَادَة : بأن يجد الطالب أحاديث بخط شيخ يرويها ، يعرفه الطالب ، وليس له سماع منه ولا إجازة . والرواية بها من باب المنقطع ، لكن فيها نوع اتصال . ويقول الواجد : وجَدْتُ بخط فلان أو قرأت بخط فلان كذا ثم يسوق الإسناد والمتن[1].

وقد انتشرت دور الحديث بالشام ومنها: دار الحديث بحماة :

وكانت مختصة بتدريس علوم الحديث النبوي الشريف ،كما هو ظاهر من اسمها [2].

وممن تولى التدريس بدار الحديث بحماة الشيخ أبو محمد بدر الدين عبد اللطيف (ت690هـ/1291م)[3].

العمارة والإدارة في دور الحديث ودور القرآن :

عمارة دور الحديث والقرآن :

لم تختلف كثيراً دور الحديث في بنائها عن بناء المدارس في ذلك العصر ، وإن كان تخطيطها المعماري أقل سعة من المدرسة ، لأنها مقصورة على تدريس القرآن أو الحديث على الخصوص[4].

فتحتوي الدار على صحن مكشوف ومسجد ومكتبة وبئر ماء للشرب ، إضافة إلى خلوات تدريس الطلاب وحمام ، وبعضها كان يحوي سكناً خاصاً لشيخ الدار حيث يقيم فيه، إضافة إلى سكن مهيأ للعلماء الوافدين على الدار ، وبعضها كان يلحق بها الرباط الخيري لسكنى الغرباء النازلين على الدار[5].

الهيئة الإدارية ومهامها وما يصرف لهم من رواتب :

(١) ابن حجر : نخبة الفكر ، 231/1 ؛السيوطي : تدريب الراوي ، 8/2 ؛ الطحان : تيسير مصطلح الحديث ، 85/1.

(٢) ابن حبيب : تذكرة النبيه ، 148/1 ؛ عدنان قيطار : الحركة الفكرية في مدينة حماة ، ص29-30 ،ص 172.

(٣) ابن حبيب : تذكرة النبيه ، 148/1 ؛ المقريزي : السلوك ، 1 ، ق 777/3.

(٤) ابن طولون : القلائد الجوهرية ، 139/1 ؛ أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها (العصر الأيوبي) ، 103/2.

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، 26/7 ؛ النعيمي : الدارس ، 29/1-30 ؛ ابن طولون : القلائد الجوهرية ، 146/1.

– **الناظر** : وهو الذي يباشر بعمارة الدار وما هو موقوف عليها وعلى أهلها قدر الحاجة إليها من زيت وشمع وقناديل ومصابيح وتعاليق وحصر وبسط للمسجد ، ولسائر ما تحتاج إليه الدار من أدوات تنظيف ومكانس ، وأن يصرف ما هو مقرر من الأوقاف على الشيخ المحدث والإمام والقراء والطلبة وغيرهم[١].

– **نائب الناظر** : وينوب عن الناظر في كل شئون الوقف.

– **الإمام والمؤذن** : ويقومان بوظيفتي الإمامة والتأذين في الخمس صلوات والإمامة في التراويح ، ويصرف له راتب شهري من الوقف.

– **خازن المكتبة** : وعليه الاهتمام بترميم الكتب وإعلام الناظر ونائبه بما تحتاجه المكتبة من كتب أو إصلاحات وترميم.

– **القيم** : وهو الذي يقوم بخدمة الدار وتدبير شؤونها ، كالبواب ، وغيرهم[٢].

أما الهيئة التعليمية لدور الحديث فتتكون من :

- **شيخ الدار** : وهو المحدث ، ويشترط فيه أن يجمع بين علم الحديث رواية [٣] وعلم الحديث دراية[٤].

- **قارئ الحديث** : وهو أحد الطلاب النابهين ، ويكون ممن يحسن القراءة.

- **طلاب الحديث** ، أو مستمعو الحديث.

- **المقرئ** : ومهمته أن يعقد حلقة للإقراء والتلقين ، ويشترط فيه أن يكون حافظاً للسبع عرافاً بها[٥].

---

(١) السبكي : فتاوى السبكي ، 109/2.

(٢) المصدر السابق ، 110/2 .

(٣) علم الحديث رواية : " هو علم يشتمل على أقوال النبي ﷺ ، وأفعاله ، وروايتها ، وضبطها ، وتحرير ألفاظها . انظر : السيوطي : تدريب الراوي : 4/1 ؛ الصنعاني : توضيح الأفكار : 6/1.

(٤) علم الحديث دراية : علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن ، لمعرفة الصحيح من غيره السيوطي: تدريب الراوي: 4/1 ؛ الصنعاني : توضيح الأفكار : 6/1 ؛ الطحان : معجم المصطلحات الحديثية ، 30/1.

(٥) السبكي : فتاوى السبكي ، ص 111.

المبحث الرابع : الأربطة والزوايا .

الأربطة :

الرباط : الملازمة ، وهي كلمة في الأصل تشير إلى الجهاد ، فأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ، ثم صار لزوم الثغر رباطاً[١] ، قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ [٢] ، ثم أطلق اسم الرباط على الأبنية المعدة للجهاد القريبة من ثغور المسلمين بينهم وبين أعدائهم ، فيبقى المدافعون فيها لدفع خطر العدو لئلا يهجم على المسلمين ، ومن المتوقع أن تكون فيه حياة عسكرية ، وتلازمها الحياة الدينية المتميزة لرفع المعنويات ، فلما ضعف خطر المسيحية على المشرق الإسلامي ، أخذ الرباط يفقد الطابع الحربي ، وتغلب عليه الصفة الدينية[٣] ، ومن هنا صارت الأربطة[٤] مكاناً روحياً فغلب الاسم على المكان الذي ينزل به الصوفية[٥].

والزوايا : مفردها زاوية ، وهي مشتقة من الفعل انزوى ينزوي ، بمعنى اتخذ ركناً من أركان المسجد للاعتكاف والتعبد ، ثم تطورت إلى أبنية صغيرة منفصلة في جهات مختلفة من المدينة ليقيم بها الصوفية والغرباء والطلبة[٦] ، أو هي المسجد غير الجامع ليس فيه منبر ، وأقيم كمأوى للمتصوفين والفقراء ، والجمع : زوايا[٧].

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، ج 3 ، ص 1561 ، مادة ربط.

(٢) الأنفال ، آية : 60.

(٣) سعيد عاشور : المجتمع المصري ، ص 168.

(٤) وقد يطلق على الأربطة : خانقاوات وخوانق ، بمعنى البيت بالفارسية ، وقيل أصلها خونقاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك ، وجعلت لانقطاع الصوفية فيها لعبادة الله تعالى ، حسب زعمهم ، وقد ظهرت الخوانق في الإسلام في حدود الأربعمائة من الهجرة ، في الوقت الذي كثرت فيه الصوفية وتعددت مشيخاتها . المقريزي : الخطط ، ج 2 ، ص 414 ؛ سعيد عاشور : المجتمع المصري ، ص 168 ؛ الخطيب : دراسات في تاريخ الحضارة ، ص 73.

(٥) المقريزي : الخطط ، ج 2 ، ص 427.

(٦) انظر : الخطيب : دراسات في تاريخ الحضارة ، ص 73.

(٧) المعجم الوسيط ، 408/1.

وقد عرف السهرودي التصوف بأنه الأخذ بالحقائق ، واليأس مما في أيدي الخلائق ، فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف ، وفرق بين الزهد والفقر والتصوف بأن التصوف غير الفقر ، والزهد غير الفقر ، والتصوف غير الزهد ، فالتصوف اسم جامع لمعاني الفقر ومعاني الزهد ، مع مزيد أوصاف وإضافات لا يكون بدونها الرجل صوفياً [(١)]. وقد اهتم الأيوبيون ببيوت الصوفية ، وصار يعين لكل رباط شيخ أو أكثر ، يعاونه عدد من المتصوفة ، مما يدل على اهتمام السلاطين والأمراء وكبار التجار بوقفيات الصوفية ، حيث كان الكثير منهم يتفاخر ويتنافس على بناء الأربطة والزوايا[(٢)]. والحياة داخل الأربطة تسير حسب التصور الصوفي للحياة ، فقد ذكر ابن بطوطة أن ترتيب أمورهم عجيب ، ففي الصباح يأتي خادم الزاوية إلى الفقراء فيعين له كل واحد ما يشتهيه من الطعام ، فإذا اجتمعوا للطعام جعلوا لكل واحد خبزه ومرقه في إناء على حدة لا يشاركه فيه أحد ، وطعامهم مرتان في اليوم ، وكان معظم الصوفية عزاباً ، وللمتزوجين منهم زوايا خاصة بهم ، واشترط عليهم حضور الصلوات الخمس والمبيت بالزاوية ، ومن عوائدهم أن يجلس كل واحد منهم على سجادة خاصة به ، و إذا خرجوا إلى الجمعة ، خرجوا في موكب إلى الجامع ، والخادم يحمل لهم سجاجيدهم وبعد الصلاة وقراءة القرآن ينصرفون مجتمعين مع شيخهم ، ولا يسمحون للغريب حتى يقف مشدود الوسط على كاهله سجادته وبيمناه عكازه وبيسراه الإبريق ، فيخرج إليه الخادم ليسأله عن بلده وطريقته الصوفية ، ثم يسمح له ، وقد لا يسمح له إلا بعد اختبار بمنازعته ، وربما كسر إبريقه ، فإذا غضب لم يسمح له وإلا أذن له في الدخول[(٣)].

إلا أننا يمكن أن نعتبر الأربطة والزوايا من المؤسسات العلمية في هذا العصر ، فقد كانت معظم الزوايا تعقد دروساً للعلم وقصدها الطلاب والمريدون ، غير أنها اختلفت عن المدارس إذ إن معظمها كان لمشيختها الحرية في ترتيب الدروس اعتمادا على شهرتهم ، فلم

---

(١) عوارف المعارف ، ص 54.

(٢) ابن بطوطة : الرحلة ، ج 1 ، ص 71 ؛ النهرواني : الإعلام ، ص 214.

(٣) ابن بطوطة : الرحلة ، ج 1 ، ص 71-37.

يتقصر إنشاء الزوايا على كونها منشآت لتقديم خدمات الرعاية الاجتماعية و الإيواء ولكنها كانت مراكز لنشر الثقافة والمعرفة ، وأوقف عليها السلاطين والأمراء والقادرون[١].

وعليه فقد كان الصوفيون بأربطتهم وزواياهم ومصنفاتهم وفكرهم وعلومهم يمثلون مدرسة علمية خاصة ، كان لها آثارها على بعض جوانب الحياة العلمية والفكرية ، إضافة إلى آثارها الاجتماعية[٢]. وحيث قد شاع التصوف وانتشر في العصر الأيوبي لأسباب شتى أهمها : تشجيع الحكام للمتصوفة للوقوف في وجه المذهب الشيعي ، والعمل على نشر الثقافة السنية ، لذا أقاموا الزوايا والأربطة ، ووقفوا عليها أوقافاً كثيرة ، وكان يدرس فيها العلوم الشرعية واللغة العربية بالإضافة إلى تدريس التصوف علماً وسلوكاً[٣].

ومن أهم الوظائف الدينية المتعلقة بالأربطة والزوايا :

مشيخة شيخ الشيوخ : وهي وظيفة يتولاها العالم أو القاضي من قبل السلطان أو نائبه ، ويكون مسئولاً عن جميع الأربطة والخوانق ومن فيها [٤].وممن تولى مشيخة الأربطة والزوايا : الشيخ ابن المغيزل تاج الدين أحمد الحموي (ت687هـ/1288م)[٥]. وخلفه ولده على هذه المشيخة ، وهو الشيخ عبد الله بن أحمد بن المغيزل الحموي (ت733هـ/1332م) ، كان رجلاً مباركاً، ولي مشيخة شيخ الشيوخ بعد والده وأقام فيها أكثر من أربعين سنةً[٦].

أما أشهر الأربطة والزوايا بحماة فترة البحث فهي :

- رباط البيانية :

---

(١) ابن الحاج : المدخل ، ج 3 ، ص 185-190 ؛ محمد سيف النصر : منشآت الرعاية الاجتماعية ، ص 406 ؛ محمد أبو الفتوح : منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة ، ص 378.

(٢) عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص 145.

(٣) قاسم غني : تاريخ التصوف في الإسلام ، ص 700 ؛ ناصر الحازمي : الحياة العلمية في دمشق ، ص 322 ؛ ثناء نجاتي عياش : أسباب انتشار المدارس في العصر الأيوبي ، مجلة الفيصل ، العدد 317 ، ذو القعدة ، 1423هـ/ يناير ، 2003م ، ص 53-54.

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، 409/12 ؛ 38/4 ؛ حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص 366.

(٥) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 64/3 ؛ المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، 174/1 ؛ القلقشندي : صبح الأعشى ، 200/4.

(٦) اليافعي : مرآة الجنان ، 213/2 ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، 361/5.

ومن تولى مشيخته الشيخ إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر الزاهد العابد أبو إسحاق الكناني الحموي ، كان شيخ البيانية بحماة ، وكان صالحاً خيراً كثير الذكر سلفي المعتقد ، روى عنه ولده قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ، خرج من حماة وودع أهله وقال : أذهب فأموت بالقدس ، فكان ذلك كما قال وتوفي يوم النحر سنة (675هـ/1276م)[١].

– زاوية نجم الدين الحموي :

وهي تنسب للشيخ نجم الدين بن الحكيم عبد الله بن محمد بن أبي الخير الحموي الصوفي ، ومريدون ، وفيه تواضع وخدمة للفقراء وأخلاق حميدة ، (ت680هـ/1281م)[٢].

– زاوية الشيخ شرف الدين عبد الكريم :

ومنشئها هو الشيخ عبد الكريم بن أبي الفرج ابن الحكم شرف الدين بن الشيخ الزاهد نجم الدين الحموي الشافعي ، وصف بالزاهد القدوة باشر حسبة حماة مدة ، وكان يعرف بالمحتسب في حياة والده وبعدها ، وتركها ، وكان له زاوية حسنة يقصدها الفقراء والزوار ويجدون عنده الراحة والفضل والمكارم والأوقات الطيبة والمكارم والسماعات والسماطات . ودرس بالمدرسة الخيرية بحماة ، ولم يزل بها إلى أن توفي في (711هـ/ 1311م) ، ودفن بتربته بعقبة نقيرين ، وصلي عليه غائباً وعلى الوزير فخر الدين بن الخليلي بالجامع الأموي بدمشق في وقت واحد[٣].

وكون الشيخ عبد الكريم قد درس بالمدرسة الخيرية ، فهذا يشير إلى نوع من العلاقة العلمية بين المدارس والأربطة والزوايا.

– الزاوية السفاحية :

---

(١) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 220/2 ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، 9/1.

(٢) الذهبي : العبر في خبر من غبر ، 320/5 ؛ اليافعي : مرآة الجنان ، 213/2 ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، 361/5.

(٣) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، 481/1.

أنشأها قاضي القضاة نجم الدين عبد الظاهر بن السفاح الحلبي ، وسميت "بالزاوية السفاحية" ، ثم أطلق عليها اسم " مدرسة الشيخة " ، وكان وكيل ورثة ابن السفاح يحضر من حلب إلى حماة في كل عام ليتفقد أوقافها ويؤجر عقاراتها[١].

(١) ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، 161/2 ؛ الصابوني : تاريخ حماة ، ص 113.

المبحث الخامس : المجالس العلمية .

لم يقتصر طلب العلم في حماة ودوره على المساجد والكتاتيب والمدارس بل تعدى ذلك إلى أماكن أخرى كقصور الخلفاء والوزراء ، ومنازل العلماء ، والتي كان يعقد فيها المجالس العلمية ، فقد كان حكام حماة يحتفون بأهل العلم بل كانوا هم أنفسهم من محب العلم ومرديه، فكانوا يعقدون مجالس العلم والمناظرة بحضور جمع عظيم من رجال العلم والفقهاء والأدباء ، فعلى سبيل المثال كان الملك المظفر الأول تقي الدين عمر محباً لمجالسة العلماء ، فاجتمع حوله عدد كبير منهم ، ونالوا التقدير والثناء والرفعة في بلاطه وفي مملكته[١] ، كذلك كان بلاط الملك المنصور الأول محمد عامراً بالعلماء ، فقد اجتمع فيه ما يزيد عن مائتي عالم من علماء الشرع الفقه والحديث والقراء وأهل اللغة والنحو والمشتغلين بالعلوم الحكمية والمهندسين والمنجمين والشعراء والكتاب والفلاسفة [٢] ، ومن أشهر من تصدر مجلس السلطان المنصور الأول من العلماء العالم سيف الدين علي بن أبي على الآمدي[٣] . كما ازدان مجلس الملك المنصور الثاني (ت617هـ/ 1220م) ، بالعلماء والأدباء والمهندسين والفلكيين ، فكان مجلسة غاص بهم [٤]. كذلك عرف عن الملك المظفر محمود ، حبه للعلم وتقدره للعلماء [٥] ، فكان كثيراً ما يجتمع بهم ويناظرهم ، منهم عالم الفلك والهندسة علم الدين قيصر ، والعالم المؤرخ جمال الدين بن واصل الحموي[٦].

كما فتح العديد من العلماء بيوتهم للإقراء والتدريس وبذل الإجازات لمستحقيها [٧]. ومن هؤلاء الذين أُثر عنهم مجالس العلم الشيخ إسحاق بن خليل عفيف الدين الحموي (ت672هـ/1273م)، كان فاضلاً في الفقه والقراءات والنحو ، وكانت له حلقة إشغال[٨].

---

(١) اليافعي : مرآة الجنان ، 433/3 ؛ الصابوني : تاريخ حماة ، ص 119.

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، 68/4-77.

(٣) أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص 124 ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 193/13-195.

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب ، 343/5 ؛ أبي الفداء : المختصر : 210/3.

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان : 406/3؛ ابن نصر الله : شفاء القلوب ، ص 406.

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب ، 344/5 ؛ الصابوني : تاريخ حماة ، ص 122.

(٧) السمعاني : آداب الإملاء والاستملاء ، ص 141.

(٨) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 169/3.

وبالضرورة لابد وأنه كان هناك مجالس علمية في حماة في هذا العصر ، سواء أكانت للأمراء أو الأعيان أو العلماء في كافة صنوف العلم والمعرفة ، سواء أكانت مجالس عامة يحضرها كل العلماء والتلامذة ، أو كانت مجالس علمية خاصة في بيوت العلماء والأمراء ، إلا أن المصادر التي وقفت عليها لم تسعفني بذكر الكثير من ذلك.

وقد يرجع ذلك إلى عدة أسباب ، ومنها :- أن التدريس يكون أسهل في المسجد عنه في البيوت ، ولذا فالعلماء من باب النفع المتعدي يحرصون على التدريس في موضع يمكن أن يأتي له الطلبة ، وقد أشار ابن الحاج إلى ذلك فقال : " وأفضل مواضع التدريس المسجد ؛ لأن الجلوس للتدريس ، إنما فائدته أن تظهر به سنة ، أو تخمد به بدعة ، أو يتعلم به حكم من أحكام الله تعالى علينا ، والمسجد يحصل فيه هذا الغرض متوفرا ؛ لأنه موضع مجتمع الناس رفيعهم ، ووضيعهم ، وعالمهم ، وجاهلهم ، بخلاف البيت ؛ فإنه محجور على الناس إلا من أبيح له ، وذلك لأناس مخصوصين ، وإن كان العالم قد أباح بيته لكل من أتى لكن جرت العادة أن البيوت تحترم وتهاب ، وليس كل الناس يحصل له الإدلال على ذلك "(١).

- وثمة أمر آخر ، وهو أن حماة كانت مدينة صغيرة ، فلم تكن الدور فيها واسعة ، فقد كانت الدور السكنية في ذلك الوقت تتكون من جزأين رئيسيين ، المقعد أو الإيوان الخاص بالرجال ، ويقابله إيوان النساء ، ويفصل بينهما فناء الدار ، أما إذا كانت مساحة الدار ضيقة ، فإن إيوان النساء يعلو إيوان الرجال ، فتصبح الدار من دورين(٢).

ولاشك أن ضيق البيوت نسبياً يمنع من كثرة هذه المجالس العلمية ، بخلاف المدن الرئيسة كدمشق والقاهرة وبغداد والتي تكثر فيها مثل هذه المجالس ، وكتاب الفنون لابن عقيل مملوء بأخبار هذه المجالس.

---

(١) ابن الحاج : المدخل ، 85/1 ؛ شكر مصطفى : المدن في الإسلام ، ص 695.

(٢) أحمد رمضان : المجتمع الإسلامي ، ص 155.

المبحث السادس : المدارس .

عرفت المدارس[1] في الإسلام منذ العصور الأولى ، وإذا عرفت المدرسة بأنها : المسجد الجامع ، الذي أقيمت في حرمه بيوت لسكن فريق مختار من الفقهاء أو الطلاب ، ورتب لتدريسهم فيه مدرسون ، بأجر معلوم ، ووفرت للجميع فيه سبل البحث ، والدراسة ، والمعيشة، وأجريت عليهم الجرايات الوافرة[2].

فمن الممكن اعتبار أن صفة المسجد النبوي الشريف ، هي المدرسة الأولى في الإسلام[3] ، لأن تعريف المدرسة بهذا الاعتبار يشمل شروطاً ثلاثة هي : " وجود مكان للتدريس ، ومسكن للطلاب ، ومصدر للإنفاق الحكومي " ، وهذه الاعتبارات كلها منطبقة على أهل الصفة ، فقد كان أهل الصفة يعتكفون بالمسجد النبوي لطلب العلم ، وكان يقال لهم القراء كما جاء في الحديث[4] ، وكذلك كانت الدولة تنفق عليهم ، فكان يتولى النبي ﷺ الإنفاق عليهم ، كما ورد مصرحاً به في حديث آخر[5] ، وعليه فتكون صفة المسجد النبوي أول مدرسة نظامية في الإسلام[6].

---

(١) المدْراسُ والمِدْرسُ : الموضع الذي يُدْرَسُ فيه ، والمِدْرَسُ الكتاب ، والمِدراس الذي يقرأ الكتب ويدْرُسَهَا ، ودَرَسَ الكتاب ، يَدْرُسُهُ دَرْسَاً ودِراسةً . انظر ابن منظور : لسان العرب ، 1360/2 ، الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، ص 702.

(٢) أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها ، 192/2.

(٣) أمال رمضان : الحياة العلمية في الإسكندرية في العهد المملوكي ، ص 300.

(٤) في خبر بئر معونة ، البخاري في صحيح البخاري ، كتاب الوتر باب القنوت قبل الركوع وبعده . ح 4091.

(٥) وذلك في قصة طلب فاطمة رضي الله عنها خادماً من السبي فقال النبي ﷺ لعلي ﷺ (والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم) رواه الإمام أحمد في المسند ، ج 1، ص 79.

(٦) راجع : عباس كامل : المدارس الإسلامية ودور العلم وعمارتها الأثرية ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، السنة الثالثة ، 1397هـ ، العدد 3 ، ص 151–153 ، ومن الباحثين من يرى أنها بدأت في نيسابور ومرو وبخارى في فترة حكم محمود الغزنوي (391–421هـ/999–1030م) ، انظر أيمن فؤاد السيد ، المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي ، من أبحاث تاريخ المدارس في مصر ، ص 99 ، ومنهم من يجعل من المدرسة النظامية التي أسسها نظام الملك الوزير السلجوقي ببغداد أول مدرسة نظامية عرفها العالم الإسلامي في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي . انظر زبيدة محمد عطا : مكتبات المدارس في العصرين الأيوبي والمملوكي ، ضمن أبحاث ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية ، ص 202.

* **ولقد تضافرت عدة دوافع في انتشار المدارس** عموماً في العصر الأيوبي ، وذلك في بلاد الشام عامة ، وكان لحماة نصيب وافر من ذلك باعتبارها من أهم المراكز العلمية بالشام.

. فمن ضمن هذه الدوافع وأهمها الدافع الديني ، فقد حث الإسلام على طلب العلم والاهتمام بنشره ، فقد كانت أول آيات القرآن الكريم نزولاً هي قوله تعالى : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾[1] بالإضافة إلى ورود كثير من الآيات القرآنية التي تبين فضل العلم وأهميته ، وهناك الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي تشجع على طلب العلم ، ومن منطلق مبادئ الدين الإسلامي قام أولو الأمر بحماة من ملوك وعلماء وقضاة ببناء المدارس التي تشكل القاعدة الأساسية لنشر العلم وبثه بين أفراد المجتمع الحموي على مختلف طبقاته ، فأقبل الناس على طلب العلم ، وأمت حماة الطلبة من مشرق العالم الإسلامي ومغربه.

وأخذت المدارس تظهر في حماة بأعداد محدودة في بدايات العصر الأيوبي ، ومن ثم تزايد عددها شيئاً بعد شيء.

ولا أدل على ذلك من كلام الرحالة ابن جبير ، والذي وصف حماة في رحلته سنة (580هـ/1184م) بأنها : " مدينة شهيرة في البلدان ، قديمة الصحبة للزمان ، غير فسيحة الفناء ، ولا رائقة البناء ، أقطارها مضمومة ، وديارها مركومة ، لا يهش البصر إليها عند الإطلال عليها ، كأنها تكن بهجتها تخفيها ، فتجد حسنها كامناً فيها ، حتى إذا جست خلالها ، ونقرت ظلالها ..... ولها ثلاث مدارس و بيمارستان على شط النهر بإزاء الجامع الصغير "[2].

– عامل سياسي تمثل في حرص الأيوبيين على تدعيم ركائز حكمهم ، والقضاء على أي بوادر الانتفاضة من قبل الفاطميين الشيعة ، فعمل القائمون على إنشاء المدارس لتدريس مذهب أهل السنة ، ونشره بين الناس ومحاربة المذاهب الأخرى كالمذهب الشيعي الرافضي، لذا أنشئوا جملة من المدارس عنوا فيها بنشر الحديث النبوي الشريف وفقه الأئمة الأربعة ، ولاسيما

---

(١) سورة العلق ، الآية : 1.

(٢) الرحلة ، 96/1.

الفقه الشافعي [١] ، فعلى سبيل المثال اشترى ملك حماة تقي الدين عمر بن شاهنشاه منازل العز بمصر وجعلها مدرسة للشافعية ، واشترى الروضتين وحمام الذهب وغيرها من الأملاك وأوقفها عليهما ، كما أنشأ في حماة مدرسة أخرى ، وأوقف عليها ما يضمن استمرار رسالتها[٢].

وعزز ذلك أيضاً أن بعض الأمراء كان ممن انتسب للعلم ، فأنشأ المدارس لقربه من العلماء ، ومنها المدرسة المؤيدية المشهورة بـ(الخطيبية) ، التي تنسب إلى ملك حماة المؤيد عماد الدين أبي الفداء إسماعيل العالم الجليل المؤرخ الشهير.

– وربما كان بناء المدارس من باب التكريم لأحد العلماء كما فعل نور الدين زنكي ، فقد استدعى الشيخ العالم عبد الله بن أبي عصرون (ت 585هـ/1189م) ، وقربه إليه ، وأقام له عدداً من المدارس في دمشق وحلب وحمص وبعلبك ومنبج وحماة ، وعرفت هذه المدارس باسم المدارس العصرونية[٣].

– أسهمت الأسر العلمية في بناء المدارس ، ومن ذلك المدرسة البارزية، وكذا المدرسة الخلصية أو القرناصية.

– ولما كانت النظرة إلى المدارس نظرة متميزة ، لذا كان يحرص كبار الأمراء على أن يقيموا بها مقبرة لذويهم ، لتكون العلوم مدرسة بها قرب المقبرة ، فكان هذا أحد الدوافع لبناء المدارس ، ومن أمثلتها مدرسة التربة ، التي بناها المنصور الأول ، وكانت تضم رفات والده المظفر الأول.

– وقد أسهم القضاة والقواد والأعيان في بناء المدارس : ومنها مدرسة الشيخة : التي أنشأها قاضي القضاة نجم الدين عبد الظاهر بن السفاح الحلبي ، والمدرسة الطواشية التي أنشأها الطواشي شجاع الدين مرشد المنصوري الطواشي (ت669هـ/1270م) ، والذي أعتقه

---

(١) لقد بدأ صلاح الدين الأيوبي بمحاربة المذهب الشيعي منذ أن كان وزيراً عند الفاطميين ، إذ لم تمض أشهر قليلة على وزارته حتى قام بفتح المدارس السنية ، ومنها : الناصرية والصلاحية لأتباع المذهب الشافعي ، والقمحية للمالكية والسيوفية للحنفية . انظر : أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، 486/1.

(٢) في هذه الورقات سيرد ذكر العديد من المدارس وسيأتي تفصيلها لاحقاً بهذا المبحث.

(٣) صادق جودة : المدارس العصرونية في بلاد الشام ، ص 9.

الملك المظفر الثاني محمود صاحب حماة ، والمدرسة الجلدكية التي أنشأها والي دمياط جلدك بن عبد الله المظفَّري التَّقويّ شجاع الدين ، كان مولى للملك تقي الدين عمر بن شاهنشاه صاحب حماة ، ولعله بنى المدرسة بحماة إكراماً لسيده ، وحبا للعلم والعلماء [١]، ومنها مدرسة ابن المشطوب التي تنسب إلى الأمير سيف الدين علي بن المشطوب وكان من كبار أمراء الجيش الصلاحي ، وأحد أهم القادة الذين خاضوا الجهاد مع صلاح الدين ضد الصليبيين.

– ومن دوافع إنشاء المدارس أيضاً ظهور بعض النساء من طبقة الأغنياء ممن أحب العلم والعلماء ، فقمن بإنشاء المدارس ، ومنها المدرسة الخاتونية التي أنشأتها خاتون بنت المظفر الثاني محمود ملك حماة (ت703هـ/1303م) ، وكانت من كبريات المدارس ببلاد الشام.

* وقد تنوعت المدارس بحماة ، وتخصصت ، فمنها دور القرآن ، ودور الحديث ، وسبق الحديث عنها ، ومنها مدارس خصصت لتدريس الفقه الشافعي كالمدرسة النورية الشافعية والمدرسة البارزية ، ومنها ما كان لتدريس الفقه الحنفي كالمدرسة النورية الحنفية والمدرسة المؤيدية ، وكانت المدرسة تسمى غالباً باسم منشئها[٢].

*** دور المدارس في الرعاية الاجتماعية :**

لم يقتصر دور المدارس على الناحية العلمية فحسب ؛ بل أدت كثير من المدارس دورا إيجابيا في الناحية الاجتماعية ، فعادةً ما كان يلحق بالمدارس وحدات سكنية خاصة للمدرسين والطلبة ، وخاصة الغرباء منهم ، فعلى سبيل المثال حوت المدرسة العصرونية التي أنشأها نور الدين زنكي سكناً لإيواء الطلاب الفقراء القادمين من خارج حماة [٣].

ولا شك أن نزول العلماء وطلاب العلم بالمدارس يعطي الفرصة لطلاب المدرسة لمناقشة ومناظرة القادم ، ويوسع آفاق المتعلم للاطلاع على علوم أخرى غير التي يدرسها في مدرسته ، ويحبب إليهم الرحلة وكل هذا يثري الحركة العلمية.

---

(١) وهذا يشير إلى حب أمراء الأيوبيين للعلم والعلماء ، فإن هذا المولى لم يجد أعظم من إنشاء المدرسة ليكرم بها مولاه.

(٢) أحمد بدوي : الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية في الشام ومصر ، ص 75.

(٣) الصابوني : تاريخ حماة ، ص 112 ؛ صادق جودة : المدارس العصرونية ، ص 184.

* **تخطيط وإدارة مدارس حماة :**

لو نظرنا إلى تخطيط المدرسة بحماة نرى أنه كان مرتبطاً بنوع الدروس التي تعطى في تلك المدرسة[١] ، إلا أن هناك أقساماً رئيسية تجتمع فيها عناصر المدرسة الرئيسة والتي تشترك مع عناصر المدرسة الإسلامية بدمشق ، والقاهرة وغيرها من مدارس الدولة الأيوبية.

وهي عادة ما تتكون من باب ذي بوابة كبيرة مزخرفة كأبواب بعض المساجد ، ثم ساحة تعرف بالصحن تحيط به الحجرات في طابقين على الأغلب لإيواء الطلبة والمدرسين ، وغالباً ما تحوي أروقة أمام الحجرات وفي أغلب المدارس إيوان واحد أو اثنان ، وقد تكون أربعة أواوين متقابلة ، تبعاً للمذاهب السنية التي تدرس بها ، وكثيراً ما احتوت المدرسة إلى جانب أواوين الفقه ، إيواناً للقراءات والحديث[٢] ، ثم تربة الواقف أحياناً[٣].

وتلحق ببعض المدارس خزانة الكتب ، ومطبخ وبيت الخلاء وبئر وميضأة[٤].

وتتمتع المدرسة بنظام إداري وتعليمي دقيق ، ضمن لها الاستمرار في أداء دورها ووظيفتها العلمية ، ويتضمن نظامها الآتي :

أ- الهيئة الإدارية للمدرسة :

تتمثل الهيئة الإدارية في المدرسة من :

ناظر الوقف وكان عليه مهمات منها عمارة المدرسة وشراء ما يلزمها من مصابيح وحصر وبسط وقناديل وشموع وغير ذلك من لوازم تحتاجها المدرسة.

كما يلزم الناظر صرف مرتبات **المدرسين ، والفقهاء والطلاب ، والقيم والمؤذن والخدم** الذين يتولون تنظيف المدرسة والاهتمام بها [٥] ، وغيرهم من موظفي المدرسة ، والعاملين بها ، وكانت مرتباتهم تتفاوت ما بين دراهم شهرية أو غلة كالشعير والحنطة والقمح.

---

(١) أحمد رمضان : المجتمع الإسلامي في بلاد الشام ، ص 147 ، وانظر مبحث دور القرآن ودور الحديث.

(٢) أحمد رمضان : المجتمع الإسلامي في بلاد الشام ، ص 147.

(٣) أحمد فكري : مساجد القاهرة ومدارسها في العصر الأيوبي ، ص 118-121.

(٤) ابن طولون : القلائد الجوهرية ، 203/1- 213 ، 272 ؛ كامل حيدر : العمارة العربية الإسلامية ، ص 102-106.

(٥) السبكي : معيد النعم ، ص 115 ؛ أمينة البيطار : التعليم في الشام في العصر الأيوبي ، مجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد 70 ، أغسطس ، 1984م ، بيروت ، ص 66.

ويلي الناظر : وظيفة **الإمام** ، ومهمته إمامة الناس في محراب المدرسة ، ثم **المؤذن** وعليه معرفة أوقات الصلاة وإبلاغ الصوت ، ثم **القيم** ، وهو من يقوم بكنس المدرسة ورشها وفرشها وتنظيفها وإيقاد المصابيح ، وإن كانت بالمدرسة خزانة كتب فهي لا تخلو من خازن المكتبة ، فيقوم بشئونها والحفاظ على مقتنياتها والعناية بها[١].

وكان للمدارس ديوان خاص به يعرف بـ " **ديوان المدارس** " ، مهمته الإشراف على أوقاف المدارس ، والإنفاق على إصلاح المباني ، واختيار المدرسين ، وإعانة الطلاب[٢].

وكان أعظم مصادر الإنفاق على المدارس هو الوقف عليها ، فكان للوقف [٣] الدور الأساسي في بناء المدارس والإنفاق عليها ، إذ كان منشؤوها من السلاطين والوزراء والعلماء والأعيان يحبسون عليها الأوقاف لتصرف عليها وعلى عمارتها[٤].

ومن ذلك ما أوقفه المظفر الأول تقي الدين عمر على مدرسته المظفرية أوقاف ضخمة في قرية تسمى " الدجاجية " وغيرها[٥].

وكانت هذه الأوقاف مدعاة لجلب الطلاب أيضاً للدراسة في هذه المدارس ، وقد أشار إلى ذلك ابن جبير في رحلته حيث يقول : " فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد ويتغرب في طلب العلم فيجد الأمور المعينات كثيرة فأولها فراغ البال من أمر المعيشة، وهو أكبر الأعوان وأهمها ، فإذا كانت الهمة فقد وجد سبيل الاجتهاد ، ولا عذر للمقصر إلا من يدين بالعجز والتسويف ، فذلك من لا يتوجه هذا الخطاب عليه ، وإنما

---

(١) السبكي : فتاوى السبكي ، 119/2 ؛ ناصر الحازمي : الحياة العلمية في دمشق ، ص 255.

(٢) أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص 226 ؛ عبد المنعم هويدي : مظاهر النهضة العلمية في مصر في القرنين السادس والسابع ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز ، السنة الثانية ، 1396هـ/ 1397هـ ، العدد 2 ، ص 431 ، 448.

(٣) الوقف في اللغة هو الحبس ، يقال : وقف يقف وقفاً ، أي حبس يحبس حبساً . ابن منظور : لسان العرب ، 4898/8 . وفي الاصطلاح هو : تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة ، أي التصرف في ريع العين وما تدره من مال مع بقاء العين ذاتها وجعل منفعتها لجهة من جهات البر ، وهي بهذا تخرج عن ملك صاحبها وتسبل منفعتها بجعلها مبذولة على وجه القربة لله سبحانه وتعالى . ابن قدامة : المغني ، 184/8.

(٤) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، 309/1 ؛ النعيمي : الدارس ، 52/1 ، 116.

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، 369/12 ؛ النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، 163/7 ؛ الصابوني : تاريخ حماة ، ص 113.

المخاطب كل ذي همة يحول طلب المعيشة بينه وبين مقصده في وطنه من الطلب العلمي ، فهذا المشرق بابه مفتوح لذلك ، فادخل أيها المجتهد بسلام "[١].

فهذه الدعوة عن الرحالة ابن جبير لها مدلولها فهو قد جاب الديار ونقب فيها ووجد هذا أمراً مميزاً لهذه الديار ، ولهذا فليس من المستغرب أن تشيع الرحلة في طلب العلم وكان من يرحل من الطلبة يلقى الرعاية الكبيرة ، حيث تتوفر له كل المتطلبات اللازمة من مسكن ومأكل وغيرها ، لهذا كثر الطلاب الوافدون إلى بلاد الشام ومنها حماة لتلقي العلم بمدارسها.

ومما تميزت به المدارس أيضاً : توفر الكتب ، فقد اهتم أصحاب المدارس بتوفيرها إمداد المدارس بالكتب ، ووقف المكتبات عليها ؛ لأن الركن الأساسي للنشاط العلمي في أي مكان وزمان إنما هو الكتب والمكتبات ، فمن دونها لا تستطيع المدارس أداء مهمتها ولا يستطيع المدرسون ولا الطلبة مواصلة رسالتهم . ولا تكاد تخلو مدرسة من خزائن للكتب ، وقد زودت المدارس بالمكتبات من خلال عدة طرق كالوقف والإهداء والشراء ، فعلى سبيل المثال أوقفت مؤنسة خاتون بنت المظفر الثاني محمود ملك حماة على مدرستها بحماة مكتبة غنية بالكتب النفيسة [٢].

ب– الهيئة التعليمية : وتتمثل في المدرسين ، والمعيدين ، والطلاب.

أولاً : المدرس : وهو من يتصدى لتدريس العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه والنحو وغيرها من العلوم[٣]. ولقد عُني منشئو المدارس وواقفوها من السلاطين والعلماء والأعيان على اختيار أفضل العلماء ليقوموا بالتدريس في مدارسهم [٤] ، وكان اختيار المدرس يتم وفق شروط منها : أن يكون سليم الاعتقاد ، من أهل السنة ولا ينسب إلى أهل شر وبدعة ، وأن يكون من أهل الخير والعفاف ، وأن يكون ملماً وعالماً بالفن الذي يدرسه[٥].

---

(١) الرحلة ، 108/1.

(٢) أبو الفداء : المختصر ، 144/3 ؛ الصابوني : تاريخ حماة ، ص 111 ؛ كرد علي : خطط الشام ، 124/6 ؛ قدري الكيلاني : تطور التعليم في حماة ومراحله ، مجلة العمران ، عدد خاص عن حماة ، وزارة البلديات ، دمشق، السنة الرابعة ، العدد 29–30 ، حزيران ، 1969م ، ص 169.

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، 436/5.

(٤) السبكي : معيد النعم ، ص 105–107 ؛ النباهين : نظام التربية الإسلامية ، ص 298.

(٥) السبكي : فتاوى السبكي ، 119/2 ؛ النعيمي : الدارس ، 565/1.

ولم يحدد أصحاب المدارس عمراً بعينه ينبغي أن يتولى المدرس التدريس فيه ، فقد يمارس المدرس التدريس وهو في مقتبل العمر ، أو وهو في سن الكهولة أو الهرم.

فمن فقهاء حماة المعلمون الشباب والمشار إليهم بالبنان الشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسين بن رزين الحموي (ت 680هـ/1281م) ، خرج من حماة صغيراً لطلب العلم ، وعاد إليها وقد أصبح ملماً بالفقه الشافعي ، وتصدى للإفتاء بها وهو لم يتجاوز بعد الثامنة عشر من عمره ، وكان مرجعاً في الفتوى ليس في حماة وحدها إذ أن الأسئلة المتعلقة بالفتاوى كانت تنهال عليه من كل مكان[١].

وممن وصل حد الكهولة من المدرسين : يوسف بن محمد الشيخ الإمام العالم صلاح الدين بن المغيزل الحموي الشافعي ، مفتي حماة وخطيبها ، فقد كان كهلاً ، مفنّناً في العلوم مناظراً ، له محفوظات وفضائل ، وحدث عن الشيخ شمس الدين بن قدامة . بحث يوماً صلاح الدين بن المغيزل هو والشيخ صدر الدين بن الوكيل بحضور ابن البارزي قاضي حماة من بكرة إلى أن قال المؤذن للظهر : الله أكبر ، فقال القاضي شرف الدين : طوّل الله في عمريكما للمسلمين ، سروراً بهما ، وتوفي سنة (ت717هـ/1317م) بحماة[٢].

وربما لم يقتصر عمل المدرس على مدرسة واحدة ، بل جمع بين التدريس في أكثر من مؤسسة علمية وذلك لنشر علمه ، فهو يتنقل بين حلقات الدرس في عدد من المدارس فيلقي دروسه في أكثر من مدرسة ، ويسمح له بذلك للاستفادة من غزارة علمه وتمكنه من مادته العلمية التي يلقيها على الطلبة ، وكذا حسن أدائه ، وحرص الطلبة على الاستفادة من علمه.

ومن هؤلاء : أحمد بن محمد بن محمد بن نصر الله تاج الدين العبدي الحموي الشافعي المعروف بابن المغيزل ، وسمع ابن رواحة ، وكان فقيهاً مفتياً مدرّساً ، ولي مشيخة الشيوخ بحماة ودّرس بالعصرونية ، ودخل بغداد وناظر بها وأكرم مورده ، وكان فيه ديانة وعبادة وخير ومهابة وورع ، ترك المناصب لأولاده و تفرغ لإفادة الطلبة والعبادة ، توفي بحماة سنة (687هـ/1288م)[٣].

---

(١) ابن حبيب : تذكرة النبيه ، 65/1 ؛ تاريخ ابن الفرات : 244/7 ؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، 46/8.

(٢) الصفدي : أعيان العصر ، 80/3.

(٣) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 64/3.

ومنهم : الشيخ عبد العزيز بن محمد ابن هبة الله الحنفي (ت711هـ/1311م) ، قاضي القضاة بحماة الذي اعتاد أن يلقي دروسه في عدة مدارس بحماة[١].

ومنهم من كان يتنقل للتدريس بين مدارس حماة وغيرها ، مثل الشيخ : جمال الدين بن محمد بن عبد الله بن مالك بن عبد الله الطائي الأندلسي ، فقد جاب الآفاق إلى أن استوطن حماة ، أتقن علوم اللغة ، وكان إماماً في العربية ، أحرز فيها قصب السبق ، وقد تجاوز تأثيره العلمي حماة ، إلى سائر بلاد الشام ، كان مشاركاً في القراءات والحديث وتصدى للتدريس بمدارس الشام بما فيها مدارس حماة ، وقصده طلاب العلم من كل مكان ، وتخرج على يديه ما يقرب من الخمسة عشر عالماً كلهم أصبح إماماً في علوم العربية ، توفي بحماة سنة (672هـ/1273م)[٢].

وكان بعض المدرسين يسكنون داخل المدارس التي تضم أماكن لسكن المدرسين ، وكان بعض العلماء لا يأخذ من رواتب المدرسة شيئا تنزها عنها ، ويتولى التدريس احتساباً ؛ ولذا عظمت مكانة المدرس بين الناس ، وعند الحكام ، حتى إن الشيخ هبة الله لما توفي تأسف صاحب حماة كونه لم يحضر جناز ته ، وكان الشيخ هبة الله بن محمود ابن أبي القاسم أمين الدين بن قرناص الخزاعي الحموي الشافعي مدرساً بمدارس حماة ، وكان الملك أبو الفداء المؤيد عماد الدين إسماعيل بن المظفر محمود الثاني (ت 733هـ/1331م) غائباً عن حماة ، وكان قد عاده في مرضه ، فتوفي الشيخ هبة الله سنة (727هـ/1326م) ، وكان المؤيد غائباً[٣].

وقد لاحظت أن أكثرهم من القضاة ، ومنهم من لم يأخذ الرزق على القضاء ، ولعله اكتفى بالتدريس. ومن هؤلاء : يوسف بن أحمد بن عبد العزيز بهاء الدين أبو المحاسن ابن الصدر كمال الدين بن العجمي الحلبي سمع كثيراً ، وقرأ الفقه ، واشتغل وحصّل وكتب المنسوب، ودرّس بحماة وولي كتابة الإنشاء بدمشق ، وحكم بحماة نيابة . توفي سنة (716هـ/1316م)[٤]. و القاضي شمس الدين إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن البارزي

---

(١) الصفدي : أعيان العصر ، 471/1.

(٢) ابن مالك : شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ، ص 38.

(٣) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، 41/3.

(٤) المصدر السابق ، 62/3.

الحموي (ت676هـ/1277م) ، أحد الأئمة الفضلاء درس بحماة ، ولي القضاء بها بضع عشرة سنة[١]، وقاضي حماة عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله البارزي (ت683هـ/1284م)، درس وأفتى [٢]. والشيخ عفيف الدين الحموي إسحاق بن خليل بن عازي (ت672هـ./ 1273م) ، كان فاضلاً في الفقه والقراءات والنحو ، والأدب ، ودرس بحماة وخطب بقلعتها ، وكان له حلقة اشتغال إلى أن توفي سنة (672هـ/1273م)[٣].

ثانياً : المعيد ، وهو النابغ من التلاميذ ، ويقوم بإعادة المحاضرة بعد إلقاء االشيخ أو المدرس لها على الطلبة [٤] ، حيث يجلس مع الطلاب قبل الدرس أو بعده يشرح لهم نقاط الدرس التي تحتاج إلى ذلك ، ويساعدهم على استيعابه وفهمه[٥] ، وهو يلي المدرس ونائبه في الرتبة ، وكان يشترط في المعيد أن يكون من الصلحاء والفضلاء ، صبوراً على أخلاق الطلبة ، حريصاً على فائدتهم ، وانتفاعهم به ، قائماً بوظيفته[٦].

وقد ذكر ابن جماعة الحموي واجبات المعيد بقوله : " وينبغي للمعيد بالمدرسة أن يقدم أشغال أهلها على غيرهم في الوقت المعتاد أو المشروط إن كان يتناول معلوم الإعادة ؛ لأنه معين عليه ما دام معيداً ، أو أشغال غيرهم نفل أو فرض كفاية ، وأن يعلم المدرس أو الناظر بمن يرجى فلاحه ؛ ليزاد ما يستعين به ويشرح صدره ، وأن يطالبهم بعرض محفوظاتهم إن لم يعين لذلك غيره ، ويعيد لهم ما توقف فهمه عليهم من دروس المدرس ولهذا يسمى معيداً "[٧].

وربما كان الشخص معيداً في مدرسة ومدرساً في أخرى نظراً للتفاوت بين المدرستين في المستوى العلمي[٨].

---

(١) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 270/2.

(٢) المصدر السابق ، 121/6.

(٣) ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، 163/1.

(٤) عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص 271.

(٥) القلقشندي : صبح الأعشى ، 436/5 ، تاج الدين السبكي : معيد النعم ، ص 108.

(٦) ابن جماعة : تذكرة السامع ، ص 201-202.

(٧) ابن جماعة : تذكرة السامع ، ص 204.

(٨) حسن شميساني : مدارس دمشق في العصر الأيوبي ، ص 44.

ويعتبر نظام الإعادة من النظم التي أصبحت ذات مكانه في العصر الأيوبي ، وقل أن تخلو منه مدرسة من المدارس [١] ، فكان الواقف ينص على وظيفة المعيد وما يصرف له من الرواتب ضمن كتاب الوقف ، وكان لا يتولى الإعادة بمدارس حماة إلا العلماء والأفاضل من الطلبة الذين كثر نشاطهم العلمي[٢].

ثالثاً : الطلاب (فقهاء المدارس) :

كان يطلق على الطلاب بالمدارس اسم (الفقهاء) [٣] ، والظاهر أن هذا اللفظ تيمناً بما سيكون عليه الطالب ، وقد جاء لفظ الفقهاء والمتفقه في كثير من وقفيات المدارس[٤].

وأما أعداد الطلاب فكان يحددها أصالة أوقاف المدارس ، فكلما زادت الموارد الوقفية، واتسع حجم الوقف ؛ كلما زادت أعداد الطلبة والمدرسين ، بل ربما زادت أعداد المباني أو تقلصت. وترك تحديد ذلك لناظر الوقف ، فهو الذي يحدد زيادة عدد الفقهاء والمتفقه ، أو قلتها حسب نماء الوقف وزيادته أو نقصانه، ويصرف للطلاب عادة رواتب شهرية من ريع الوقف ، نقدية أو عينية كالحبوب ، والجرايات، وكانت بعض المدارس تضم مساكن خاصة بالطلاب ، يقطنها الغرباء والوافدون على حماة من طلبة العلم ، فقد أشار إلى ذلك ابن جبير بقوله : " كل مسجد يستحدث بناؤه أو مدرسة أو خانقة يعين لها السلطان أوقافاً تقوم بها وبساكنيها والملتزمين لها "[٥].

*** مدارس حماة في العصر الأيوبي :**

تميزت الدولة الأيوبية عامة بالتوسع في إنشاء المدارس ، ولم تستثنى حماة من ذلك ، فقد انتشرت المدارس بها ، وعُدّ ذلك حسنة من حسنات الأسرة الحاكمة فيها [٦]. ولم تختلف مدارس حماة عن مثيلاتها ، في بقية بلدان الشام ومصر التي كانت تابعة للدولة الأيوبية ، فكثيرا ما كانت

---

(١) أحمد شلبي : تاريخ التربية الإسلامية ، ص 257.

(٢) السبكي : فتاوى السبكي ، 2/119-120 ؛ النعيمي : الدارس ، 368/1.

(٣) السبكي : معيد النعم ، ص 108 ؛ عبد الجليل عبد المهدي : المؤسسات التعليمية ، 558/2.

(٤) السبكي : فتاوى السبكي ، 2/119-120 ؛ بدران : منادمة الأطلال ، ص 111- 213.

(٥) الرحلة ، 104/1.

(٦) كرد علي : خطط الشام ، 125/6.

المدرسة تسير وفق الشروط التي يضعها لها واقفها أو منشئها ، وكانت تلك الشروط بمثابة اللائحة الأساسية للمدرسة [١] . وفيما يلي أهم هذه المدارس وأشهرها :

– المدارس النورية :

لقد بنى نور الدين زنكي (ت 568هـ/1172م) مدرستين بحماة واحدة لتدريس المذهب الحنفي والأخرى للمذهب الشافعي ، وقد ذكرهما ابن جبير في رحلته حين زار حماة سنة (588هـ/1192م).

أ– المدرسة النورية الحنفية :

أنشئت في بستان يقع غربي الجامع والبيمارستان [٢] النوريين، على مقربة من قلعة حماة في حي الباشورة، وقد استمرت المدرسة في أداء وظيفتها في ظل الحكم الأيوبي ، ووجدت من ملوك الأسرة التقوية ما تستحقه من رعاية واهتمام[٣]. وممن ولي التدريس بالمدرسة النورية: قيصر بن أبي القاسم علم الدين تعاسيف (ت649هـ/1251م) ، كان ماهراً في علم الرياضيات والهندسة والحساب [٤]. وأبو القاسم بن إبراهيم بن هبة الله الفقيه الحموي ، الملقب بالعماد، (ت652هـ/1254م)، ولي قضاء حماة وإحدى مدن مصر[٥].

ب– المدرسة النورية الشافعية أو (المدرسة العصرونية) :

أنشأها نور الدين زنكي (ت 568هـ/1172م) إكراماً لشرف الدين بن أبي عصرون [٦]، وتتكون المدرسة من إيوانين ، وهي من المدارس القليلة التي تتصف بهذه الصفة، وتقع على ضفة نهر العاصي ، قرب بستان الجبل القريب من باب حماة ، وملحق بها جامع ، ولها أوقاف كثيرة جداً [٧]، [٧]، ممن تولى التدريس بها الشيخ أبو العباس أحمد بن المغيزل (ت 687هـ/1288م)[٨].

---

(١) أحمد رمضان : المجتمع الإسلامي في بلاد الشام ، ص 147.

(٢) بيمارستان : كلمة فارسية ، معناها : دار المرضى . أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، ص 4.

(٣) ابن جبير : الرحلة ، 96/1 ؛ ابن العديم : بغية الطالب ، 4581/10 ، حاشية رقم : 1؛

(٤) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 267/7.

(٥) ابن العديم : بغية الطلب ، 371/4.

(٦) هو شرف الدين أبو سعد أبي عصرون (ت 585هـ/1189م) ، استقدمه نور الدين من سنجار ، وأقام له مدارس في دمشق وحماة وحمص ومنبج وبعلبك . النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، 304/1.

(٧) أحمد رمضان : المجتمع الإسلامي ، ص 145.

(٨) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 123/8 ؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ، 119/1 ؛ صادق جودة : المدارس العصرونية ، ص 148.

– المدرسة المظفرية :

بناها المظفر الأول تقي الدين عمر(ت 587هـ/1191م) بجوار الجامع الكبير من جهته الغربية ، بمحلة المدينة ، وكان لها أوقاف ضخمة في قرية تسمى " الدجاجية " وغيرها[١].

– المدرسة المنصورية :

أنشأها المنصور الأول محمد (ت617هـ/1220م) عندما قدم إليه الشيخ سيف الدين الآمدي علي بن أبي علي بن محمد التغلبي (631هـ/1232م)[٢] ، وكانت بالقرب من الباب الشمالي لحماة ، المعروف باب الجسر ، وقد استحلفه على ألا يترك حماة إلا بإذنه [٣] ، وكان يجزل عليه بالعطاء ، ويحرص على حضور درسه ، فقد كان الآمدي إماماً في علوم كثيرة منها : الكلام والمنطق والعلوم الحكمية ، كما كان متضلعاً في أصول الفقه وله تصانيف بديعة في كافة العلوم ، في مقدمتها كتاب " الإحكام في أصول الأحكام " في علم الأصول[٤].

– مدرسة التربة :

بناها المنصور الأول أيضاً بظاهر حماة في الطرف الغربي من حلة باب الجسر ، وكانت تضم رفات والده المظفر الأول ، وقد أوقف عليها أوقافاً لإدارتها[٥].

– المدرسة المظفرية المحمودية :

تنسب إلى منشئها الملك المظفر الثاني محمود ملك حماة (ت 642هـ/1240م) ، وتقع بالقرب من الجامع الأعلى أو ما يعرف بالجامع الكبير[٦].

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، 369/12 ؛ النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، 163/7 ؛ الصابوني : تاريخ حماة ، ص 113 ؛ قدري الكيلاني : تطور التعليم في حماة ومراحله ، مجلة العمران ، عدد خاص عن حماة ، وزارة البلديات، دمشق ، السنة الرابعة ، العدد 29–30 ، حزيران ، 1969م ، ص 168.

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، 78/4.

(٣) المصدر السابق ، 78/4 ؛ النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، 298/1.

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون أنباء ، ص 651 ؛ الزركلي : الأعلام ، 332/4.

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، 378/2 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، 336/4 .

(٦) أبو الفداء : المختصر ، 364/1 ؛ قدري الكيلاني : تطور التعليم في حماة ومراحله ، مجلة العمران ، عدد خاص عن حماة ، وزارة البلديات ، دمشق ، السنة الرابعة ، العدد 29–30 ، حزيران ، 1969م ، ص 168.

- **المدرسة الخاتونية أو (مدرسة دار الإكرام) :**

تنسب إلى مؤنسة خاتون بنت المظفر الثاني محمود ملك حماة (ت 703هـ/1303م) دار لها وتسمى أيضاً " دار الإكرام " ، وتقع ببستان للخاتونة في أول مدخل محلة الجراجمة من الشرق على يسار النازل إلى باب النهر ، فأوقفتها مدرسة ، وكانت من كبريات المدارس ببلاد الشام ، وزودتها بمكتبة غنية بالكتب النفيسة ، وأوقفت عليها أوقافاً جليلة(١).

قال أبو الفدا : " توفيت عمتي مؤنسة خاتون ، بنت الملك المظفر محمود ابن الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، وأمها غازية خاتون ، بنت السلطان الملك الكامل ، وكان مولد مؤنسة خاتون المذكورة في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وكانت كثيرة الصدقات والمعروف ، عملت مدرسة بمدينة حماة تعرف بالخاتونية ، ووقفت عليها وقفاً جليلاً ، رحمها الله تعالى ، ورضي عنها ، وهي آخر من كان قد بقي من أولاد الملك المظفر صاحب حماة "(٢).

- **المدرسة الطواشية :**

أنشأها الطواشي شجاع الدين مرشد المنصوري الطواشي (ت 669هـ/ 1270م) ، وتقع بإزاء الباب الشمالي الكبير بجانب حمام الذهب الشرقي وبالقرب من الجامع الكبير ، وشرع العمل بها سنة (652هـ/1254م) ، وكانت متسعة جداً ، ولها أوقاف كثيرة ، وقد اندرست بعد الألف ولم يبق منها إلا آثار الجدران في أحد البساتين (٣). وممن تولى التدريس بالمدرسة الطواشية إسماعيل بن محمد الحموي ، الفقيه المقرئ النحوي أبو الفداء الحنفي ، المعروف بابن الفقاعي ، كان شيخاً فاضلاً ، مناظراً مناضلاً ، مفتياً مقّنناً ، محرراً مقنناً ، عارفاً بالقراءات والتجويد ، وحسن الأداء والترتيل والترديد ، مع المعرفة بالفقه والنحو والأدب ، وإليه ينسلون من كل حدب . توفي بحماة سنة (705هـ/1305م) ، ولد سنة (642هـ/1244م)(٤) ،

---

(١) أبو الفداء : المختصر ، 144/3 ؛ الصابون : تاريخ حماة ، ص 111 ؛ كرد علي : خطط الشام ، 124/6 ؛ قدري الكيلاني : تطور التعليم في حماة ومراحله ، مجلة العمران ، عدد خاص عن حماة ، وزارة البلديات ، دمشق ، السنة الرابعة ، العدد 29-30 ، حزيران ، 1969م ، ص 169.

(٢) المختصر في أخبار البشر ، 495/1.

(٣) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، 1 / ق 116/1 ؛ كرد علي : خطط الشام ، 124/6.

(٤) الذهبي : معرفة القراء الكبار ، 752/2 ؛ الصفدي : أعيان العصر ، 149/1.

وصفه الغزي بأنه : " من فضلاء بلده ، له معرفة بالقراءات ، والنحو ، والفقه ، وهو حسن الأداء في القراءة ، خبير بالتجويد ، له النظم الجيد. وهو فقيه حنفي ، ويخطبُ بحصن صهيون ، مع إقامته بحماة "(١) . فالشيخ ابن الفقاعي له دروس أخرى يلقيها بعدة مدارس بحماة (٢).كما تولى التدريس بالطواشية قاضي القضاة ناصر الدين محمد المعروف بابن العديم الحنفي (ت752هـ/ 1351م)(٣).

– مدرسة الشيخة :

أنشأها قاضي القضاة نجم الدين عبد الظاهر بن السفاح الحلبي (٤).

– المدرسة البارزية :

أنشأها أحد أبناء البيت البارزي ، وولي التدريس بها ، وكانت مخصصة لتدريس المذهب الشافعي(٥).

– المدرسة العزية :

تنسب إلى محمد بن حمزة العزي ، أنشأها بمحلة باب الجسر بجوار جامع العربي من الجهة الشرقية عام (657هـ/1258م) ، كانت مدرسة رحبة نقش عليها: " أنشأ هذه المدرسة المباركة الفقير إلى الله تعالى أبو سالم يحيى بن حمزة العزي سنة سبع وخمسين وستمائة "(٦).

– مدرسة أبي الفوارس :

أنشأها أبو الفوارس نجا بن عبد الكريم بن معافى سنة (595هـ/1198م) زمن المنصور الأول محمد ملك حماة ، وكانت إلى الجنوب من الجامع الكبير بمعرة النعمان ، وقد خصصها لتدريس المذهب الشافعي ، وقد نقش على أحد جدران المدرسة تاريخ بنائها واسم بنّائيها ، والمذهب الذي خصصت لتدريسه(٧).

---

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، 181/1.

(٢) السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، 342/1.

(٣) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، 380/2 ؛ المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، 186/2.

(٤) الصابوني : تاريخ حماة ، ص 113 ؛ كرد علي : خطط الشام ، 125/6.

(٥) كرد علي : خطط الشام ، 124/6 ؛ عدنان قيطار : الحركة الفكرية في مدينة حماة ، مجلة العمران ، ص 172.

(٦) الصابوني : تاريخ حماة ، ص 112–113.

(٧) السخاوي : الضوء اللامع ، 61/2 ؛ أحمد رمضان : المجتمع الإسلامي ، ص 143 ؛ كرد علي : خطط الشام ، 128/6 ؛ أحمد بدوي : الحياة العقلية ، ص 74.

– مدرسة ابن موهوب :

أنشأها عبد الرحمن بن محمد بن عبد القاهر بن موه وب أبو البركات زين الدين الحموي الشافعي ، خطيب الجامع الأعلى بحماة ، كان فاضلاً عالماً ، حسن الخطابة ، له وجاهة وكرم ، كان الملك المظفر صاحب حماة يحترمه و أرسل بعد وفاة الملك المظفر إلى الملك الصالح نجم الدين بالديار المصرية فأكرمه واحترمه ، بنى زين الدين بحماة مدرسة جليلة ، ووقف عليها وقفاً كثيراً ، ودفن بها لما توفي سنة (659هـ/1260م)(١).

– مدرسة ابن المشطوب :

تنسب إلى الأمير سيف الدين علي بن المشطوب وسمي المشطوب لشطبة في وجهه من أثر طعنة في إحدى غزواته. كان من كبار أمراء الجيش الصلاحي ، وأحد أهم القادة الذين خاضوا الجهاد مع صلاح الدين ضد الصليبيين ، ولاه نيابة عكا ، ووقع في الأسر حين هاجمها الصليبيون ، فافتدى نفسه منهم بخمسين ألف دينار فأعطاه السلطان شيئا كثيرا منها ، واستنابه على مدينة نابلس فتوفي بها سنة (588هـ/1192م)(٢). وممن تولى التدريس بمدرسة ابن المشطوب الشيخ الفتح بن موسى بن حماد نجم الدين أبو نصر المغربي (ت663هـ/1264م)، كان فقيها أصوليا نحويا ، ارتحل إلى المشرق، ودخل حماة ودرس بمدرسة ابن المشطوب ، ونظم " السيرة " لابن هشام ، و" المفصل " للزمخشري "(٣).

– المدرسة الخلصية (القرناصية) :

أنشأها مخلص الدين إسماعيل بن قرناص (ت 659هـ/1260م) ، بالقرب من جامع الشيخ إبراهيم في حي الحاضرة بحماة (٤) ، ومخلص الدين إسماعيل بن قرناص من أسرة علمية عريقة ، لها منزلة عند ملوك حماة وأهلها ، فقد توارث أبناؤها العلم والفضل(٥).

---

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، 208/1 ؛ العيني : عقد الجمان ، 84/1.

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 183/1 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، 348/12.

(٣) ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، 145/2 ؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، 348/8.

(٤) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، 127/2 ؛ أحمد غسان : مملكة حماة ، ص 183.

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، 227/5 ؛ قدري الكيلاني : تطور التعليم في حماة ومراحله ، مجلة العمران ، عدد خاص عن حماة ، وزارة البلديات ، دمشق ، السنة الرابعة ، العدد 29-30 ، حزيران ، 1969م ، ص 169.

– **المدرسة الجلدكية :**

أنشأها والي دمياط جلدك بن عبد الله المظفَّري التَّقويّ شجاع الدين ، كان مولى للملك تقي الدين عمر بن شاهنشاه صاحب حماة ، ولعله بنى المدرسة بحماة إكراماً لسيده ، وحبا للعلم والعلماء ، فقد كان محباً للأدب والشعر ، وسمع جلدك كثيراً من الحديث النبوي على الحافظ السِّلفي وروى عنه وعن مولاه الملك تقي الدين عمر بن شاهنشاه بشيء من شعره ، وولي نيابة الإسكندرية ودمياط ، ذكر أنه نسخ بيده أربعاً وعشرين ختمة ، وكان سمحاً جواداً محبّاً للعلماء مكرماً لهم يساعدهم بماله وجاهه ، توفي سنة (628هـ/1230م)[١].

– **المدرسة المؤيدية المشهورة بـ(الخطيبية) :**

تنسب إلى ملك حماة المؤيد عماد الدين أبي الفداء إسماعيل العالم الجليل المؤرخ الشهير، ممن تولى التدريس بها الشيخ أبو محمد بدر الدين عبد اللطيف الحموي (ت690هـ/1291م)، كان فصيحاً يحسن أداء الخطب[٢].

– **المدرسة المؤيدية الحنفية :**

تقع في القسم الشرقي من حرم جامع النوري ، بناها الملك المؤيد أبو الفداء[٣].

– **المدرسة الخيرية :**

لم تزودنا المصادر التي توفرت لنا عن منشئ المدرسة الخيرية ولا متى أنشأت ، وما جادت علينا به هو اسمها : " المدرسة الخيرية " ، وأن الشيخ الزاهد القدوة عبد الكريم بن أبي الفرج ابن الحكم الصدر شرف الدين بن الشيخ نجم الدين الحموي الشافعي ، تولى التدريس بالمدرسة الخيرية بحماة ، ولم يزل بها إلى أن توفي في ثامن شوال سنة إحدى عشرة وسبعم ائة ، ودفن بتربته بعقبة

---

(١) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 46/4 ؛ الكتبي : فوات الوفيات ، 300/1 ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب، 126/5.

(٢) ابن حبيب : تذكرة النبيه ، 148/1 ؛ المقريزي : السلوك ، 1، ق 777/3 ؛ قدري الكيلاني : تطور التعليم في حماة ومراحله ، مجلة العمران ، عدد خاص عن حماة ، وزارة البلديات ، دمشق ، السنة الرابعة ، العدد 29–30، حزيران ، 1969م ، ص 169.

(٣) الصابوني : تاريخ حماة ، ص 107 ؛ إحسان العظم : حماة في عصر أبي الفداء ، مجلة المعرفة (السورية) ، العدد 154 ، كانون الثاني ، 1974م ، ص 167.

نقيرين ، وصلي عليه غائباً وعلى الوزير فخر الدين بن الخليلي بالجامع الأموي **بدمشق** في وقت واحد ، تولى حسبة حماة مدة طويلة ، وكان يعرف بالمحتسب(١).

وكون هذا الشيخ يصلى عليه بدمشق من أوضح الدلالة على مكانة الشيخ العلمية والاجتماعية في المجتمع الشامي ، أضف إلى أنه تولى الحسبة مع التدريس.

– مدرسة البيمارستان النوري :

أنشأ السلطان نور الذين زنكي بيمارستان عام (550هـ/1164م) إلى جوار جامعه في جهة الجنوب منه ، وللبيمارستان صحن مكشوف في وسطه بركة مثمنة الشكل ، وكان البيمارستان يشتمل على غرف عديدة تحيط بباحته ، وكان قسمه الشرقي يطل على نهر العاص ، ويحتوي الجانب الغربي من البيمارستان على ثلاث غرف ذات مداخل متجهة نحو الجنوب ، وكان يصرف للضعفاء المقيمين في البيمارستان المال والطعام والدواء ، وكان بالبيمارستان مكتبة خاصة للأطباء العاملين به والدارسين فيه(٢).

---

(١) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر : 481/1.

(٢) ابن أبي أصيبعة : طبقات الأطباء ، ص 659–660 ؛ كامل شحادة : البيمارستان النوري ، مجلة العمران ، عدد حماة ، ص29–30 ، 102–103.

المبحث السابع : نظم التعليم .

تبلورت نظم التعليم في العهد الأيوبي بعد سنين من ظهور المدارس ، وذلك نتيجة لتراكم الخبرات سواء أكان ذلك في مناهج التعليم أو في التطور الإداري ، لكن النظم العامة من طرق التدريس وحلقات الدرس ، والوظائف التعليمية ، والإنفاق ، وغير ذلك من نظم التعليم ، ظهرت معالمها في العصر الأيوبي بوضوح أكبر ، سواء أكان ذلك في بلاد الشام ، أو في العراق ، أو مصر ، فلم يكن هناك اختلاف كبير بين هذه الأصقاع.

وأول ما يطالعنا في نظم التعليم في العصر الأيوبي هو :

*** مجانية التعليم :**

العلم في الأصل لا يفتقر إلى مال ، بل هو موهبة يقذفها الله في قلوب المؤمنين ، كما قال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[١] ، وقال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾[٢] ، وقد كره كثير من أهل العلم أخذ الأجرة على التعليم ، إلا أن التعليم النظامي يحتاج إلى تفرغ مدرسين ، وإدارة ، ومستلزمات دراسية ، وغير ذلك مما يجعل المال ضرورة لمسيرة التعليم النظامي.

وقد علم المسلمون من عهود الإسلام الأولى ، ضرورة اقتطاع مال للمعلمين للتفرغ لتعليم الطلاب ، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أمر بأن يعطي لثلاثة من المعلمين الذين كانوا يعلمون الصبيان القراءة والكتابة بالمدينة المنورة خمسة عشر درهماً لكل واحد منهم شهرياً[٣].

إلا أن التعليم في العصر الأيوبي اتسم بالمجانية ، لأن موارد الإنفاق عليه كثرت ، وصار لا يبني أحدهم مدرسة ، أو رباطاً ، أو غير ذلك ، إلا أوقف عليها أوقافاً ، تكفيها في القيام برسالتها. فالتعليم لم يكن مكلفاً لمن يريده ؛ إلا أن يشاء الوالد الاستفادة من جهد ابنه في معونته على العيش ، فمن استغنى ولحق طريق العلم ، فالباب مفتوح أمامه للدراسة ، وللرحلة إلى أي مصر في العالم الإسلامي ، وكانت له حيث نزل الأوقاف الموقوفة على مثله تساعده

---

(١) سورة النساء : آية رقم 113.

(٢) سورة البقرة : آية رقم 282.

(٣) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج 2 ، ص 11-15.

على العيش ، وكان الطلاب والعلماء يجدون فيها السند المادي المتوفر لمعونة الحركة الثقافية ولازدهارها[١].

وكانت الأوقاف توقف على المدارس ، لينفق منها على الأساتذة ، والمدرسين ، والمعيدين ، والطلبة ، حتى ينصرف الجميع إلى رسالتهم ، في جو من الاطمئنان ، وراحة البال[٢]. وقد تنوعت مصادر الإنفاق على التعليم في حماة فترة البحث ، فشملت الأوقاف الحكومية والأهلية ، إضافة إلى الهبات ، والتبرعات من قبل الحكام والولاة والأعيان.

* **طرق التدريس** :

يتميز التعليم الإسلامي من بين حقول التعليم في العالم بكثرة ووفرة طرق وأساليب تلقينه ، كيف والرسول الأمين ﷺ هو معلم البشرية جمعاء ، ولو أردنا أن نستقرئ السيرة النبوية لاستخلاص طرق التدريس لرأينا عجباً ، فكان التدريس بالكلمة ، والتدريس بضرب المثل ، وبالفعل ، والإشارة ، والاستفادة من الحديث ، وطرح المسائل ، والاستفادة من الأدوات ، وغير ذلك . وقد تختلف وتتباين طرق التدريس حسب المرحلة التعليمية التي تمارس فيها ، فهناك طرق تعليمية تمارس وتستخدم في مرحلة التعليم الأولى ، ونقصد بها مرحلة الكتاتيب ، وهناك أساليب وطرق تعليمية تمارس وتستخدم في مراحل التعليم المتقدم ، مراعاة لتفكير وإدراك الطلبة ، وطرق التعليم في المساجد تختلف عنها في المدارس ، وطرق التدريس في المدارس تختلف عنها في المنازل ، وهكذا.

وتعتبر طريقة التدريس ناجحة إن أدت إلى شعور الطالب بالمسؤولية تجاه العلم ، وتبليغ حكم الله تعالى للناس ، وتنمية الفكر التأملي لدى الطالب ، والوصول لفهم المادة المقررة في أقل وقت ، وبأيسر جهد يبذله المعلم والمتعلم ، إضافة إلى ظهور ذلك في نتائجه في اختبارات التحصيل[٣].

---

(١) ناصر الحازمي : الحياة العلمية في دمشق ، ص 263-264.

(٢) السبكي : فتاوى السبكي ، 120/2 ؛ ثناء نجاتي عياش : أسباب انتشار المدارس في العصر الأيوبي ، مجلة الفيصل، العدد 317 ، ذو القعدة ، 1423هـ/ يناير ، 2003م ، ص 62.

(٣) أمال رمضان : الحياة العلمية في مكة ، ص 266.

والتعليم في العصر الأيوبي ، كان ينقسم إلى عدة مراحل فهناك الكتاتيب ، وفي درجة أعلى من الكتاتيب ؛ كانت تعقد حلقات دراسية في الجوامع ، ويتصدى للتعليم فيها شيوخ أو معيدون ، والتدريس في المساجد ، والمرحلة الثالثة وهي الأكثر تنظيماً ، وهي إعطاء الدروس في المدارس(١) ، ويتم التدريس فيها عن طرق مختلفة.

وقد انتهج العلماء أساليب وطرقاً متنوعة في التدريس.

ففي مرحلة التعليم الأولى ، وهي الكتاتيب اتبعت طريقة التلقين والتكرار ، وفيها يقوم الشيخ أو الفقيه بتلقين الأطفال بشكل متكرر بعض سور القرآن الكريم ، ولاسيما قصار السور ، وذلك بالقراءة من بعده ، وتقليده حتى يتم حفظهم ، ثم تأتي مرحلة الكتابة التي يتعلمها الطلبة من خلال الكتابة في الألواح الخاصة بهم ، فيكتبون قصار السور التي تعلموها وحفظوها ، ثم تأتي مرحلة تعلم الحساب بعملياته الأربع ، وشيء من التوحيد والفقه والحديث ومبادئ اللغة العربية(٢).

ويتلوها طريقة القراءة الجهرية : وهي طريقة تقوم على ترديد الطلبة لما يلقيه عليهم المعلم، ولاسيما القرآن الكريم بشكل مضبوط وصحيح ، حتى يتم حفظهم لذلك عن ظهر قلب(٣).

ثم طريقة الحفظ والاستظهار : وهي طريقة تركز على الاستفادة من ذاكرة الطالب في حفظ العلوم المختلفة(٤) .

وهذه الطرق تتناسب مع الصغار في المراحل الأولى ، ولا أدل على صحة هذه الطريقة ومثاليتها من العدد الكبير الذي يتخرج بها متقناً للقرآن الكريم ، عالماً بمبادئ النحو والكتابة والحساب.

أما أساليب وطرق التدريس التي كانت تتم في المدارس ، أو المساجد فقد اختلفت وتنوعت فمنها طريقة المحاضرة والتي تعتمد على الإلقاء والتكرار من جانب الشيخ ، الذي

---

(١) حسن شميساني : مدارس دمشق ، ص 39-40.

(٢) القابسي : الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمن ، ص 306 ؛ محمد الأبراشي : التربية الإسلامية وفلاسفتها ، ص196.

(٣) ابن مسكوية : تهذيب الأخلاق ، ص 20 ؛ عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص 219.

(٤) حسن عبد العال : التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ص 152.

يلقي محاضراته على تلاميذه ، وتستلزم منه حال إعداده لها تدوينها نقطة نقطة ، ثم يقوم بشرحها وإيضاحها بشكل مستفيض ، مما يمكن تلاميذه من تدوين ما تم فهمه من هذه الدروس فضلاً عن بعض آراء للشيخ يطرحها حال شرحه [١] ، من فوائد هذه الطريقة ؛ أن الطلبة بإمكانهم مناقشة الشيخ ، والاستفسار منه عن بعض ما غمض من نقاط في درسه ، إضافة إلى أن الشيخ يقوم بطرح بعض الأسئلة على تلاميذه لمعرفة مدى فهمهم ، مع إجابته عن الأسئلة التي صعب على تلاميذه الإجابة عنها ، وهذا يتطلب منه أن يكون ملماً بموضوع درسه ، ولديه من العلم والخبرة ما يمكن أن يستفاد منها في إيضاح مسائله[٢].

وقد تكون طريقة المحاضرة عن طريق قراءة طالب مقاطع من كتاب ، ويشرحها المدرس، فيطلب المدرس من أحد طلابه قراءة الموضوع المقرر للدراسة من الكتاب ، ثم يتولى هو نفسه قراءة الموضوع مرة أخرى وطلابه منصتون إليه ، متابعون لقراءته في كتبهم ، وأثناء ذلك يتوقف عند الكلمات المبهمة ويشرح معناها ، ويقوم الطلاب بكتابة الشرح على هوامش الأوراق أو في أوراق خاصة ، وعادة يطرح المدرس بعض الأسئلة على طلابه ليختبر فهمه[٣].

وهناك طريقة الوعظ والخطابة : وهي طريقة تقوم على وعظ الناس ، وإرشادهم من خلال مواعيد منتظمة كأيام الجمع والأعياد ، ومن خلال مواعيد غير منتظمة كأيام الكسوف، وليالي الخسوف ، وأيام الاستغاثة ، وغيرها على المنابر ، أو الوعظ العام في حلقات الدروس[٤]. ويفتتح المدرس درسه عادة بالبسملة ، والصلاة والتسليم على الرسول ﷺ ، وربما تليت آية قرآنية ، أو ألقي حديث نبوي شريف ، يحثان على طلب العلم والسعي إليه ، والالتزام بحسن الخلق ، ثم يشفعونه بالدعاء ، ثم يشرع المدرس في إلقاء درسه [٥] . بعدها يقوم المعيد بإعادة الدرس على الطلبة[٦].

---

(١) مصطفى متولي : مدخل إلى تاريخ التربية الإسلامية ، ص 377.

(٢) أحمد شلبي : التربية الإسلامية ، ص 277.

(٣) حسن شميساني : مدارس دمشق ، ص 40.

(٤) السبكي : فتاوى السبكي ، 2/125-127 ؛ عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص 237-238.

(٥) حسن شميساني : مدارس دمشق ، ص 39-40.

(٦) السبكي : فتاوى السبكي ، 2/126.

واعتمد الطلاب على طريقة حفظ الكتب والمتون [١] ، وبرعوا في ذلك ، كأن يقال : كان يحفظ " الوسيط " للغزالي ، و " التنبيه " في الفقه للشيرازي ، وكان من محفوظاته كتاب "الكافي "[٢] وهكذا ، وكان بعض الطلاب يختار لنفسه كتاباً من كتب العلم منهجا ثم يقرأه على أحد الشيوخ حتى يتقنه ويحفظه[٣] ، كما أن أسلوب الإلقاء والتلقين والمناقشات العلمية ، كان سائدا بين العلماء والطلاب داخل المدارس ، يجلس المدرس ويحلق به الفقهاء والطلاب فيذكرون المسائل ويأخذون في طرحها وتفصيلاته ، ويشاركه العلماء في بحثها ، فيأخذ الحنفي في الانتصار لقول إمامه ، ويعارضه الشافعي مدليا بحجة ، ويشاركهم المالكي والحنبلي وهو على ذلك حتى فراغهم من درسهم[٤].

وكان للطلاب حرية اختيار العلم الذي يرغب في دراسته وتعلمه ، فهناك علوم الشريعة التي تضم القراءات والحديث والتفسير والفقه والأصول ، وعلوم العربية كاللغة والنحو والشعر والأدب والنثر والخطابة ، وعلم الكلام والفلسفة ، وهناك العلوم التطبيقية مثل الطب والصيدلة والرياضيات والفلك وغيرها ، وكان بعض العلماء متبحراً في عدة علوم وليس في علم واحد فقط ، وهذه ميزة اتصف بها عدد غير قليل من علماء المسلمين[٥].

وحتى تتم العملية التعليمية على الوجه الصحيح ، لم ينسَ العلماء أن يبينوا آداب طالب العلم بين يدي الطلبة لتتم الاستفادة ، ومنها أن يصلح نيته في التعليم لله تعالى ، وأن يتحلى بالتواضع والتقوى والصدق والبعد عن الغيبة والنميمة ، ويبتعد عن المراء والجدال الذي لا فائدة منه[٦] ، وقد نص العلماء كذلك على احترام مجلس العلم وطريقة الجلوس ب.هـ ، وأن الطالب إذا حضر يسلم على الجميع ويخص الشيخ بالتحية والإكرام ، وأن يصبر على الشيخ إن كان في خلقه أو خلقته شيء غير محبب [٧].

---

(١) أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص 186 ؛ الذهبي : تذكرة الحفاظ ، 1470/4 ؛ العبر ، 344/3.

(٢) أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص 186 ؛ الذهبي : العبر ، 345/3 ؛ تاريخ الإسلام ، ص 611 ، 620.

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص 646 ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، ص 611 ، 620.

(٤) بدران : منادمة الأطلال ، ص 105 ؛ صبرة : المدارس في العصر الأيوبي ، ص 119.

(٥) عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص 222 ؛ الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص 410.

(٦) ابن الحاج : المدخل ، 316/1–328.

(٧) ابن حجر : الدرر الكامنة ، 185/5–186.

الإجازات العلمية :

اختص الله سبحانه وتعالى هذه الأمة بشرف الإسناد [١] ، فهي الأمة الوحيدة بين أمم الأرض التي تحمل تراثها الديني والثقافي بالأسانيد والروايات ، ومنه ما هو بأعلى أنواع الأسانيد وهو التواتر [٢] ، ولا يختص ذلك بالكتاب العزيز وحده ، بل كثير من الأحاديث النبوية والتواريخ تحمل أيضاً صفة التواتر [٣]. وللإسناد أهميته في نقل التراث الفكري ، قال الإمام ابن المبارك : " الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء "[٤].

ولقد كانت العصور الإسلامية الأولى تعني بالرواية والسماع ، وكانت العلوم المتلقاة تقل طبقات أسانيدها باعتبار قرب العهد من النبي ﷺ والصحابة والأئمة المجتهدين ، فكانت الأسانيد يقل عدد أفراد رجالها ، مما يسهل حفظها على الأمة حتى صار عصر التدوين ، وبدأت المصنفات تظهر إلى حيز الوجود بتدوين تلك الأسانيد المحفوظة ، وصار الإسناد يدخل في مرحلة جديدة وهي حمل كتاب عن شخص بعد أن كان الأمر حمل عدة أحاديث.

وبهذا ظهر مصطلح جديد في طرق التحمل والرواية ، وهو مصطلح (الإجازة العلمية)، وهي إجازة الشيخ مروياته للطالب بأن يرويها عنه ، وبهذا تغلب المحدثون على الصعوبة الحاصلة من طول الأسانيد ، فيكفي أن يجيز الشيخ كتاباً كصحيح البخاري مثلاً لتلميذه ، فيروي التلميذ الجامع الصحيح بأسانيده من طريق هذا الشيخ ، ولا تعدو الإجازة عبارة واحدة كأن يقول الشيخ لتلميذه " أجزتك رواية صحيح البخاري بإسنادي إليه " ، وأصبح بعد تدوين الكتب لا فرق بين الإجازة والسماع[٥].

---

(١) المراد بالإسناد : سلسلة الرجال الموصلة إلى المتن ، كأن يقول الرجل حدثني فلان أن فلاناً قال : " كذا وكذا " . انظر في ذلك : السخاوي : فتح المغيث ، ص 105 ؛ محمود الطحان : أصول التخريج ، ص 158.

(٢) التواتر : هو التتابع قال تعال : ﴿ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ [المؤمنون ، آية 44] ، وعند علماء المصطلح يعرفونه بأنه ما يرويه الجمع الذي تحيل العادة تواطؤهم على الكذب ، وحده بعضهم بعشرة أشخاص في كل طبقة من طبقات السند . انظر تعريف المتواتر في : نزهة النظر في : ابن حجر : نخبة الفكر ، 2/1 ؛ صبحي الصالح : علوم الحديث ، ص 146.

(٣) السيوطي : تدريب الراوي ، 31/1.

(٤) صحيح مسلم ، ج 1 ، ص 15.

(٥) السيوطي : تدريب الراوي ، 31/1.

واعتمد العلماء هذا النوع من التحمل والأداء ، مادام التلميذ سمع الكتاب من الشيخ ، أو كان الكتاب بنسخة صحيحة بخط مؤلفه أو قوبل على نسخته [١] ، ولاسيما فيما اشتهر في الأمصار ككتب الحديث الستة.

عرف العلماء الإجازة **لغة** فقالوا : هي من الجواز بمعنى الإباحة والإذن[٢].

واصطلاحاً : الإذن في الرواية[٣].

وصورتها : أن يقول الشيخ للراوي شفاها ، أو كتابة ، أو برسالة : أجزت لك أن تروي عني الكتاب الفلاني ، أو ما صح لك من مسموعاتي[٤] ، من غير أن يسمع ذلك منه أو يقرأه عليه.

وللإجازة أنواع كثيرة ، ذهب الجمهور إلى قبول اثنين منها وهما :

1- إجازة المعيَّن للمعيَّن وصورتها أن يقول الشيخ للراوي : أجزتك البخاري أو ما اشتملت عليه فهرستي ، وهذا أعلى أنواع الإجازة المجردة عن المناولة[٥].

2- إجازة المجاز ، وصورتها أن يقول الشيخ للراوي : أجزت لك رواية مجازاتي أو ما أجزت في رواياته[٦].

وقد تعددت الإجازات الممنوحة فشملت مختلف العلوم ، الحديث والفقه والقراءات والعربية ، كما تعددت أغراضها بين الإجازات العامة والخاصة والإجازات بالتدريس والإجازات بكتاب معين ، والإجازات بالاستدعاء.

وعرف في هذا العصر إجازة السماع ، ولعل سبب ظهورها هو تأسيس المدارس وكثرة الطلبة بها ، حيث زادت وتطورت وكثرت في القرنين السادس والسابع الهجريين ، وقد زاد

---

(١) ابن الصلاح : علوم الحديث ، ص 151 ، 162 ؛ السلفي : اهتمام المحدثين بنقد الحديث ، ص 277.

(٢) القاموس المحيط ، 176/2.

(٣) الخطيب البغدادي : الكفاية في علم الرواية ، ص 466 ؛ الأمير الصنعاني : توضيح الأفكار بشرح تنقيح الأنظار ، 309/2.

(٤) جامع الأصول ، 81/1.

(٥) السيوطي : تدريب الراوي ، 29/2.

(٦) السخاوي : فتح المغيث ، 88/2 ؛ السيوطي : تدريب الراوي ، 42/2.

الإقبال عليها وبالأخص في كتب الحديث وذلك لكثرة طلابه وظهور دور الحديث ، ويلي كتب الحديث كتب التاريخ والتراجم ، ثم كتب اللغة والأدب(١).

وتُمنح الإجازة لطالب العلم إما مشافهة أو كتابة ، وذلك بأن يكتب الشيخ إجازاته على الكتاب الذي درسه الطالب عليه ، أو يكتبها له الشيخ مستقلة عن الكتاب (٢) ، وقد حوى بعضها طرق الرواية ، وخلا بعضها من ذلك(٣).

وكل ما في الأمر أن الأستاذ يحق له أن يمنح الإجازة للطالب الذي تابع دروسه لمدة معينة أو أبان عن كفاءة وتميز في مادة علمية محددة . وقد شاعت الإجازة العلمية في الأوساط الفكرية حتى تعدت علم الحديث إلى العلوم الأخرى بل صارت شاملة لمعظم العلوم ، كالفقه والقراءات والتفسير والنحو والأدب والطب وغيرها ، كما تعددت أغراضها إلى الإجازة بالفتيا والتدريس وعراضات الكتب والإجازة على الاستدعاءات(٤).

الوظائف التعليمية والألقاب العلمية :

إن مهنة التدريس مهنة شريفة ، فالعلماء ورثة الأنبياء ، وفضلها عظيم حتى ورد " إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في حجرها وحتى الحوت ليصلون على معلِّم الناس الخير "(٥). وقد شهد العصر الأيوبي تخصصاً في وظائف التدريس ، والتي من أهمها وظيفة وظيفة المدرس: الذي يلقي الدروس على الطلبة ، وعادة ما يكون متقناً فناً أو أكثر ، وإذا بلغ الغاية في فنه فهو العالم ، والعلماء فرق كثيرة ، قال السبكي : (منهم المفسر والمحدث والفقيه والأصولي والنحوي وغيرهم ، وتتشعب كل فرقة من هؤلاء شعوباً وقبائل ، ويجمع الكل أنه حق عليهم إرشاد المتعلمين وإفتاء المستفتين ونصح الطالبين وإظهار العلم للسائلين)(٦).

---

(١) المنجد : إجازات السماع في المخطوطات القديمة ، 1/233-234.

(٢) عسيري : الحياة العلمية في العرق ، ص 250.

(٣) ابن حجر : نخبة الفكر ، ص 216.

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج 14 ، ص 364-374.

(٥) ورد هذا في حديث أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ، ج 5 ، ص 48 ، إلا أنه قال عنه : هذا حديث غريب.

(٦) السبكي : مبيد النعم ، ص 67.

و درج العلماء على التنبيه على آداب المعلِّم ، وما الذي ينبغي له أن يفعله أثناء الدرس وبعده ، ومن جملة ذلك أن يكون من أهل العلم والصلاح صحيح الاعتقاد ، حسن النية ، متحلياً بالأخلاق الكريمة ، حسن الهيئة ، لا يكثر من الكلام والضحك ، حليماً متواضعاً ، متجنباً للكبرياء والإعجاب ، متسماً بالعفو والصفح مع المهابة والوقار [١] ، وأن يكون سليم النطق مجيداً للغة العربية التي يدرس بها ، وأن يراعي الفروق الفردية بين الطلبة من حيث مستوى استيعابهم ومدى فهمهم واختلاف أعمارهم ، " فإن كان الطلبة من المبتدئين فلا يُلقِ عليهم ما لا يناسبهم من المشكلات ، بل يدربهم ويأخذهم بالأهون فالأهون إلى أن ينتهوا إلى درجة التحقيق "[٢] ، كذلك عليه أن يراعي الجوانب النفسية للطلبة ، فلا يفضل بعض الطلبة على بعض ، إلا إن كان أحدهم أكثر اجتهاداً ، أو أدباً ، فيظهر ذلك أمام الطلبة من أجل أن يحذو ا حذوه[٣] . كذلك عليه أن يراعي الآداب الاجتماعية ، بمعنى أن يتودد للطالب الغريب وينبسط له ، ولا يكثر النظر إليه استغراباً لئلا يخجله [٤] ، وأن لا يفتي فيما يعلمه وما لا يعلمه ، فإذا سئل عما لا يعلمه ، قال : لا أعلمه أو لا أدري ، وأن يقول عند ختم كل درس : " والله أعلم "[٥] ، وأن ينزه مجلسه من اللغو ، والنميمة ، ورفع الصوت ، ، متيقظاً لما يفعله الطلبة بحيث يزجر كل من يتعدى في بحثه أو ظهر منه سوء أدب[٦].

الألقاب العلمية :

لقد حظي المدرس بألقاب علمية عالية ، كالحافظ ، والمحدث ، والمسند[٧] ، والشيخ ، والعالم ، والفاضل ، والإمام ، والفقيه والمفتي ، وكانت هذه الألقاب الشريفة لا تطلق إلا لمن من كانت له الأهلية التامة.

---

(١) ابن الحاج : المدخل ، ج 1 ، ص 88 ، 89 ، 114.

(٢) السبكي : مبيد النعم ، ص 105.

(٣) ابن جماعة : تذكرة السامع ، ص 59.

(٤) المصدر السابق ، 43-44.

(٥) المصدر السابق ، ص 42.

(٦) المصدر السابق ، ص 22-41.

(٧) من أشهر الألقاب التي أطلقها العلماء على المحدثين : المسند : وهو من يروي الحديث بإسناده ، سواء أكان عنده علم به أم ليس له إلا مجرد روايته ، والمحدث أرفع منه بحيث عرف الأسانيد والعلل ، وأسماء الرجال ، والعالي والنازل،

كما وجد بحماة جماعة من العلماء جمعوا بين مهنة التدريس والمناصب الدينية العالية كالقضاء ، وربما وصف الشيخ بأنه من أعيان علماء حماة .

هذا ولم يكن عمل المدرس قاصراً على مدرسة واحدة ، بل قد يتنقل الشيخ بين عدد من المدارس.

وأما وظائف التدريس الأخرى ، ومنها (المعيد) وهو الذي يقوم بإعادة الدرس بعد فراغ المدرس من إلقائه [١] ، وذلك لأن وقت المدرس لا يتسع لإعادة شرح بعض الدروس لمن يحتاج إلى ذلك من الطلبة ، لذا فإن الطالب المتقدم يساعد المدرس في مادة التخصص في أعماله ، ويعيد الدرس للطلاب ، ويحضر كذلك الدروس التي يكلفه بها المدرس والطلبة يسمعون ذلك ، ويجلس مع الطلبة لاستذكار بعض الدروس ، وعادة ما يحضر المعيد قبل حضور مدرسه ، ويحث الطلبة على الاشتغال بمراجعة الدروس ويبين لهم ما يشكل عليهم فيما يشتغلون فيه عليه ، فيشرح لمن احتاج الشرح ، أو يكرر أو يزيد لمن لم يستوعب ما ألقي عليه من الدرس [٢] .

وفي الحقيقة ، أن مهمة المعيد تبين مدى الترابط ، والتكامل بين المدرس ومعيده ، بحيث يتمم المعيد ما يكون من نقص لدى الطلاب ، حتى تتم العملية التعليمية على أفضل وجه ممكن ، وهذا بدوره يؤكد علو شأن التعليم في المدارس المملوكية خلافاً للأصوات التي تبرز من حين لآخر بانحطاط التعليم في هذا العصر ، وتسميه بعصر الركود العلمي.

ومن أشهر معيدي هذا العصر : محمد بن محمد الأمير الفاضل سيف الدين أبو بكر بن صلاح الدين أبي الحسن ابن الملك الأمجد مجد الدين الحسن ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين داود ابن المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . كان فقيهاً فاضلاً،

وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة من المتون ، وسمع الكتب الستة ومسند أحمد وسنن البيهقي ومعجم الطبراني ، وضم إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية ، أما الحافظ فهو أعلاهم درجةً وأرفعهم مقاماً : فمن صفاته : " أن يكون عارفاً بسنن الرسول ﷺ ، حافظاً لصحيحها مميزاً لأسانيدها ، عارفاً برجالها ، وبشيوخه وشيوخ شيوخه طبقة بعد طبقة " . انظر : صبحي الصالح : علوم الحديث ، ص 75.

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع ، ص 150.

(٢) السبكي : مبيد النعم ، ص 108 ؛ عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص 271.

وله شعر ، مدح الخليفة والسلطان وقاضي القضاة ابن صصرى والشيخ كمال الدين بن الزملكاني ، وأجابه عنها ابن الزملكاني ، وأقام بحماة مدة ، وحضر المدارس معيداً ، ثم إنه عاد إلى دمشق وأقام بها . وسمع على الفاروثي وغيره . وتوفي رحمه الله تعالى عاشر جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبعمائة[١].

الجمع بين التدريس ومهنة أخرى في حماة وخارجها :

نظراً لما تميز به المدرسون بحماة أيضاً نجد أن كثيراً منهم كان يعمل بالقضاء أو الحسبة أو الخطابة ، أو التدريس في خارج حماة أيضاً ، فإن العالم يكون متبحراً فيحب أن يتعدى نفعه لغيره ما أمكن. ومن أمثلة هؤلاء : الشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسين بن رزين بن موسى العمري الحموي (ت680هـ/1281م) ، خرج من حماة صغيراً لطلب العلم ، وعاد إليها وقد أصبح عالماً متبحراً في الفقه الشافعي ، وتصدى للإفتاء بها وهو لم يتجاوز بعد الثامنة عشر من عمره ، وكان مرجعاً في الفتوى ليس في حماة وحدها إذ أن الأسئلة المتعلقة بالفتاوى كانت تنهال عليه من كل مكان ، وأسند إليه منصب قاضي القضاة ، وظل يشغله حتى وفاته[٢].

ومن العلماء الذين تصدوا للتدريس بمدارس حماة وبرعوا في العلم خاصة تدريس النحو، الشيخ عفيف الدين إسحاق بن خليل بن غازي الحموي (ت672هـ/1273م) ، وقد تخرجت عليه أجيال من طلاب العلم في النحو والقراءات والفقه ، كما تولى الخطابة بجامع قلعة حماة ، وكان يقرض الشعر ، وله فيه محاولات جيدة[٣].وعبد الله بن أحمد بن محمد ابن محمد بن نصر الله الشيخ فخر الدين بن الشيخ الإمام تاج الدين ابن المغيزل الحموي [٤].وعبد الصمد بن عبد اللطيف بدر الدين بن المغيزل الحموي (ت725هـ/1324م) ، ولي الوزارة بحماة ، ثم تركها[٥]. وعبد الكريم بن محمد بن محمد بن نصر الله الحموي أبو السماح ابن المغيزل ، وكيل

---

(١) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، 423/2.

(٢) ابن حبيب : تذكرة النبيه ، 65/1 ؛ تاريخ ابن الفرات : 244/7 ؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، 46/8 ، ابن العماد : شذرات الذهب ، 368/5.

(٣) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 412/8 ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، 258/2.

(٤) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، 417/1.

(٥) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، 458/1.

بيت المال بحماة ، كان يجتهد على قضاء الحوائج ، توفي سنة (697هـ/1297م)[١].و الشيخ صلاح الدين بن المغيزل الحموي الشافعي (ت719هـ/1319م)[٢]. ومحمد بن محمد موفّق الدين الحموي الشافعي ، قدم دمشق وولي خطابتها سنة (693هـ/1293م)[٣].و محمد بن الحسين بن نصر الله ، قاضي القضاة تقي الدين أبو عبد الله العامري الحموي (ت680هـ/1281م) [٤]. وهبة الله بن عبد الرحيم الجهني ، قاضي القضاة شرف الدين ابن البارزي[٥]، وأبو الفضل إسماعيل بن قرناص [٦]، وعلاء الدين الخزاعي الحموي الشافعي ابن قرناص (ت 712هـ/1312م)[٧]، و عبد الله بن عبد الوهاب كمال الدين النهراني الحموي (ت715هـ/1315م) [٨]. أما عن برنامج اليوم الدراسي فكان يبدأ عادة عند طلوع الشمس ويستمر حتى وقت صلاة العصر ، ويترك للمدرس حرية اختيار الوقت الذي يلائمه خلال النهار ليلقي فيه دروسه ، على أن المدة الفعلية للدراسة لا تزيد على ثلاث ساعات تقريباً وتتراوح أيام الدراسة بين أربعة أو خمسة خلال الأسبوع ، أما العطلات فتكون أيام الأعياد ، وشهر رمضان ، وأيام التشريق ، وشهري رجب وشعبان ، وعشرين يوماً من شوال[٩].

مناهج التعليم في حماة في هذا العصر :

*** الكتب التي كانت تدرس :**

إن دراسة العلوم والمصنفات التي كانت تدرس بحماة ، هي من الأهمية بمكان لمعرفة طبيعة الأنشطة العلمية بها ، كما إنها تعطي الصورة الصحيحة لأبعاد تلك العلوم وتطورها ، والمستوى العلمي للعلماء والطلاب على حد سواء.

---

(١)الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، 481/1.

(٢) المصدر السابق ، 80/3.

(٣) المصدر السابق ، 416/2.

(٤) ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، 148/2.

(٥) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، 387/10.

(٦) ابن العديم : بغية الطلب ، 1610/4.

(٧) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، 15/2.

(٨) المصدر السابق ، 430/1.

(٩) أحمد رمضان : المجتمع الإسلامي ، ص 149.

لقد كان للطالب حرية اختيار العلم الذي يرغب في دراسته وتعلمه ، فهناك علوم الشريعة التي تضم القراءات والحديث والتفسير والفقه وأصوله ، وعلوم العربية كاللغة والنحو والشعر والأدب والنثر والخطابة ، وعلم الكلام والفلسفة ، وهناك العلوم التطبيقية مثل الطب والصيدلة والرياضيات والفلك وغيرها ، وكان بعض العلماء متبحراً في عدة علوم وليس في علم واحد فقط ، وهذه ميزة اتصف بها عدد غير قليل من علماء المسلمين[١].

ومن أهم مميزات قائمة العلوم والمصنفات التي كانت تدرس بحماة فترة البحث ؛ تعدد المصنفات وشمولها العلوم الشرعية والعربية والأدبية إضافة إلى التطبيقية والاجتماعية ، وفيما يلي بيان ذلك : – " **المنظومة الشاطبية** " ، أو" حرز الأماني ووجه التهاني " ، وهي منظومة لامية في القراءات ، نظمها أبو محمد القاسم بن فيرة الشاطبي (ت 590هـ/ 1193م) من كتاب " التيسير في القراءات السبع " للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت444هـ/1051م) ، شيخ القراء في عصره [٢]، وقد شرحها علم الدين أبو الحسن علي بن بن محمد السخاوي (ت 643هـ/1245م) ، وسمى شرحه " فتح الوصيد في شرح القصيد " [٣].

ومن كتب الحديث النبوي : – المسند : وقد سمعه وحدث به : ابن الرفاء عبد العزيز بن محمد الأوسي (ت662هـ/1263م) ، رحل به والده وسمعه المسند كله ، ثم روى المسند غير مرة ، قرأه عليه كثير من العلماء[٤].

– **الأجزاء الحديثية**: [٥].**جزء ابن عرفة** : وقد حوى هذا الجزء أربعة وتسعين نصًّا مسندًا ، تتنوع بين أحاديث مرفوعة وآثار موقوفة [٦]. وكان هذا الجزء من الأجزاء الحديثية التي

---

(١) الغامدي : بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص 410.

(٢) ابن الجزري : غاية النهاية ، ج 2 ، ص 20 ، حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج 1 ، ص 417.

(٣) المصدر السابق ، ج 5 ، ص 576.

(٤) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 193/6.

(٥)الجزء الحديثي عند العلماء : هو تأليف في الأحاديث المروية عن رجل واحد من الصحابة أو من بعدهم .الكتاني : الرسالة المستطرفة ، 87/1.

(٦) ابن عرفة هو : أبو علي الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي البغدادي (ت257هـ) ، كان من المعمرين ، فقد جاوز المائة ، كما أن إسناده من العلو بمكان ، المصدر السابق ، 87/1 ، وانظر في التعرف عليه : الكتاب المطبوع.

اشتغل بها المحدثون في كل العصور طلباً لعلو الإسناد ، ولتنوع موضوعاتها ، وقد اهتم أهل حماة بهذا الجزء فأكثروا من سماعاته على الشيوخ ، وقد رواه جماعة من علمائها ، ومنهم : شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز الأنصاري ، فقد سمعه منه : ع بد الخالق بن أبي علي ابن عمر بن محمد بن عمر الصدر الفاضل الكبير عفيف الدين أبو الفضائل بن الصدر علاء الدين بن زين الدين بن الفارغ الحموي الشافعي(١)، وسمعه منه : هبة الله بن محمود بن أبي القاسم بن أبي الفضائل بن أبي القاسم بن محمد بن قرناص الخزاعي الحموي الشافعي (٢). وسمعه منه : الشيخ زين الدين بن المغَيْزِل الحموي الخطيب ، أبو عبد الله(٣). وحدث به مراراً ابن الرفاء عبد العزيز بن محمد شرف الدين الأوسي (ت662هـ/1263م) (٤).

جزء القدوري: (٥) هو جزء حديثي ، توالى العلماء على سماعه (٦)، وممن سمعه من علماء حماة : محمد بن أيوب بن عبد القاهر الإمام بدر الدين التا دفي شيخ القراء بحماة ، (ت705هـ/1305م)(٧).

جزء الأنصاري : هو من الأجزاء العالية الشهيرة ، وعدد أحاديثه مائة حديث(٨)، وممن سمعه من علماء حماة : العلامة الخطيب جمال الدين يوسف بن محمد الحموي الشافعي خطيب جامع حماة (١).

---

(١) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، 447/1.

(٢) المصدر السابق ، 41/3.

(٣) المصدر السابق ، 98/1.

(٤) المصدر السابق ، 193/6.

(٥) والقدوري هو : أحمد بن محمد بن جعفر القدوري (ت428هـ/1036م) ، انتهت إليه بالعراق رئاسة الحنفية ، وعظم وارتفع جاهه ، وكان حسن العبارة ، جريء اللسان ، مديما للتلاوة ، وهو صاحب كتاب " المختصر في فروع الحنفية " وهو من الكتب المعتمدة في فقه أبي حنيفة ، واشتهر باسم " الكتاب " فإذا أطلق لفظ الكتاب عند الحنفية ينصرف إليه . ابن الخطيب : تاريخ بغداد ، 377/4 ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 575/17.

(٦) المعجم المفهرس ، 42/2.

(٧) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، 268/2.

(٨) الأنصاري هو : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن المثنى بن عبد الله بن أنس بن مالك الأنصاري البصري القاضي ، ، الثقة شيخ البخاري ، وما في شيوخ (البخاري) أحد أكبر منه ، ولا أعلى رواية توفى سنة (215هـ/830م)

ـــ **الغيلانيات** : وهو كتاب أبي بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدوَيْه البغدادي الشافعي البزَّاز (ت354هـ/965م) ، وكتاب الغيلانيات كتاب عظيم القدر بين أهل العلم ، مشهور جدًّا لديهم ، وهو عبارة عن عدة أجزاء ، و سميت هذه الأجزاء بالغيلانيات ؛ لأنها من رواية تلميذ المصنف : أبي طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان ، وهو آخر من رواها عن المصنف ، فتفرد بعلوها فنسبت إليه ، وقد بلغ عدد هذه الأجزاء أحد عشر جزءًا ، وتميزت بعلو سند مؤلفها وراويها ، حتى قيل : هي في السماء علوًّا ، وهي من أعلى الحديث وأحسنه(٢)، وممن سمعه من علماء حماة : فخر الدين بن البارزي عثمان بن محمد (ت730هـ/1329م)(٣).

– **المنتقى للضياء** : وهو كتاب " الأحاديث الجياد المختارة مما ليس في الصحيحين أو أحدهما " لضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي الدمشقي الحنبلي ، الحافظ الثقة ، الزاهد الورع (ت643هـ/1245م) ، وهو مرتب على المسانيد على حروف المعجم لا على الأبواب في ستة وثمانين جزءا ، ولم يكمل التزم فيه الصحة ، وذكر فيه أحاديث لم يسبق إلى تصحيحها ، وذكر ابن تيمية والزركشي وغيرهما : أن تصحيحه أعلى مزية من تصحيح الحاكم ، وذكر الزركشي في تخريج الرافعي : أن تصحيحه أعلى مزية من تصحيح الحاكم وأنه قريب من تصحيح الترمذي و ابن حبان ، وذكر ابن عبد الهادي في الصارم المنكي نحوه وزاد : فإن الغلط فيه قليل ليس هو مثل صحيح الحاكم ، فإن فيه أحاديث كثيرة يظهر أنها كذب موضوعة ، فلهذا انحطت درجته عن درجة غيره (٤). وممن سمعه من علماء حماة : فخر الدين بن البارزي عثمان بن محمد (ت730هـ/1329م)(٥).

الكتاني : الرسالة المستطرفة ، 72/5 ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ، 586/1 ، والجزء المطبوع ضمن مجموع سمي الفوائد للحافظ (عبد الرحمن بن منده).

(١) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، 35/2.

(٢) الكتاني : الرسالة المستطرفة ، ص 93 ، والكتاب المطبوع.

(٣) ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، 164/2.

(٤) الكتاني : الرسالة المستطرفة ، 21/1.

(٥) ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، 164/2.

– **مسند الشافعي** : لأبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي المكي ، نزيل مصر (ت204هـ) . وقد اهتم أهل العلم بسماعه وإسماعه اهتمامًا شديدًا ، وقد اشتمل هذا الكتاب على(1675) حديثاً ، رتبت على الأبواب الفقهية ، بدأت بباب ما خرج من كتاب الوضوء ، وانتهت بـ " ومن كتاب اختلاف علي وعبد الله مما لم يسمع الربيع من الشافعي " . وليس هو من تصنيفه ، وإنما هو عبارة عن الأحاديث التي أسندها ؛ مرفوعها موقوفها ، ووقعت في مسموع أصحابه لاسيما الأصم [١]. وممن سمعه من علماء حماة : فخر الدين بن البارزي عثمان بن محمد (ت730هـ/1329م) [٢].

– **كتب الفقه**:

. **التنبيه** : في الفقه الشافعي ، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت476هـ/1083م) ، وهو : أحد الكتب الخمسة المشهورة المتداولة بين الشافعية [٣]. ممن اعتنى به وقام بحفظه: ع بد الخالق بن أبي علي عفيف الدين أبو الفضائل الحموي الشافعي (ت712هـ/1312م) [٤]، وكذلك اعتنى به : قاضي القضاة شيخ الإسلام تقي الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين العامري الحموي (ت680هـ/1281م)، فقد حفظ التنبيه في صغره[٥].

– **الوسيط في الفروع** : للإمام أبي حامد محمد الغزالي الشافعي (ت505هـ/1111م)، أحد الكتب الخمسة المتداولة بين الشافعية [٦]. اعتنى به : قاضي القضاة شيخ الإسلام تقي الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين العامري الحموي (ت680هـ/1281م)[٧].

---

(١) انظر الرسالة المستطرفة ، والكتاب المطبوع.

(٢) ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، 164/2.

(٣) حاجي خليفة : كشف الظنون ، 489/1.

(٤) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، 447/1.

(٥) ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، 148/2 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، 367/5.

(٦) حاجي خليفة : كشف الظنون ، 2008/2.

(٧) ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، 148/2.

– **الحاوي الصغير**: في الفروع للشيخ نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم الشافعي (ت665هـ/1266م) ، وهو من الكتب المعتبرة بين الشافعية [١]، اعتنى به : قاضي القضاة شيخ الإسلام تقي الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين العامري الحموي[٢].

ومن كتب أصول الفقه :

– **المستصفى** :

في أصول الفقه للإمام أبي حامد محمد الغزالي (ت505هـ/ 1111م) وهو بين كتابيه : " تهذيب الأصول " و " كتاب المنخول "[٣]. وقد اعتنى به : تقي الدين محمد بن الحسين الحموي[٤].

– **مختصر ابن الحاجب في الأصول** : وهو المسمى : " منتهى السول والأمل في علمي الأصل والجدل " ، للشيخ جمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر المعروف : بابن الحاجب المالكي (ت646هـ/ 1248م) ، وهو المشهور المتداول " بمختصر المنتهى " و " مختصر ابن الحاجب " ، وممن اشتغل به من الحمويين : محمد بن الحسين قاضي القضاة تقي الدين أبو عبد الله العامري الحموي[٥].

ومن كتب اللغة :

– **المفصل** :

في النحو لجار الله أبي القاسم محمود الزمخشري الخوارزمي (ت538هـ/ 1143م) ، وهو مشهور ، وقد اعتنى به أئمة هذا الفن فشرحوه[٦]، وقد اعتنى به: قاضي القضاة تقي الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين الحموي [٧].

---

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون ، 626/1.

(٢) ابن قاضى شهبة : طبقات الشافعية ، 148/2 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، 367/5.

(٣) حاجي خليفة : كشف الظنون ، 1673/2.

(٤) ابن قاضى شهبة : طبقات الشافعية ، 148/2 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، 367/5.

(٥) ابن قاضى شهبة : طبقات الشافعية ، 148/2.

(٦) حاجي خليفة : كشف الظنون ، 1776/2.

(٧) ابن قاضى شهبة : طبقات الشافعية ، 148/2 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، 367/5.

-مختصر ابن الحاجب في النحو :

وهو المسمى : " الكافية في النحو " للشيخ جمال الدين أبي عمرو المعروف : بابن الحاجب المالكي النحوي (ت646هـ/ 1248م) [١]. وممن اشتغل بها من الحمويين وقام بتدريسها: محمد بن الحسين تقي الدين أبو عبد الله العامري الحموي [٢].

---

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون ، 1370/2.

(٢) ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، 148/2.

المبحث الثامن : الرحلة في طلب العلم .

تعتبر الرحلة في طلب العلم من أهم مميزات جهود المسلمين في هذا المجال ، فقد ارتحل العلماء إلى مناطق بعيدة عن أوطانهم سعياً وراء العلم والمعرفة ، غير مبالين بمشقة السفر ، ومتاعب الترحال[١]، فللرحلة في طلب العلم مفيدة ، ولم تكن مقصورة على فئة معينة من العلماء وطلاب العلم ، بل كان علماء القراءات يرحلون في طلب العلم ، وكذلك أصحاب الفقه والحديث والأدب واللغة[٢]، وكانت قيمة طالب العلم في نظر الناس تتناسب مع ما قام به من رحلات لطلب العلم ومع عدد المدرسين الذين تلقى عنهم[٣].

وقد رحل الحمويون إلى دمشق وحلب وبعلبك وبغداد والقاهرة والإسكندرية ، وهي العواصم الكبرى ومراكز العلوم آنذاك.

ومن فقهاء حماة الذين تشرفوا بالرحلة لطلب العلم :

الشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسين العمري الحموي (ت680هـ/1281م) ، خرج من حماة صغيراً لطلب العلم ، وعاد إليها وقد أصبح عالماً متبحراً في الفقه الشافعي ، وتصدى للإفتاء بها وهو لم يتجاوز بعد الثامنة عشر من عمره ، وكان مرجعاً في الفتوى ليس في حماة وحدها إذ أن الأسئلة المتعلقة بالفتاوى كانت تنهال عليه من كل مكان ، انتقل إلى حلب ومصر ، وأسند إليه منصب قاضي القضاة ، حتى وفاته[٤]، والشيخ مجد الدين أبو المعالي محمد بن خالد الحموي، أقام بحماة ، وكان قد ارتحل في طلب العلم إلى بغداد ودمشق وحلب ، وفيها وافته المنية سنة (687هـ/1288م)[٥]. وأحمد بن هبة الله بن قرناص ، رحل في طلب العلم إلى حلب وبغداد ، كان شاعراً ورئيساً فاضلاً[٦].وابن قرناص علاء الدين الخزاعي الحموي

---

(١) عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص 244.

(٢) القنوجي : الحطة في ذكر الصحاح الستة ، 12/1 ؛ نمي العدوي : التعليم في العصر المريني ، ص 28.

(٣) أحمد زكي : العلماء في الدولة الإسلامية ، ص 75.

(٤) ابن حبيب : تذكرة النبيه ، 65/1 ؛ ابن قاضي شهبة : طبقات النحويين واللغات ، ص 102 ؛ الذهبي : دول الإسلام ، 139/2 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، 367/5.

(٥) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 36/3 ؛ المقريزي : السلوك ، 209/2.

(٦) ابن العديم : بغية الطلب ، 1205/3-1206.

الشافعي ، سمع بمصر ، وبدمشق ، (ت712هـ/1312م)[1]. وأبو السماح شرف الدين عبد الكريم بن المغيزل ، تنقل في بلاد الشام ومصر وبغداد طلباً للعلم ، بعدها عاد إلى حماة وتوفي بها سنة(697هـ/1297م)[2]. وأبو محمد بدر الدين عبد اللطيف الحموي(ت 690هـ/ 1291م) ، تعلم في حلب ودمشق ومصر ، وبغداد [3]، وعبد العزيز بن إدريس ابن محمد بن أبي الفرج المفرح بن إدريس التنوخي الحموي، سمع بالقاهرة وتوفي سنة (732هـ/1331م) [4]. ومظفر بن عبد الله فتح الدين أبو الفتح بن بدر الدين بن قرناص الخزاعي الحموي ، سمع بدمشق ، وتوفي سنة (730هـ/1329م)[5]، والقاضي شهاب الدين أبو إسحق إبراهيم بن عبد الله ابن أبي الدم (ت642هـ/1244م) ، ولد بحماة ، ورحل إلى بغداد ، فتفقه بها ، وسمع بالقاهرة ، وحدث بها ، وبكثير من بلاد الشام [6]، وبدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني الحموي ، أخذ أكثر علومه بالقاهرة ، وذهب إلى دمشق وجمع له بين القضاء والخطابة ومشيخة الشيوخ ثم أعيد إلى قضاء الديار المصرية[7]، والحسين بن عبد الله بن رواحة الأنصاري الأنصاري الحموي ، رحل إلى دمشق ورحل إلى مصر فسمع بها وبالإسكندرية . ثم عاد إلى دمشق فشهد واقعة مرج عكا فقتل فيها شهيداً سنة (585هـ/ 1189م)[8]، وأبو السماح شرف الدين عبد الكريم بن المغيزل ، تنقل في بلاد الشام ورحل إلى مصر وبغداد طلباً للعلم، توفي بحماة سنة (697هـ/ 1297م)[9].وشرف الدين عبد العزيز بن محمد ابن الرفاء (662هـ/1263م) ورحل به والده وسمع وحدث بدمشق وحماة وبعلبك ومصر[10].

---

(١) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، 15/2.

(٢) الذهبي : العبر ، 390/3 ؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ، 208/1 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، 438/5.

(٣) ابن حبيب : تذكرة النبيه ، 148/1 ؛ المقريزي : السلوك ، 1، ق 777/3.

(٤) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، 459/1.

(٥) المصدر السابق ، 9/3.

(٦) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، 115/8 ؛ ابن قاضي شهبة : طبقات الشافعية ، 99/2 ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، 232/2.

(٧) ابن العماد : شذرات الذهب ، 104/6.

(٨) ياقوت : معجم الأدباء ، 410/1.

(٩) الذهبي : العبر ، 390/3 ؛ ابن حبيب : تذكرة النبيه ، 208/1 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، 438/5.

(١٠) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 193/6.

الفصل الخامس

دراسة للإنتاج العلمي لمدينة حماة.

المبحث الأول : الدراسات الشرعية (التفسير ، الحديث ، الفقه) .

المبحث الثاني : علوم اللغة العربية وآدابها (اللغة ، الأدب ، النحو) .

المبحث الثالث : العلوم الاجتماعية (التاريخ والتراجم ،الجغرافيا ، التربية والتعليم).

المبحث الرابع : العلوم التطبيقية والطبيعية (الطب ، الصيدلة ، الكيمياء).

المبحث الخامس : العلوم البحتة (الحساب ، الجبر ، الهندسة ، علم الحيل " الميكانيكا " ، الفلك) .

المبحث الأول : الدراسات الشرعية

(القراءات – التفسير – الحديث – الفقه وأصوله) .

* علم القراءات :

القرآن الكريم هو كتاب الله المبين والذي ختم به الكتب السماوية ، وأنزله على أشرف الرسل وخاتمهم ، وجعله نوراً وهداية للناس ، قال تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾[١] ، ولقد أمر الله بتلاوة القرآن وتدبره قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾[٢] ، وقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[٣]. ولقد حث النبي ﷺ على قراءة القرآن وتدبره فقال ﷺ : " خيركم من تعلم القرآن وعلمه "[٤] . وقد اعتنى الصحابة رضوان الله عليهم ومن جاء بعدهم بالقرآن الكريم ، سواء بحفظه ، وتلاوته ، والعمل بما فيه ، أو بما كان يتصل به من علوم قائمة على خدمته مباشرة، وهي علوم القرآن ، من قراءات ، وتفسير ، وما شاكل ذلك من العلوم ، أو تلك العلوم التي تخدمه بطريقة غير مباشرة ، وهي علوم العقيدة ، والفقه ، والتاريخ، واللغة ، والنحو، وغيرها من العلوم[٥].

بلغ القرآن الكريم الغاية في التوثيق ، فقد حفظه الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[٦] ، وقال النبي ﷺ: " إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف [٧] ، فاقرؤوا ما تيسر تيسر منه "[٨] ، وقد تلقى الصحابة القرآن مشافهة من النبي ﷺ بحروفه المتعددة.

---

(١) سورة المائدة ، آية 115.

(٢) سورة البقرة ، آية 121.

(٣) سورة النساء ، آية 82 ؛ سورة محمد ، آية 24.

(٤) البخاري ، الجامع الصحيح ، في كتاب فضائل القرآن ، (ح 5027).

(٥) السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، 2/350-357 ؛ الزرقاني : مناهل العرفان ، 27/1.

(٦) سورة الحجر ، آية 9.

(٧) انظر عن الأحر ف السبعة ، ابن حجر : فتح الباري ، ج 9 ، ص 23.

(٨) البخاري : الجامع الصحيح ، كتاب فضائل القرآن (ح 4991 ، 4992 ، 5041) ، وفي كتاب التوحيد ، (ح7550) ؛ مسلم : الجامع الصحيح ، كتاب صلاة المسافرين ، (ح 818).

ومع قيام حركة الفتوحات الإسلامية ، وانتشار الصحابة في الأمصار يقرءون القرآن ، بما سمعوه عن النبي ﷺ ، فتعددت أوجه القراءة ، فبدأ الخلاف ينشأ من الاختلاف على هذه الأحرف ، فقام الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه (ت35هـ/655م) بجمع القرآن الكريم في القراءات المتواترة عن الرسول ﷺ ، وأرسل بنسخ من المصحف إلى عدد من الأمصار الإسلامية ، وترك لقراء الأمصار أن يقرؤوا الحرف الواحد بأوجه الأداء التي تلقوها من رسول الله ﷺ ، من تحقيق الهمز أو تسهيلها ، أو الإمالة ، وما إلى ذلك ؛ بشرط موافقة الرسم ، وصحة التلقي(١).

حتى كان عصر العالم القارئ ابن مجاهد (ت34هـ/935م)(٢) فكتب كتابه : " السبعة السبعة في القراءات " ، لأنه اختار سبعة قراء من أئمة القراءات في زمانه وهم : ابن عامر(٣) ، وابن كثير(٤) ، وعاصم(٥) ، وأبو عمرو ابن العلاء (٦) ، وحمزة(٧) ، ونافع(٨) ، والكسائي(٩). والكسائي(٩). وصنفت كتاباً في كيفية أدائهم المتلقي بالإسناد عن قراء الأمصار عن رسول الله ﷺ . واختار بعضهم بعده ثلاثة آخرين ، فأصبح المشهور عشر قراءات(١٠).

ولقد نشطت الحركة العلمية المتعلقة بالقراءات بحماة في التلقي والسماع ، وعلم القراءات علم التلقي والمشافهة من أفواه الشيوخ ، إذ إن بعض طرق الأداء في هذا العلم لا يمكن التوصل إليها من خلال المكتوب ، بل لا بد من التلقي من الشفاه كالإشمام والروم(١١) ،

---

(١) ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ، 7/1.

(٢) أبو بكر أحمد بن مجاهد ابن موسى البغدادي المقرئ ، صنف في القراءات كتاب " السبعة في القراءات " ، وكان شيخ القراءات في وقته قصده الطلبة واشتغلوا عليه . انظر : الذهبي : معرفة القراء ، 269/1.

(٣) عبد الله بن عامر اليحصبي ، (ت118هـ/736م) ، ابن الجزري : غاية النهاية ، 423/1.

(٤) عبد الله بن كثير المكي الداري (ت120هـ/737م) ، الذهبي : معرفة القراء 86/1.

(٥) عاصم بن أبي النجود الكوفي (ت127هـ/744م) ، المصدر السابق ، 88/1.

(٦) أبو عمرو بن العلاء بن عمار التميمي البصري (ت154هـ/770م) ، المصدر السابق ، 100/1.

(٧) حمزة بن حبيب الكوفي الزيات (ت156هـ/772م) ، ابن الجزري : غاية النهاية ، 261/1.

(٨) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الشجعي (ت169هـ/785م) ، المصدر السابق ، 330/2-334.

(٩) علي بن حمزة بن عبد الله الكسائي (ت189هـ/804م) ، الذهبي : معرفة القراء ، 120/1 ، 128.

(١٠) ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ، 9/1 ؛ السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، 211/1.

(١١) الإشمام : هو ضم الشفتين بلا صوت عقب إسكان الحرف للوقف ، إشارة إلى أن الحركة المحذوفة هي الضمة ، ويكون في حركة الضم فقط ، وهو يُرى ولا يُسمع ، أما الروم : فهو النطق بحركة الحرف الموقوف عليه بصوت خفي

كما أن دروس (الإقراء) كانت تعتمد على الأداء ، لأن الإجازات في هذا العلم لا تحصل إلا بعرض كامل للقرآن على الشيخ بالرواية المطلوب الإجازة بها ، إلا أنه لم يخل هذا العصر من علماء حمويين تميزوا في هذا الجانب ، ولهم باع في التأليف في هذا المجال ومن ذلك : الشيخ الضرير سعد الله بن غنائم بن علي بن قانت الحموي (614هـ/1217م) ، كان بارعاً في القراءات والنحو وله العديد من المؤلفات في علم القراءات ، تصدى للتدريس بمدارس حماة، وتصدر بحماة لإقراء القرآن والنحو ، فاستفاد من علمه الكثير من الطلبة والناس [1]، والشيخ كمال الدين أبو الفدا ابن الفقاعي ، الحموي ممن تولى الإقراء بحماة ، وكان من فضلاء بلده ، له معرفة بالقراءات ، وهو حسن الأداء في القراءة ، خبير بالتجويد ، وكانت ولادته في سنة (642هـ/ 1244م)[2]، والشيخ جمال الدين إسماعيل الحموي (ت 715هـ/1324م) ، كان من أبرز العلماء في زمانه في علم القراءات والتجويد ، وله فيه كتاب " عمدة المفيد وعدة المجيد في معرفة لفظ التجويد " للسخاوي [3].والشيخ هبة الله بن عبد الرحيم بن البارزي الحموي (ت738هـ/1337م) ، من مصنفاته في التفسير : " البستان في تفسير القرآن " ، و " السرعة في قراءات السبعة" ، و" روضات جنات المحبين في تفسير القرآن المبين "[4] ، وله في علم القراءات: " الشرعة في قراءات السبعة "[5] ، و" الفريدة البارزية في حل الشاطبية "[6] "مختصر التيسير "[7].

يسمعه القريب دون البعيد ويكون في الضم والكسر . انظر : ابن الجوزي : زاد المسير ، 186/4 ؛ محمد عبد الرحيم جاد : المختصر المفيد في علم التجويد ، ص 337.

(١) ابن العديم : بغية الطلب ، 4236/9 ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ، 227/2 ؛ السيوطي : بغية الوعاة ، 580/1.

(٢) التقي الغزي : الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، 181/1.

(٣) السيوطي : بغية الوعاة ، 454/1 ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ، ص1172.

(٤) ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ، 431/1 ؛ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، 46/2.

(٥) أبو الفداء : المختصر ، 46/2-47.

(٦) الأرجوزة الشاطبية يقال لها : " حرز الأماني ووجه التهاني " ، وهي في القراءات السبع المثاني ، وهي القصيدة المشهورة : بالشاطبية للشيخ أبي محمد : القاسم بن فيره الشاطبي الضرير ، (ت590هـ/1193م) نظم فيه " التيسير " ، وأبياتها (1173) بيتاً ، أبدع فيه فصار عمدة الفن . الأسنوي : طبقات الشافعية ، 135/1 ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ، 345/1 ؛ شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات ، الشام ، ص 96.

(٧) " التيسير في القراءات السبع " لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت444هـ/1053م) ، وهو مختصر مشتمل على مذاهب القراء السبعة وما اشتهر من الروايات والطرق ، وصح وثبت ، فذكر عن كل واحد من القراء روايتين . أبو الفدا : المختصر ، 46/2 ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ، 520/1.

* **علم التفسير** :

وهو علم يعرف به نزول الآيات وشؤونها ، وأقاصيصها والأسباب النازلة في ها ، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ، ومحكمها ومشتبهها ، وناسخها ومنسوخها ، وخاصها وعامها ، ومطلقها ومقيدها ، ومجملها ومفسرها ، وحلالها وحرامها ، ووعدها وأمرها ونهيها ، وأمثالها[١].

ولقد ظهر في حماة خلال هذا العصر علماء أجلاء برزوا في **علم التفسير** منهم : الشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسين بن رزين بن موسى العمري الحموي (ت 680هـ/ 1281م) ، كان ابن رزين عارفاً بالقراءات وبرع في التفسير[٢]. والبدر ابن جماعة محمد بن ابراهيم الكناني الحموي ولد في (639هـ/1241م) بحماة ، وقد تميز في التفسير[٣]. والشيخ شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم البارزي الحموي (ت 738هـ/1337م) كان له " البستان في تفسير القرآن " ، و " روضات جنات المحبين في تفسير القرآن المبين " في اثني عشر مجلداً، و " بديع القرآن " ، و " الناسخ والمنسوخ من القرآن " ، وله كتاب " أسرار التنزيل "[٤]. والشيخ إسماعيل بن محمد الفقاعي الحموي (ت 715هـ/1315م) شرح قصيدة " عمدة المفيد وعدة المجيد في معرفة لفظة التجويد " ، شرح فيه عمدة المفيد ، وهي قصيدة علم الدين السخاوي النونية في التجويد[٥].

* **علوم الحديث** :

علم الحديث : علم يعرف به أقوال النبي ﷺ وأفعاله وأحواله[٦] . ولقد عُني المسلمون بالحديث النبوي عناية عظيمة بما وضعوا من قوانين للرواية ، هي أصح وأدق طريق علمي في

---

(١) السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ص 169 ؛ التهاوني : كشاف اصطلاحات الفنون ، 24/1.

(٢) ابن حبيب : تذكرة النبيه ، 65/1 ؛ ابن قاضي شهبة : طبقات النحويين واللغات ، ص 102.

(٣) الذهبي : ذيل تذكرة الحفاظ ، 107/1.

(٤) أبو الفدا : المختصر ، 46/2 ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ، 914/1 ؛ البغدادي : هدية العارفين ، 211/2.

(٥) البغدادي : هدية العارفين ، 376/1 . والعلم السخاوي هو : علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني علم الدين أبو الحسن السخاوي المصري المقري الشافعي ولد سنة 558هـ وتوفي بدمشق سنة (643هـ). حاجي خليفة : كشف الظنون ، 1171/2.

(٦) الكافجي : المختصر في علم الأثر ، ص 110.

نقل الروايات واختبارها ، وكان من أهم هذه القوانين البحث في إسناد الحديث وفحص أحوال الرواة ، وقسموا الأحاديث بحسب متونها من جهة ، وبحسب أسانيدها من جهة أخرى ، واستنبطوا مصطلحات خاصة عرّفوا بها ودققوا في الالتزام بها ، فأصبحت علماً قائماً بذاته [١] ، ولا تعرف صحة الحديث إلا بالإسناد الصحيح ، قال النووي " الإسناد خصيصة لهذه الأمة ، وسنة بالغة مؤكدة ، وطلب العلو فيه سنة[٢] . وعليه فالإسناد العالي : هو ما قرب رجال سنده من رسول الله ﷺ بسبب قلة عددهم [٣] ، **وممن اشتهر بعلو الإسناد من محدثي الحمويين** : الشيخ بدر الدين عبد اللطيف الحوي (ت 690هـ/1291م) ، له سماع عال [٤].كما أن الشيخ أبو محمد عبد المجيد بن عبد الله بن زهير الحموي (ت604هـ/ 1207م) ، كان حافظاً للقرآن ، كثير التلاوة ؛ تخرج عليه الكثير من حفظة كتاب الله [٥]. ومنهم الحافظ الزلكي البرزالي، البرزالي، كان إماماً في علم الحديث ، وبزَّ فيه الأقران حتى غدا محدث الشام ومفيده [٦] ، وقصده طلاب العلم ، وتخرج على يديه جماعة حملوا راية هذا العلم من بعده [٧] ، أيضاً الشيخ مجد الدين أبو المعالي محمد بن خالد الحموي (ت 687هـ/1288م)، من العلماء الأفذاذ ، الذين ارتحل طلاب العلم إليهم لأخذ العلم والمعرفة عنهم ، أقام بحماة واتصف بالزهد والعبادة وبرع في الحديث[٨].

كما ظهرت المحدثات في حماة في هذا العصر : منهن عائشة بنت سالم الحموية ، زوج الشيخ تقي الدين التنوخي كانت تروي الحديث عن ابن رواحة ، توفيت بحماة سنة (686هـ/1286م) ، ودفنت بظاهرها [٩]، كما أن الجليلة أم عمر خديجة بنت عمر بن أحمد

---

(١) عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص 326.

(٢) النووي : تقريب النواوي ، مطبوع مع تدريب الراوي للسيوطي ، 2/159-160.

(٣) انظر : السيوطي : تدريب الراوي ، 2/160 ؛ صبحي الصالح : علوم الحديث ، ص 236.

(٤) الذهبي : العبر ، 5/151.

(٥) الدبيثي : مختصر تاريخ الدبيثي ، 1/280.

(٦) الصفدي : الوافي بالوفيات 2/181 ؛ أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص 168 ؛ الذهبي : العبر ، 3/228.

(٧) أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص 168 ؛ الذهبي : العبر ، 3/228.

(٨) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 3/36 ؛ المقريزي : السلوك ، 2/209.

(٩) اليافعي : مرآة الجنان ، 4/45.

(ت709هـ/ 1309م) ، روت عن الركن إبراهيم الحنفي [١] ، تأسف الذهبي على وفاته وعلق على ذلك بقوله : " قل من يعتني بالآثار ومعرفتها في هذا ، الوقت في مشارق الأرض ومغاربها على رأس السبعمائة ، أما المشرق وأقاليمه فغلق الباب ، وانقطع الخطاب ، والله المستعان ، وأما المغرب وما بقي من جزيرة الأندلس فيندر من يعتني بالرواية كما ينبغي فضلا عن الدراية"[٢]. ومنهن أيضاً أم أحمد فاطمة بنت النفيس محمد بن الحسين بن رواحة (ت717هـ/ 1317م) ، روت أجزاءاً عن عمها بطرابلس ، ومصر ممن سمع منها من العلماء الذهبي[٣].

الفقه وأصوله :

الفقه : هو العلم بالأحكام الشرعية العم لية من أدلتها التفصيلية ، وفائدته حصول العمل به على الوجه المشروع[٤].

وأما أصول الفقه : هو علم بالقواعد والبحوث التي يتوصل بها إلى استفادة الإحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية [٥] ، وهو من العلوم المهمة التي لا يتضلع بها إلا كبار العلماء ، فالحوادث لكثرتها وعدم انقطاعها ما دامت الدنيا ، فهي غير داخلة تحت حصر الحاصرين ، فلا يعلم أحكامها جزئياً ، لذا فالفقهاء يستنبطونها معتمدين على كيفية الاستدلال المنضبطة بعلم أصول الفقه[٦].

وقد ظهر بحماة الأيوبية الكثير من الفقهاء ، ممن أغنى المكتبة الإسلامية بالعديد من الكتب المفيدة في هذا العلم ، ومن هؤلاء : أبو بكر شرف الدين عبد العزيز القرناصي (ت654هـ/1256م) [٧].ومن العلماء الذين تصدوا للتدريس بمدارس حماة وبرعوا في الفقه وأصوله ، الشيخ عفيف الدين إسحاق بن خليل بن غازي الحموي (ت 672هـ/1273م) ،

---

(١) المصدر السابق ، 235/2.

(٢) الذهبي : تذكرة الحفاظ ، 1484/4.

(٣) اليافعي : مرآة الجنان ، 239/2 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، 39/6.

(٤) الجرجاني : التعريفات ، ص 216.

(٥) المصدر السابق ، ص 45 ؛ عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه ، ص 15.

(٦) حاجي خليفة : كشف الظنون ، 144/1 ؛ البرديسي : أصول الفقه ، ص 21-25.

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب ، 227/5 ؛ اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، 19/1.

تخرجت عليه أجيال من طلاب العلم في النحو والقراءات والفقه [1].والشيخ أبو عبد الله محمد بن الحسين بن رزين بن موسى العمري الحموي (ت 680هـ/1281م)، تصدى للإفتاء بحماة، وهو لم يتجاوز بعد الثامنة عشر من عمره ، وكان مرجعاً في الفتوى ليس في حماة وحدها إذ أن الأسئلة المتعلقة بالفتاوى كانت تنهال عليه من كل مكان ، وأسند إليه منصب قاضي القضاة ، وظل يشغله حتى وفاته[2]. والشيخ البدر ابن جماعة محمد بن إبراهيم الحموي ، قاضي القضاة بمصر والشام ، تميز في التفسير والفقه [3]. والشيخ هبة الله بن عبد الرحيم (ت738هـ/1337م) ، قاضي القضاة[4] ، صنف الكتب المفيدة في علم الفقه وأصوله منها : " الأحكام على أبواب التنبيه"، و " المغنى في مختصر التنبيه "[5] ، و " تمييز التعجيز "[6] ، و " الزبد في الفقه "[7] ، و " مناسك الحج "[8] ، وشرح " الدراية لأحكام الرعاية "[9] . كما شرح " نظم

(١) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 412/8 ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، 258/2.

(٢) ابن حبيب : تذكرة النبيه ، 65/1 ؛ تاريخ ابن الفرات : 244/7 ؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، 46/8.

(٣) الذهبي : ذيل تذكرة الحفاظ ، 107/1.

(٤) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، 388/10 ؛ الأسنوي : طبقات الشافعية ، 135/1.

(٥) وكلاهما على كتاب " التنبيه " في فروع الشافعية للشيخ أبي إسحاق إبراهيم الشيرازي (ت476 هـ/1083م) ، وهو : أحد الكتب الخمسة المشهورة المتداولة بين الشافعية ، وقد اشتغل به العلماء شرحاً ونظماً وتصحيحاً . الأسنوي : طبقات الشافعية ، 135/1 ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ، 489/1.

(٦) وهو شرح لكتاب " التعجيز في مختصر الوجيز " في الفروع الشافعية ، لتاج الدين أبي القاسم عبد الرحيم الموصلي (ت671هـ/1272م) . الأسنوي : طبقات الشافعية ، 145/1 ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ، 417/1.

(٧) البغدادي : هدية العارفين ، 51/2.

(٨) أبو الفداء : المختصر ، 46/2 ؛ البغدادي : هدية العارفين ، 211/2.

(٩) " الرعاية " في فروع الحنبلية للشيخ نجم الدين أحمد بن حمدان الحراني (ت695هـ/ 1295م) . حاجي خليفة : كشف الظنون ، 908/1.

نظم الحاوي " [1]. والشيخ يوسف بن محمد بن مظفر الحموي جمال الدين الخطيب (ت736هـ/1235م)[2].

---

(١) وهو شرح على كتاب " الحاوي الصغير " في فروع الشافعية ، للشيخ نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني الشافعي (ت665هـ/1266م) ، وهو من الكتب المعتبرة بين الشافعية ، وجيز اللفظ ، بسيط المعاني ، محرر المقاصد، مهذب المباني ، حسن التأليف والترتيب ، جيد التفصيل والتبويب ، ولذلك عكفوا عليه بالشرح والنظم . حاجي خليفة : كشف الظنون ، 626/1.

(٢) ابن حجر : الدرر الكامنة ، 249/5-250.

المبحث الثاني : علوم اللغة العربية وآدابها.

* علم اللغة :

اللغة العربية إحدى اللغات السامية ، والتي تحدث بها سكان شبه الجزيرة العربية ، وإليها تنسب ، فهي أقرب اللغات السامية إلى أصلها ، لأن العرب لم تخالط غيرها كثيراً ، ولم تدخل تحت حكم أمة أ0عجمية مدة طويلة(١).

ثم شرف الله تعالى العرب واللغة العربية فأنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين ، فأضحت لغة العرب جزءًا من الدين ، انتشرت بانتشاره ، وقدر لها الخلود لارتباطها بقرآنه.

وترتبط اللغة العربية والعلوم المتفرعة عنها ارتباطاً وثيقاً بالعلوم الشرعية ، إذ هي المفتاح لفهم قاصد الشريعة وأحكامها ، لذلك كان من الطبيعي أن يلقى هذا العلم اهتماماً كبيراً من لدن العلماء على مختلف ميولهم ، ولكن قلما وجد عالم في علوم الشريعة إلا ويكون ضليعاً في علوم العربية ، و تعددت فروع اللغة العربية بعد تدوين العلوم ، وصار **علم اللغة** : هو علم ا يبحث عن مدلولات الألفاظ والمفردات ، وعليه الاحتراز عن الخطأ في فهم المعاني ، والوقوف على ما يفهم من كلمات العرب ، ومنفعته ، وطلاقة العبارة وجزالتها ، والتمكن من التفنن في الكلام ، وإيضاح المعاني بالبيانات الفصيحة (٢)، ولقد كثرت المصنفات في اللغة بفروعها في حماة الأيوبية، وكانت طريقة التصنيف في الجملة تكون بالمطالعة والتحرير لكلام السابقين "(٣).

ومما صنفه علماء حماة من كتب اللغة : " الحاشية على درة الغواص " لمحمد بن ظفر الصقلي الحموي (ت565هـ/1169م) ، و " الدرة " كتاب للحريري (ت 516هـ/ 1122م) في أوهام الخواص ، كما للصقلي أيضاً : " شرح المقامات الحريرية " للحريري ، وقد شرحها في شرحين كبير وصغير ، وله أيضاً : " ملح اللغة فيما اتفق لفظه واختلف معناه " على حروف المعجم(٤). ولأبي اليمن الكندي (ت614هـ/1217م) حواش على ديوان أبي الطيب المتنبي(٥).

---

(١) الإسكندري : الوسيط في الأدب العربي ، ص 5.

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون ، 467/2.

(٣) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 175/2-176.

(٤) المصدر السابق ، 66/1.

(٥) المصدر السابق ،52/6 ؛ الفيروزآبادي : البلغة ، ص 83 ؛ الزركلي : الأعلام ، 57/3.

* **علم النحو :**

هو علم بالأحوال والأشكال التي بها تدل ألفاظ العرب على المعاني ، ويعنى بالأحوال وضع الألفاظ من حيث دلالتها على المعاني التركيبية ، أي المعاني التي تستفاد بالأشكال"[1].

وقد نشط الاشتغال بالنحو والصرف في حماة ، وممن برز من النحويين في حماة في تلك الفترة : محمد بن محمد الصقلي أبو عبد الله (ت565هـ/1169م) أحد الأدباء الفضلاء ، برع في النحو ، له مختصر في النحو[2]، ومنهم زيد بن الحسن بن زيد تاج الدين أبو اليمن الكندي النحوي اللغوي (ت613هـ/1216م)، كان فاضلاً أديباً[3] ، تمتع بذاكرة قوية حتى قيل أنه يحفظ كتاب سيبويه في النحو[4] ، وقد ذاع صيت أبي اليمن ، وانتشر ذكره في الأفاق ، وشد إليه طلاب العلم رحالهم ، ينهلون من علمه الغزير ، فأخذوا عنه النحو والأدب وغيرها [5].
ومن علماء حماة المشهورين في النحو الشيخ الضرير سعد الله بن غنائم الحموي (ت614هـ/1217م) ، كان بارعاً في النحو وله العديد من المؤلفات ، منها كتاب : " التبصرة" ، أنشد لبعض الشعراء هذه الأبيات وهي تجمع العلل التسع المانعة من الصرف[6]:

شيئان من تسعة في اسم إذا اجتمعا لم يصرفاه وبعض القول تهذيب

جمع ووصف وتأنيث ومعرفة وعُجمة ثم عدل ثم تركيب

والنون زائدة من قبلها ألف ووزن فعل وهذا القول تقريب

ومن العلماء الذين تصدوا للتدريس بمدارس حماة النحو، الشيخ عفيف الدين إسحاق بن خليل الحموي (ت 672هـ/1273م) ، وقد تخرجت عليه أجيال من طلاب العلم في النحو[7].كما صنف في النحو أمير النحاة أبو عبد الله جمال الدين بن محمد الطائي " الألفية

---

(١) صلاح الدين الزعبلاوي : دراسات في النحو ، 419/1.

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 66/1.

(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 187/2 ؛ السيوطي : بغية الوعاة ، 22/1.

(٤) ابن العديم : بغية الطلب ، 4004/9.

(٥) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 51/6 ؛ الجزري : غاية النهاية ، ص 298.

(٦) ابن العديم : بغية الطلب ، 4236/9 ؛ السيوطي : بغية الوعاة ، 580/1.

(٧) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 412/8 ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، 258/2.

في النحو "[1]. وكان ابن الفقاعي ، الحموي ، كمال الدين ، أبي الفدا له معرفة بالنحو ، وله النظم الجيد ، (ت715هـ/1315م)[2]. وأما الشيخ جمال الدين إسماعيل بن محمد الحموي (ت725هـ/1324م) ، كان من أبرز علماء العربية في زمانه"[3]. و يوسف بن محمد بن مظفر مظفر بن حماد الحموي جمال الدين (ت736هـ/1235م)، فاق في النحو، له نظم جيد[4].

* **علم الأدب :**

هو علم يحترز عن الخطأ في كلام العرب لفظاً وخطاً [5]، واتصف الشعر خلال هذه الحقبة بالرقة والسهولة ، وتناول الشعراء كافة أنواع الشعر في شتى مجالات الحياة ، فدعوا إلى الجهاد، وخلدوا بقصائدهم معارك الجهاد ، والقادة، وإلى جانب ذلك أشاد الشعراء بمنشئي المدارس والواقفين عليها ، كما نظموا في المديح والزهد والغزل ، وغيرها[6].

ومن المشاركين في الأدب بحماة :

بهاء الدين أسعد بن يحيى السنجاري الحموي (ت609هـ/1212م) له في الغزل[7]:

علق الفؤاد دموعه علق أبداً على خديه تستبقق

حلو تناسب في ملاحته فالناس في أوصافه نسق

عاتبته يوماً وقلت له : عطفاً فلكل وجهه العرق

ومن شعراء حماة الإمام محمد بن محمد بن ظفر الصقلي أحد الأدباء الفضلاء ، استوطن حماة وتوفي بها سنة (565هـ/1169م) ، من شعره[8] :

حملتك في قلبي فهل أنت عالمٌ بأنك محمول وأنت مقيم

(١) ابن مالك : شرح عمدة الحافظ ، ص 38.

(٢) التقي الغزي : الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، 181/1.

(٣) السيوطي : بغية الوعاة ، 454/1 ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ، ص 1172 ، 1701.

(٤) ابن حجر : الدرر الكامنة ، 249/5–250 ؛ السيوطي : بغية الوعاة ، 227/2.

(٥) حاجي خليفة : كشف الظنون ، 97/1.

(٦) محمد الهرفي : شعر الجهاد في الحروب الصليبية ، ص 217–218 ؛ حسن شميساني : مدارس دمشق ، ص 28.

(٧) ابن العديم : بغية الطلب ، 72/2.

(٨) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 66/1.

وللشاعر تاج الدين أبو اليمن الكندي (ت614هـ/1217م) " حواش " على ديوان أبي الطيب المتنبي ، وقد ذاع صيت أبي اليمن ، وانتشر ذكره في الآفاق ، وشد إليه طلاب العلم رحالهم ، ينهلون من علمه بالأشعار والأدب وغيرها[١].

ومن أعلام الشعر وأصحاب الحظوة عند ملوك حماة أبو المعالي بهاء الدين أسعد بن يحيى السنجاري الحموي (ت624هـ/1227م) ، كان فقيهاً شافعي المذهب ، إلا أنه غلب عليه الشعر ، واشتهر به ، ومدح الملوك والأعيان ، ونال جوائزهم[٢].

ومن شعراء حماة زين الدين عبد القاهر بن الحسن بن عبد القاهر بن شجاع الكلبي ، توفي بحماه سنة (640هـ/1242م) ، كان علماً عارفاً بالشعر ، من شعره[٣] :

يا من سما فوق العلا بعلومه ... أفديه من صدر عليم سام

يا أفضل الفضلاء بل يا أفصح ... الفصحاء بل يا قدوة الإسلام

ومن شعراء حماة أيضاً : ضياء الدين الحموي جندي بن عبد الله (ت651هـ/1253م) ، كان شاعراً مجيداً ، من شعره[٤] :

ومشرفٍ ناظـــره عاملٌ ... يعمل فينا عمل المشرفي

أسرف إذ أشرف في حكمه ... واكلفي بالمشرف المسرف

كما عرف عن الشاعر أبو الحسن علي بن محمد بن الرضي الموسوي الحموي ، ابن دفتر خوان (ت655هـ/1257م) ، أنه شاعر مجيد ، فاضل ، له تصانيف وشعر جيد ، من ذلك قوله[٥] :

إذا لمت قلبي قال عيناك أبصرت ... وإن لمت عيني قالت الذنب للقلب

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 187/2 ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، 11/5 ؛ السيوطي : بغية الوعاة ، 22/1 ؛ الفيروزابادي : البلغة في تاريخ أئمة اللغة ، ص 82.

(٢) ابن العديم : بغية الطلب ، 1584/4 ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، 32/9.

(٣) المصدر السابق ، 212/6.

(٤) المصدر السابق ، 53/4.

(٥) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 263/2.

فعيني وقلبي قد تشاركا في دمي فيا رب كن عوني على العين والقلب[1]

ومن الشعراء الذين ذاع صيتهم في حماة فترة الدراسة أبو المكارم شهاب الدين محمد بن يوسف الشيباني التلعفري ، كان شاعراً مشهوراً ، مدح ملوك زمانه ، ونال جوائزهم [2]، استقر بحماة حتى وافته المنية بها سنة (675هـ/1276م)[3] . عرف عنه جزالة الشعر وغزارته ، وله ديوان كبير ، ضم بين دفتيه قصائد جزلة ، تضمنت معاني غاية في الرقة والروعة ، من شعره[4]:

ياشيب كيف وما انقضى زمن الصبا الصبا عاجلت مني اللمة السوداء

ومن العلماء الشعراء بحماة عبد الرحيم بن إبراهيم نجم الدين الحموي ابن البارزي (ت683هـ/1285م) ، له شعر وصفه صاحب الوافي بأنه جيد . ومنه[5]:

إذا شمت من تلقاء أرضكم برقاً فلا أضلعي تهدا ولا أدمعي ترقا

وإن ناح فوق البان ورق حمائم سحيراً فنوحي في الدجى علم الورقا

فرقوا لقلب في ضرام غرامه حريق وأجفان بأدمعها غرقى

ومنه ما كتب به إلى صاحب حماة يدعوه إلى وليمة[6] :

طعام العرس مندوب إليه وبعض الناس صرح بالوجوب

فجبراً بالتناول منه جري على المعهود في جبر القلوب

ومن شعره ما كتبه إلى الملك المنصور[7] :

خدمتك في الشباب وها مشيبي أكاد أحل منه اليوم رمسا

فراع لحرمتي عهداً قديماً وما بالعهد من قدم فينسى

---

(١)ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 263/2.

(٢) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، 425/1 ؛ ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، 62/4.

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 40/7.

(٤) المصدر السابق ، 40/7.

(٥) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 121/6-122.

(٦) أبو الفدا : المختصر ، 46/2-47.

(٧) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 121/6-122.

ومن نثره الذي يقرأ طرداً وعكساً قوله : " سور حماة بربها محروس "[١].

ومن شعراء حماة محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل ، الحموي (ت697هـ/ 1297م) ، برع في الشعر وله فيه أبيات رائقة ، فمن شعره في مديح صاحب حماة الملك المنصور محمد بن مظفر[٢] :

يا سيداً ما زال نجم سعده في فلك العلياء يعلو الأنجما

إحسانك الغمر ربيع دائم فلا نرى في صفر محرما

وأيضاً كان عمر بن مسعود الكتاني (ت711هـ/712هـ) شاعراً مغموراً، وصف شعره الصفدي فقال : " شعره في حماة قد غلا سعره ، وخلب قلوب ملوكها سحره . وكان سراجه فيها منيراً ، وكتانيه فيها حريرا ، وراح أو به فيها كالراح وراج ، وأذكى فيها لهب السراج . وله موشحات شعرية موشعات ، وقطعه فيها كأنها من بقايا النيل مقطعات . لهج الناس بها في زمانه ، ومالوا إلى ترجيح أوزانه ، وغنى المغنون بها فأطربوا الأسماع ، وجودوا فيها الضروب والإيقاع ، ولم يزل على حاله إلى أن انطفأ السراج ، وبطل ما على حياته من الخراج . وديوان شعره لطيف ، خارج عن موشحاته . منه[٣] :

يا حبذا شكل إبريق تميل له منا القلوب وتصبو نحوه الحدق

يروق لي حين أجلوه ويعجبني منه طلاوة ذاك الجسم والعنق

كما برع في الشعر من أهل حماة الشاعر عبد الحق بن أبي علي بن عمرو الحموي ، المعروف بابن البارع ، من مشاهير الشعراء الذين استوطنوا حماة ، لكنه انتقل بعد ذلك إلى القاهرة ، حيث توفي بها سنة (711هـ/1311م) ، وقد برع في الشعر ، وأكثر منه ، وسارت بنظمه الركبان ، وتناقلته الألسن ، ومنه[٤] :

ومالي لا أعطي الشباب نصيبه وغصناه يهتزان في عوده الرطب

---

(١) أبو الفدا : المختصر ، 46/2-47.

(٢) الصفدي : أعيان العصر ، 299/2-300 ؛ السيوطي : بغية الوعاة ، 75/1.

(٣) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، 144/2-146.

(٤) المصدر السابق ، 144/2-146 ؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ، 105/3.

رأيت الليالي ينتهبن شبيبتي　　　فسارعت باللذات في ذلك النهب

ومن شعراء حماة يوسف بن محمد بن مظفر بن حماد الحموي جمال الدين الخطيب الشافعي (ت736هـ/1235م) ، نظم الشعر الجيد ، وهو القائل[1] :

ولما أن قضى أجلي بهجر　　　وسرت كليم وجد لا محالة

بجانب خده آنست نارا　　　ولكني وجدت بها ضلالة

كما ظهرت في حماة فترة الدراسة أسر أدبية نظمت في الشعر الدواوين ، ومن أبرزها أسرة ابن قرناص : وقد برز منهم : ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن قرناص (ت 662هـ/1263م) ، اشتهر بالعلم والفضل والأدب ، له نظم فائق ، ومن نظمه في ترتيب حروف كتاب " المحكم " في اللغة لابن سيدة[2] :

عليك حروفـ اً هن غير غوامض قيود كتاب جل شأناً ضوابطه صرا

صراط سوي زل طالب دحضه تزيد ظهـــــوراً ذا ثبات روابطــه

وأيضاً أبو العرب مخلص الدين إسماعيل بن قرناص (ت 671هـ/1272م) برز كأحد شعراء عصره ، كان فصيحاً شاعراً ، له نظم بديع ، وله ديوان شعر ، كما كان جيد النثر والترسل ، ومن شعره[3] :

ليلي وليلك يا سؤلي ويا أملي ضدان هذا به طولٌ وذا قصر

وذاك أن جفوني لا يلم بها نومٌ وجفنك لا يحظى به السهر

وكذلك عبد العزيز بن عبد الرحمن أبو بكر شرف الدين الحموي بن قرناص ، له نظم حسن ومن شعره[4] :

يا من غشا وجهه روض العيون لما　　　أعـــاره الحسن من أنواع أزهار

---

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة ، 5/249–250.

(٢) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، 2/307 ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، 1/86.

(٣) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 1/232 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 2/312 .

(٤) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، 1/7.

كما ظهرت أنواع من الشعر غير التقليدية ، ومنها شعر الدوري ، وشعر التضمين ، وشعر الألغاز :

الشعر الدوري :

والشعر الدوري يتكون من شطرين متقاربين وتتوالى فيه الشطور المتقابلة ، وابتدعه الشعراء منذ العصر العباسي الأول ، وأخذ يتطور ، وظهرت له أنماط مختلفة ، ويغلب عليه أن يكون كل دور من بيتين ، وتقل الأدوار وتكثر حسب رغبة الشاعر[١].

وممن اشتهر بهذا النوع ممن استوطنوا حماة الصاحب [٢] شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز الأوسي، من شعراء الزهد والمدائح النبوية[٣] ، له ديوان شعر[٤].

التضمين في الشعر :

ومن الشعراء الذين وفدوا إلى حماة محمد بن يعقوب بن علي الأسعردي ، لقب بلقب الأمير ، وكان من المقربين من المنصور الثاني صاحب حماة ، برع في الشعر وله في ذلك ديوان ، وقد أجاد في استخدام التضمين في شعره ، وفاق في ذلك معاصريه [٥] ، حتى قيل عنه : " هو في التضمين الذي عاناه فضلاء المتأخرين آية ، وفي صحة المعاني والذوق اللطيف غاية ، لأنه يأخذ المعنى ، ويحيل تركيبه ، وينقله بألفاظه إلى معنى ثانٍ ، حتى كأن النظم الأول أراد به المعنى الثاني ، وقد أكثر من ذلك ، ومن شعره في هذا المعنى قوله[٦] :

أطالع كـل ديوان أراه ولـم   أزجر عن التضمين طيـــري

أضمن كل بيت نصف بيت   فشعري نصفه من شعر غيري

---

(١) شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات بالشام ، ص 128–129.

(٢) الصاحب لقب يطلق على من يلي الوزارة من المدنيين في عصري الأيوبيين والمماليك . حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، ص 367.

(٣) شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات بالشام ، ص 280.

(٤) قام بتحقيقه وطبعه بدمشق الدكتور/ عمر موسى باشا وذلك سنة 1388هـ/1968م.

(٥) الذهبي : العبر ، 358/3 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، 325/13 ؛ ابن حبيب : تذكرة التنبيه ، 100/1 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 367/7.

(٦) ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، 55/4 ؛ شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات بالشام ، ص 267.

الألغاز الشعرية :

ومما جاء في هذا الباب ما قاله شيخ الشيوخ عبد العزيز الحموي قال ملغزاً للبيضة[١]:

هل أنا السابق أو واضعتي — خبروا سابقنا بالتبديه

إن تكن مني فمن أين أنا — أو أكن منها فمن أين هيه

– كما القاضي حماة نجم الدين البارزي (ت683هـ/1284م) ملغزاً في القلم[٢] :

ومثقف للخط يحكي فعل سمـ — ـر الخط إلا أن هذا أصفر

في رأسه المسود إن أجروه في الـ — ـبيض للأعداء موت أحمر

*** المناظرات والمعارضات اللغوية :**

لم تخلُ حماة من المناظرات والمعارضات اللغوية في النحو والشعر ، وهذا يدل على تمكن علمائها ، وتميزهم في هذه الفترة. وممن اهتم بهذا : الإمام محمد بن محمد بن ظفر الصقلي ، أحد الأدباء الفضلاء ، (ت565هـ/1169م) ، جرت بينه وبين تاج الدين الكندي مناظرة في النحو واللغة ، فأورد عليه مسائل في النحو فلم يتعثر فيها فقال : الشيخ تاج الدين أعلم مني بالنحو ، وأنا أعلم منه باللغة ، فقال تاج الدين الكندي : الأول مسلم ، والثاني مسموع[٣].

ومن لطيف المعارضات الشعرية : ما كان لا بن الجاموس الشافعي محمد بن ابرهيم بن رافع بن هبة الله الحموي (ت615هـ/1218م) ، كانت له معارضات شعرية مع أحد علماء عصره ويدعى ابن البغل قال فيها ابن عنين[٤] :

البغل والجاموس في جدليهما — قد أصبحا عجبا لكل مناظر

برزا عشية يومنا لتجـادل — هذا بقرنيه وذا بالحافر[٥]

---

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، 250/1.

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 121/6–122.

(٣) المصدر السابق ، 165/1.

(٤) ابن عُنَيْن محمد بن نصر الله بن مكارم ، الأديب الشاعر ، المجيد البليغ ، شرف الدين أبو المحاسن الزرعي الدمشقي، صاحب ديوان مشهور ، ذي شعر حسن توفي سنة 630هـ . ابن الغزي : ديوان الإسلام ، 67/1.

(٥) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 165/1.

* **العروض** :

اهتم الحمويون بعلم العروض لمعرفة قانون الشعر العربي ، وكان ذلك من أسباب ازدهار الشعر بحماة الأيوبية. ومن العروضيين بحماة : محمد بن نصر المازني الحموي (ت697هـ/ 1297م) ، أديب شاعر عروضي ، من مصنفاته " شرح عروض ابن الحاجب " ؛ وهي قصيدة في العروض عنوانها " المقصد الجليل في علم الخليل "[١]. والشيخ هبة الله بن عبد الرحيم البارزي الحموي (ت738هـ/1337م) ، له مصنف في العروض[٢].

* **الكتابة والخط** :

كانت الكتابة في العهد الأيوبي منصباً حكومياً ، ولذا كان يختار لها أكابر علماء اللغة، وقد اشتهر من هؤلاء عدد من أسرة ابن مغيزل ، حيث تولوا كتابة الإنشاء : برز منهم : نجم الدين أبو محمد عبد الغفار بن المغيزل الحموي (ت688هـ/ 1289م) ، كان كاتب الإنشاء بحماة ، من شعره[٣] :

هويت بحرياً إذا سمته تقبيل ما في فيه من در

ينهرني من فرط إعجابه ياما أحيلى النهر من بحر

ومنهم الوزير محمد بن محمد بن عبد القاهر النصيبي (ت696هـ/1296م) ، كان رئيساً كبيراً فاضلاً ، حسن الكتابة، وزر بحماة ، وولي المناصب بها[٤]، كذلك نور الدين علي بن عبد الرحمن بن المغيزل (ت 701هـ/ 1301م) ، كان كاتب الدرج للمنصور [٥]. كما تولى نظر الدواوين بحماة مجير الدين محمد بن عبد الكريم بن المغيزل (ت703هـ/ 1303م)[٦].

---

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون ، 1134/2.

(٢) ابن الجزري : غاية النهاية ، 431/1 ؛ عدنان قيطار : الحركة الفكرية في مدينة حماة قديماً وحديثاً ، مجلة العمران ، 29-30 ، 1969م ، ص 174.

(٣) المقريزي : السلوك ، 255/1 ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، 205/6.

(٤) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، 413/2.

(٥) المصدر السابق ، 67/2.

(٦) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، 321/2.

* **الخطابة :**

تعد الخطابة ضمن الفنون الأدبية ، رغم اتصالها الشديد بالناحية الدينية إذ المقصود بالخطابة هنا ، تلك التي كانت تلقى على منابر المساجد في أيام الجمع والأعياد ، وبعض المناسبات الأخرى ، فمن المعروف أن الخطيب يريد إيصال موعظة دينية في الغالب إلى مستمعيه ، ولكن من اللازم عليه أن يصوغ تلك الموعظة في قالب أدبي يجتذب المستمع إليه ، وقد اعتلى منابر حماة خلال فترة الدراسة عدد من الخطباء والذين تجاوزت شهرتهم بلدتهم حماة منهم: الشيخ ابن الجاموس محمد بن ابرهيم الحموي (ت615هـ/1218م)[١] ، أيضاً كان قاضي حماة عز الدين عبد العزيز بن محمد بن العديم الحنفي يخطب بحصن صهيون ، مع إقامته بحماة[٢].

ومنهم أبو البركات عبد الرحمن بن موهوب الحموي (ت659هـ/1260م)[٣].ومحمد بن بن محمد بن المفضّل بن حبيش الحموي ، وكان إماماً جليل القدر ، ولي خطابة حماة ثم دمشق[٤]. و أحمد بن محمد بن المغيزل الحموي (ت699هـ/1299م) ، خطيب الجامع الأعلى[٥]. والشيخ يوسف بن محمد الحموي جمال الدين الخطيب (ت736هـ/1235م) ، فقد فقد كان مفتي حماة وخطيبها[٦].

---

(١) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 165/1.

(٢) التقي ابن الغزي : الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، 181/1 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، 27/6.

(٣) أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص 212 ؛ اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، 129/2.

(٤) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، 416/2.

(٥) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 64/3.

(٦) ابن حجر : الدرر الكامنة ، 249/5–250.

المبحث الثالث : العلوم الاجتماعية

(التاريخ والتراجم – الجغرافيا – التربية والتعليم).

*علم التاريخ :

هو معرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائعهم وأشخاصهم وأنسابهم ووفياتهم إلى غير ذلك ، وموضوعه أحوال الأشخاص الماضية من الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والملوك والشعراء والغرض منه الوقوف على الأحوال الماضية ، وفائدته العبرة بتلك الأحوال والتنصح بها وحصول ملكة التجارب بالوقوف على تقلبات الزمن ، ليحترز عن أمثال ما نقل من المضار ويستجلب نظائرها من المنافع[(١)]. ويقول ابن خلدون : " أعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب ، جم الفوائد شريف الغاية ، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم "[(٢)].

إن الغرض من دراسة التاريخ هو معرفة الوقائع البشرية ، والأحداث التاريخية ، والظروف التي حدثت فيها ، وأسبابها على وجه الحقيقة ، والفكر التاريخي لكي يتطور يتطلب إتباع منهج النقد والتحليل ، غير أن الكتابة التاريخية لا تخلو عادة من الغرض أو الوقوع تحت المؤثرات ، دينية كانت أو شخصية أو سياسية ، غير أن ذلك يجري بدرجات متفاوتة ، تخضع لمدى وضوح الهدف ، وقوة شخصية المؤرخ ، وقدرته على الالتزام بموقف الحياد [(٣)]. لذا ظهرت كتابات نقدية للمؤرخين ونصائح لمن يتولى الكتابة في التاريخ ، فبينما يذكر السخاوي أن من الشروط الواجب توافرها في المؤرخ ، أن يكون تام العدالة مع الضبط والورع والتقوى ، وأن يكون عارفاً بمقادير الناس وأحوالهم ومنازلهم وكذا اشترط العلم ومعرفة مدلولات الألفاظ [(٤)]. ونجد في المقابل السبكي يشن الحملة على المؤرخين بقوله : " وهو على شفا جرف هار لأنهم يتسلطون على أعراض الناس ، وربما نقلوا مجرد ما يبلغهم من صادق أو كاذب.. فلا بد أن

---

(١) السخاوي : الإعلان بالتوبيخ ، ص 6-7 ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ، 255/1.

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، 7/1.

(٣) عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص 430.

(٤) السخاوي : الإعلان بالتوبيخ ، ص 63 ، 71 ، 75.

يكون المؤرخ عالماً عدلاً عارفاً بحال من يترجمه " [١]. وينتقد ابن خلدون المؤرخين الذين سبقوه كالمسعودي وغيره النقل المجرد المليء بالغث والسمين ، وأنهم لم يعرضوا الروايات على أصولها ، ولا قاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة [٢]. ويذكر السخاوي عن ابن دقماق بأنه كان مع وجاهته : " حسن الاعتقاد ، غير فاحش اللسان ولا القلم "[٣].

ولقد اتسعت الدراسات التاريخية ، فصار موضوع التاريخ في هذا العصر شاملاً للحياة السياسية والعقلية والعقائد والأخلاق والأدب وسائر العلوم ، ويمكن أن يتبين ذلك من خلا لكتب التراجم ، والتي تعتبر من أهم أنواع الكتابة التاريخية في هذه الفترة ، فقد عني بها المؤرخون المسلمون عناية فائقة ، فما أن يظهر أحد من المتخصصين في أي فرع من فروع العلم والمعرفة إلا وتناولته كتب التراجم بالكتابة عن تفصيلات حياته ودراسته وتخصصه وإسهاماته العلمية وشيوخه وتلاميذه[٤].

وإذا أردنا أن نبحث عن العوامل التي أدت إلى الاهتمام بعلم التاريخ والنقد التاريخي في العصر الأيوبي ، فإننا نخلص إلى عدة عوامل منها :

- المجتمع المتدين الذي تأثر بالقرآن ، والكتاب العزيز مملوء بالقصص التاريخية لأخذ العبرة والعظة ، ومنها حب بعض السلاطين والأمراء للتاريخ.

- الاهتمام بعلم الحديث ، وهو علم قائم على تفنيد تراجم الرجال وصلته بالتاريخ وثيقة ، ولذا لا غرو أن نجد كثيراً من المؤرخين اشتغلوا بالحديث والرجال.

- الموسوعات الكبيرة التي شهدها العصر حيث اعتمدت على علم التاريخ كجزء من هيكلها ، كما فعل ابن واصل الحموي ، فقد ضم الكثير من المعلومات التاريخية لكتابه.

- ولا يمكن أن نغفل بعض الدوافع العلمية من كتابة المشيخات والرحلات ونحو ذلك.

- شارك المؤرخون أيضاً في كتابة سير وتراجم العلماء.

---

(١) السبكي : مبيد النعم ، ص 74.

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص 17-28.

(٣) السخاوي : الإعلان بالتوبيخ ، ص 71.

(٤) عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص 432.

ومن أبرز مؤرخي الدولة الأيوبية من الحمويين :

ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي أبو عبد الله شهاب الدين (ت 626هـ/ 1229م)[١] ، له كتب في التاريخ والتراجم ، فمن كتب التراجم له : " إرشاد الأريب " ، ويعرف بـ" معجم الأدباء " ، وله في علم الأنساب : " المقتضب من كتاب جمهرة النسب " ، وأما كتابه في التاريخ فأسماه : " المبدأ والمآل " ، وله كتاب " الدول " ، كما له في تراجم الشعراء : " أخبار المتنبي " ، و " معجم الشعراء "[٢].

ومن أعلام المؤرخين قاضي حماة إبراهيم بن عبد الله الهمذاني الحموي الشافعي المعروف بابن أبي الدم (ت642هـ/ 1244م) ، له " التاريخ الكبير المظفري " ، وهو تاريخ يختص بالملة الإسلامية ، في نحو : ست مجلدات ، وله أيضاً كتاب " الفرق الإسلامية " ، ويعنى بتراجم الفرق المختلفة ، فهو يجمع بين كونه كتاباً في التاريخ وكتاباً في أصول الدين[٣].

ومن مؤرخي حماة أيضاً : محمد بن سالم بن واصل الحموي قاضي القضاة بحماة ، (ت697هـ/ 1297م) ، برع في الأخبار وأيام الناس، فكانت له معرفة مفصلة بالتاريخ ، وصنف فيه : التاريخ الذي له ، وكان مفرج الكروب في دولة بني أيوب ، ولذا أسماه " مفرج الكروب في دولة بني أيوب " . وله أيضاً : " التاريخ الصالحي "[٤]. ومن أعلام حماة في علم التاريخ صاحبها الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت732هـ/1331م)[٥] ، وقد اشتغل في العلوم وتفنن فيها وصنف التصانيف المشهورة منها التاريخ " المختصر في أخبار البشر " ، في ثلاث مجلدات ، ويعرف بـ" تاريخ أبي الفداء "[٦] ، وله أيضاً " تاريخ الدولة الخوارزمية "[٧].

---

(١) أصله من الروم ، وأعتقه تاجر اسمه عسكر بن إبراهيم الحموي ، فيحتمل أن نسبه انتقلت إليه من مولاه هذا ، وربما أنه دخل حماة أيضاً ، ولأجل غلبة النسبة عليه بأنه (الحموي) ، مع هذا الاحتمال رأيت أن أدرجه في علماء حماة الأيوبية.

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 210/2 ؛ الزركلي : الأعلام ، 131/8.

(٣) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 232/2 ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ، 306/1.

(٤) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، 299/2-300.

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، 158/4 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 292/9.

(٦) ترجم الكتاب إلى الفرنسية واللاتينية والانكليزية . الزركلي : الأعلام ، 319/1.

(٧) ابن العماد : شذرات الذهب ، 99/6 ؛ اليافعي : مرآة الجنان ، 250/2.

* **علم الجغرافيا :**

الجغرافيا : كلمة يونانية معناها صورة الأرض ، وهو علم يتعرف منه على أحوال الأقاليم وعروض البلدان وعدد مدنها وجبالها وبراريها وبحارها وأنهارها إلى غير ذلك(١).

وقد ازدهر علم الجغرافيا في الإسلام بعدما أوجبه الدين على المسلمين من إقامة الصلاة، والتوجه إلى القبلة ، ومعرفة جهتها ، والحج إليها من سائر الأمصار ، كما ساعدت حركة الفتوح الإسلامية على تعزيز هذا العلم ، بمعرفة البلدان التي فتحت ، أو التي في سبيلها إلى الفتح ، ووضع الخطط اللازمة لذلك ، والتراتيب الإدارية في جباية الجزية ، وطبيعة الأقاليم، وحالتها الاقتصادية ، وإلى غير ذلك ، ولاسيما بعد تنظيم أعمال البريد بين مراكز الدولة والبلدان المفتوحة.

ونظراً لاتصال الجغرافيا بالتاريخ والفلك والجيولوجيا ، فقد نشطت الجغرافيا حيث نشطت هذه العلوم. فالتاريخ مثلاً لا يدرس إلا على أساس جغرافي ، وبعبارة أدق فالتاريخ هو دراسة الزمان، والجغرافيا دراسة المكان ، ولا تستغني أحداث الزمان عن المكان. ومع التوجه إلى الحج نشطت (جغرافيا الرحلات) وما رحلات ابن جبير وابن بطوطة إلا تسطير للجغرافيا البشرية وجغرافيا البلدان في طريق الرحلة المباركة. وساعد علم الحديث على التقدم في الجغرافيا ، بمعرفة بلدان العلماء والمشيخات وأنساب العلماء(٢).

وهكذا باشرت طبقة من العلماء المختصين وضع كتب في الجغرافية دونوا فيها ما عرفوا من البلاد ، وما سمعوه من أخبارها ، نقلاً عن الرحالة والتجار والحجاج ، وتناولوا جميع فروع الدراسات الجغرافية ، كالجغرافية الإقليمية ، وجغرافية البلدان ومسالكها ، والجغرافية الفلكية ، والجغرافية الجيلوجية ، بالدراسة والتأليف(٣).

وغدت بلاد الشام فترة الدراسة مقصداً لكل الجغرافيين والرحالة المسلمين خاصة زمن الحروب الصليبية ، فنزل بها كبار الرحالة والجغرافيين المسلمين في ذلك العصر أمثال ياقوت الحموي وابن جبير وغيرهم ، وقد أمدتنا كتبهم بمعلومات قيمة عن وصف بلاد الشام ، ولا

---

(١) الصقار : الجغرافيا الإقليمية ، ص 3-5 ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ، 464/1.

(٢) العبدري : الرحلة ، ص 109.

(٣) عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص 454.

شك أن مدينة حماة قد نالت عناية هؤلاء العلماء ، وذلك لمكانتها التاريخية والجغرافية بين مدن الشام ، فأمدنوا بمعلومات قيمة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة فيها في ذلك العصر ، وظهر عدد من العلماء كان لمؤلفاتهم الجغرافية فضل كبير في هذا العلم ، فمن أعلام **الجغرافيين في العهد الأيوبي** :

ياقوت الحموي (ت626هـ/ 1229م) ، من كتبه في الجغرافيا : كتابه الفريد الذي لا يزال مرجعاً جغرافياً مهماً والمسمى : " معجم البلدان"، و "المشترك وضعاً والمفترق صقعاً" [١]. ومنهم : صاحب حماة الملك المؤيد عماد الدين (ت732هـ/ 1331م) صنف التصانيف المشهورة منها في الجغرافيا : " الكلام على البلدان " في مجلد[٢] ، و " تقويم البلدان " في مجلدين[٣].

* **التربية والتعليم** :

لقد أسهم المسلمون في هذا العصر في الكتابة في هذا الفرع من الدراسات ، وأدلوا فيها بآراء هامة ، حتى أن بالإمكان القول أنهم كانوا مبدعين ورواداً فيه.

ولعل أبرز من ظهر في هذا العصر من التربويين الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت597هـ/1200م) ، الذي تعرض لتربية الأطفال وتنشئتهم النشأة الصالحة وتعليمهم ومراعاتهم في ذلك في كثير من كتبه ، والتي منها في هذا المجال : " لفتة الكبد في نصيحة الولد"، " صيد الخاطر " ، " الطب الروحاني " ، " الحث على حفظ العلم " ، وغيرها ، فابن الجوزي يرى أن نشأة الطفل هي المعيار الأساسي لنجاحه أو فشله في حياته ، وجعل للأدب دوراً عظيماً في تحدد سلوك الطفل وكيفية تنشئته حيث أؤكد على أن : " أقوم التقويم ما كان في الصغر ، فأما إذا ما ترك الولد وطبعه ، فنشأ عليه ومرّن ، كان رده صعباً "[٤].

ولقد أنجبت حماة الكثير من العلماء المربيين ، أمثال الشيخ الجليل بدر الدين أبو عبد الله محمد بن جماعة، (ت733هـ/1322م) ، بكر في طلب العلم فقد سمع وهو في الحادية

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 210/2 ؛ الزركلي : الأعلام ، 131/8.

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ، 99/6 ؛ اليافعي : مرآة الجنان ، 250/2.

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، 158/4 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 292/9 ؛ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، 84/6 . وقد ترجم الكتاب إلى الفرنسية المستشرق رينو Reinaud . الزركلي : الأعلام ، 319/1.

(٤) ابن الجوزي : الطب الروحاني ، ص 45-46.

عشر من عمره الحديث الشريف على يد أبيه الذي كان من علماء الحديث ، وكان مشهودا له بالورع والصلاح ، وقد غرس الوالد في ولده حب الشريعة ، والتفقه فيها ، والزهد في الدنيا ومتاعها ، فشب على ذلك وشاب ، وسمع الحديث من شيخ الشيوخ بحماه زين الدين أبي الطاهر إسماعيل بن عبد القوي بن عزون وغيرهما ثم انتقل إلى دمشق حيث درس الفقه والأصول والنحو والمعاني ، ثم انتقل إلى القاهرة فأخذ الحديث فيها وأخذ أكثر علومه فيها ، وبعد أن أتقن التحصيل العلمي ونال منه ما قسم الله له قام بالتدريس الذي هو وظيفة أنبياء الله تعالى ورسله ، وقد نبغ في التدريس مع الصدق وحسن الخلق ، فتعلق به طلابه قال ابن حجر فصار المربي المحبوب من تلامذته لحسن تربيته لهم من غير عنف ولا تخجيل وتخرج عليه في الحديث خاصة جماعة أصبحوا بعد من كبار العلماء كالإمام الذهبي والإمام ابن جابر الوادي آشي والإمام عبد الوهاب السبكي والحافظ ابن كثير والحافظ ابن القيم وغيرهم ، له العديد من المصنفات ، لعل أهمها في باب التربية والتعليم و الآداب والأخلاق كتاب : " تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم أنس المذكرة فيما يستحسن في المذاكرة " ، وقد رتبه على خمسة أبواب، الباب الأول : في فضل العلم وأهله وشرف العالم ونسله . الباب الثاني : في آداب العالم في نفسه ومع طلبته ودرسه . الباب الثالث : في أدب المتعلم في نفسه ومع شيخه ورفقته ودرسه . الباب الرابع : في مصاحبة الكتب وما يتعلق بها من الأدب . الباب الخامس : في آداب سكنى المدارس وما يتعلق به من النفائس[١].

ومن الآداب التي حرص ابن جماعة على أن يتحلى بها طالب العلم طريقة تعامله مع شيخه حيث بين أن عليه : " أن ينقاد لشيخه في أموره ، ولا يخرج عن رأيه وتدبيره ، بل يكون معه كالمريض م.ع الطبيب الماهر ، فيشاروه فيما يقصده ، ويتحرى رضاه فيما يعتمده ، ويبالغ في حرمته ، يتقرب إلى الله تعالى بخدمته ، ويعلم أن ذله لشيخه عز ، وخضوعه له فخر ، وتواضعه له رفعة "[٢].

أما **الفلسفة** : العلم الذي يبحث فيما وراء الطبيعة ، فهي دراسة تسعى إلى فهم غوامض الوجود والواقع ، كما تحاول أن تكتشف ماهية الحقيقة والمعرفة ، وأن تدرك ماله أهمية

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع ، ص 4-5.

(٢) ابن جماعة : تذكرة السامع ، ص 40.

أساسية ، وقيمة عظمى في الحياة ، كذلك تنظر في العلاقات القائمة بين الإنسان والطبيعة ، وبين الفرد والمجتمع[(١)] ، وهذا هو المعنى الواسع للفلسفة ، وقد يعرفها بعضهم بتعريفات أخرى، قد تحصرها في مجالات أضيق من التعريف السابق حسب منظور كل منهم ، أو حسب الميادين التي اشتهرت بها الفلسفة ، ولذا جاء في " أبجد العلوم " تعريف الفلسفة : " أنها ليست علماً برأسها ، بل هي أربعة أجزاء : أما الهندسة والحساب فهما مباحان ، وأما المنطق والطبيعيات فبعضها مخالفٌ الحق فهو جهل وليس بعلم وبعضها ليس كذلك "[(٢)].

وأما **علم الكلام** : فهو " علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها ، ودفع الشبه عنها ، وموضوعه عند الأقدمين : ذات الله تعالى وصفاته ؛ لأن المقصود الأصلي من علم الكلام : معرفته تعالى وصفاته "[(٣)].

فعلم الكلام ليس هو الفلسفة ، لكن ارتبطت كثير من مباحثه بها ، فظهر خلله ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (وهؤلاء المتكلمون المتأخرون الذين خلطوا الفلسفة بالكلام كثر اضطرابهم ، وشكوكهم ، وحيرتهم ، بحسب ما ازدادوا به من ظلمة...خلطوا الفلسفة بالكلام ، فأولئك قلت ظلمتهم بما دخلوا فيه من كلام أهل الملل ، وهؤلاء كثرت ظلمتهم بما دخلوا فيه من كلام أولئك المتفلسفة)[(٤)].

ولذلك ذم السلف علم الكلام : (قال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة : " من طلب العلم بالكلام تزندق " ، ...، ولما سئل الإمام الشافعي عمن يأخذ عقيدته عن طريق النظر العقلي والحجج الكلامية أجاب بعبارة قوية مؤثرة من إمام ذكي عظيم ، قال : حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم في القبائل والعشائر ، ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، وأقبل على الكلام)[(٥)].

---

(١) الموسوعة العربية العالمية عن : دائرة المعارف العالمية 441/17 ؛ عبد الرحمن بدوي : موسوعة الفلسفة ، 157/2.

(٢) صديق حسن القنوجي : أبجد العلوم ، 355/1.

(٣) صديق حسن القنوجي : أبجد العلوم ، 111/2.

(٤) منهاج السنة النبوية : 288/3.

(٥) المصدر السابق : 610/2 .

وأما المنطق : فهو علم يتناول بالدراسة مبادئ وطرائق المحاكمة العقلية ؛ فهو يستكشف كيفيات التمييز بين المحاكمة القويمة والمحاكمة السقيمة ، ويسمى المثال المستخدم في المحاكمة : البرهان والاستدلال ، وعلى هذا التعريف فإن موضوع علم المنطق هو طريقة التفكير الصحيحة للوصول إلى النتائج السليمة عن طريق الدليل العقلي والحجة ، وهو ما يعرف بالمنطق اليوناني ، والمنطق اليوناني جزء من الفلسفة الإغريقية(١).

وممن المتكلمين الذين نزلوا حماة في العصر الأيوبي : سيف الدين الآمدي علي بن محمد بن سالم التغلبي (ت631هـ/1233م) ، تعلم في بغداد والشام ، وانتقل إلى القاهرة ، فدرس فيها واشتهر ، كان مبرزاً في علم الكلام والمنطق والعلوم الحكمية (٢) ، وحسده بعض الفقهاء فتعصبوا عليه ونسبوه إلى فساد الع قيدة والتعطيل ومذهب الفلاسفة ، وهذا ما دفع الآمدي أن يرحل مستخفيا إلى حماة ويسكنها(٣) ، ومنها انتقل إلى دمشق ، فتوفي بها. ومن مؤلفاته في الكلام : " أبكار الأفكار " ، و " المبين في شرح معاني الحكماء والمتكلمين " ، و " دقائق الحقائق " ، و " رموز الحكمة " ، و " لباب الألباب " ، و " غاية المرام في علم الكلام " ، و " كشف التمويهات في شرح التنبيهات " ، وقد ألفه للمنصور الأول صاحب حماة (٤) ، سوى كتبه في أصول الفقه والجدل ، وغيرها(٥).

ومنهم من خلط الكلام بالفلسفة والاتحاد ، وهو ابن الفارض (632هـ/1234م) ، الذي حضر من حماة إلى مصر ، ودرس الخطابة بالجامع الأزهر ، وعكف عليه الأئمة ، حتى كان الملك الكامل ينزل لزيارته ، قال عنه الذهبي : (شاعر الوقت ، شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحمويُّ ، ثم المصريُّ ، صاحب الاتحاد ، الذي قد ملأ به التائية)(٦).

ومن أبرز الحمويين في هذا الباب أيضاً : القاضي جمال الدين الحموي محمد بن سالم بن واصل الحموي(ت697هـ/1297م) ، وبرع في العلوم العقلية ، وكان من أذكياء العالم ،

---

(١) الموسوعة العربية العالمية عن : دائرة المعارف العالمية 442/17.

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، 691/8 ؛ ابن واصل : مفرج الكروب : 78/4 ؛ اليافعي : مرآة الجنان ، 74/4.

(٣) ابن قنفذ : الوفيات ، 312 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، 293/3 ؛ السبكي : طبقات الشافعية ، 307/8.

(٤) الذهبي : ميزان الاعتدال 1/ 439 ؛ الزركلي : الأعلام ، 332/4.

(٥) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص 651 ؛ الزركلي : الأعلام ، 332/4.

(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 368/22.

وما زال حريصاً على الاشتغال وغلب عليه الفكر إلى أن صار يذهل عن أحوال نفسه وعمن يجالسه ، وحضر حلقته نجم الدين الكاتبي المعروف بدبيران المنطقي وأورد عليه إشكالاً في المنطق[١] ، ومن تضلعه في العلوم العقلية أجاب الأنبرور[٢] عن مسا ئل سأله إياها في علم المناظر وغيرها ، فأخذها وبات بها ، وأصبح وقد أملى الجواب عليها في مجلد صغير ، فعظم في عين الأنبرور وقال : يا قاضي ما سألناك عن حلال ولا حرام في دينك الذي أنت فيه قاض ، وإنما سألناك عن أشياء لا يعرفها إلا الفلاسفة الأقدمون ، فأجبت عنها ، وليس معك كتب ولا ما تستعين به ، مثلك يكون قسيساً ، وحسد المسلمين عليه ، وزاد في تعظيمه وإكرامه[٣].

وللشيخ ابن واصل أيضاً من المصنفات في الكلام والمنطق : " مختصر الأربعين "[٤] في الكلام ، و" شرح الموجز " للأفضل[٥] ، و " شرح الجمل " له[٦] ، و " هداية الألباب " في المنطق[٧]. ومنهم صاحب حماة الملك المؤيد عماد الدين، اطلع على كتب كثيرة في الفلسفة[٨].
الفلسفة[٨]. ومنهم أبو الحسن علي بن أحمد التجيبي الموسوي الأندلسي، كان ضليعاً في علوم الكلام والمنطق والمناظرة ، وله منصفات في هذا الفن ، وتفاسير قيل عنها أنها عجيبة[٩].

---

(١) نجم الدين الكاتبي القزويني علي بن عمر بن علي العلامة نجم الدين الكاتبي ، دبيران بفتح الدال وكسر الباء الموحدة وسكون الياء آخر الحروف راء وألف ونون القزويني المنطقي الحكيم صاحب التصانيف (ت675هـ). الصفدي : الوافي بالوفيات ، 475/6.

(٢) أقام الآمدي مدة طويلة في مصر ، واتصل بالملك الظاهر بيبرس فأرسله في سفارة عنه إلى ملك صقلية الانبرور مانفيرد Manferd وهناك صنف رسالته (الانبرورية) في المنطق " نخبة الفكر ". الزركلي : الأعلام ، 133/6.

(٣) الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، 300/2.

(٤) هو " الأربعين في أصول الدين " لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت606هـ) ، وكان قد ألفه لولده محمد ، ورتبه على أربعين مسألة من مسائل الكلام ، ثم لخصه جمال الدين بن واصل الحموي . المصدر السابق ، 300/2.

(٥) " الموجز في المنطق " لأفضل الدين محمد بن ناماور المصري (ت646هـ) ، حاجي خليفة : كشف الظنون ، 1901/2 ؛ البغدادي : هدية العارفين ، 10/2.

(٦) " الجمل في مختصر نهاية الأمل " في المنطق للخونجي أيضاً ، شرحه ابن واصل . المصدر السابق ، 10/2.

(٧) الصفدي : الوافي بالوفيات ، 334/1 ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، 437/5.

(٨) ابن كثير : البداية والنهاية ، 158/4 ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 292/9.

(٩) الذهبي : العبر ، 232/3؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 315/6 ؛ اليافعي : مرآة الجنان ، 100/4 ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ، 189/5.

المبحث الرابع : العلوم التطبيقية والطبيعية

(الطب ، الصيدلة ، الكيمياء).

* الطب :

يعتبر المسلمون في مقدمة الشعوب التي اهتمت بالطب وإنشاء المستشفيات ، فأسهموا إسهاماً منقطع النظير في الدراسات الطبية ، وظهر بينهم أطباء أجلاء ندر أن تجود بمثلهم أمة من الأمم[١]. ويعرف ابن خلدون الطب بأنه : " صناعة تنظر في بدن الإنسان ، من حيث يمرض ويصح ، فيحاول صاحبها حفظ الصحة ، وبرء المرض بالأدوية والأغذية ، بعد أن يتبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن ، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ ، وما لكل من الأدوية "[٢].

واشتهر الاشتغال بالطب عامة في العصر الأيوبي من حيث كونه من أشرف علوم الدنيا لأنه به صحة الأبدان [٣] ، ولاسيما وقد أخبرنا النبي ﷺ بأنه " ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء"[٤] ، ولما كان العصر الأيوبي عصراً جهادياً فقد كانت الحاجة ملحة إلى وجود الأطباء والجراحين مع الجيوش المجاهدة.

وقد شهدت حماة خلال فترة الدراسة تطوراً في النواحي الصحية، فقد انتشرت البيمارستانات والتي لم يقتصر دورها على تقديم الرعاية الصحية والطبية للمرضى بل كانت في الوقت نفسه مدرسة لتعليم الطب ، يتخرج منها الأطباء والجراحون ، وذلك بعد أن يجتازوا الاختبارات المخصصة لهم ، حيث يخضع الطبيب إلى امتحان دقيق وشامل ، يسأل فيه عن شيوخه في الصنعة ، والكتب التي درسها وقرأها ، وأنواع الأمراض ، وكيفية مداواتها وغير ذلك، كما كان الجراح يمتحن في مادة التشريح نظرياً وعلمياً[٥].

---

(١) عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص 488.

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص 493 ؛ أحمد عبد الرزاق : الحضارة الإسلامية ، ص 181.

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص 493 ، حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج 2 ، ص 112.

(٤) ابن ماجة : السنن ، كتاب الطب ، (ح 3438).

(٥) عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص 489 ؛ أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات ، ص 4 ؛ الحمصي : روائع من العمارة العربية الإسلامية في سوريا ، 83.

كما وضع العلماء عدة آداب وشروط يجب على الطبيب مراعاتها ، فمن ذلك : أن يحسن الطبيب النية في عمله ، وأن يؤنس المريض بوجه بشوش ، ويهون عليه ما هو فيه من المرض ، وأن يكون أميناً على أسرار المريض [١] ، منظماً في وقته ، ديناً متواضعاً ، بعيداً عن الحقد والحسد ، طاهر في نفسه وفي ملبسه[٢].

وكان بحماة بيمارستان واحد كبير ، بُني في عهد نور الدين زنكي وعرف بالنوري ، واستمر في القيام بوظيفته العلاجية والتعليمية في عهد الدولة الأيوبية ، وقد اهتم به ملوك الأسرة التقوية الحاكمة بحماة ، وأوقفوا عليه أوقافاً كبيرة ، ليواصل أداء وظيفته ، وأعادوا تنظيمه وتعيين ناظر له يدير شؤونه [٣]. ويتكون البيمارستان من قسمين منفصلين، أحدهما خاص بالمرضى الذكور ، والآخر للإناث ، وكلا القسمين مجهز بما يحتاجه من معدات طبية ، وخدم من الجنسين ، ويضم كل قسم قاعات متعددة خصصت كل قاعة لنوع معين من الأمراض[٤].

وقد زخرت حماة فترة الدراسة بالأطباء الذين ذاع صيتهم الطبي والعلمي محيط بلدتهم ، وأصبح جزءاً من الحضارة الإسلامية ، منهم: الطبيب مهذب الدين بن الحاجب ، كان طبيباً بارعاً ، يؤكد على ذلك ابن أبي أصيبعة فيقول : " تميز في صناعة الطب وصار من جملة أعيانها وخدم بصناعة الطب في البيمارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين بن زنكي ، ثم خدم تقي الدين عمر صاحب حماة "[٥]. ومن أطباء حماة المشهورين الطبيب موفق الدين عبد السلام ، كان خبيراً في الطب والحكمة ، أصله من حماة ، ثم انتقل إلى دمشق للتفرغ لدراسة الطب وبرع فيه ، بعدها اتصل بالناصر يوسف صاحب دمشق وحلب وأقام معه في حلب ، وكان الناصر معتمداً عليه مقدراً له ، ولما اجتاح المغول بلاد الشام، رحل موفق الدين إلى مصر ويبدو أن المنصور الثاني استدعاه إلى حماة ، فقدم إليها ، وكان المنصور الثاني يجزل عطاءه ويحترمه وله عنده المنزلة الرفيعة[٦].

---

(١) ابن الحاج : المدخل ص 344-345.

(٢) عسيري : تعليم الطب في المشرق الإسلامي ، ص 13.

(٣) الصابوني : تاريخ حماة ، ص 113 ؛ كرد علي : خطط الشام ، 161/6.

(٤) أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، ص 18 ؛ معجم الأطباء ، ص 31.

(٥) عيون الأنباء ، ص 659-660.

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص 755 ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، 160/6.

ومن أعلام حماة في الطب موفق الدين محمد بن أبي الخير ، كان من المتقنين لمهنة الطب ، إضافة إلى تدينه وورعه ، وكان ضمن حاشية المظفر الثاني صاحب حماة ، ومن المقربين إليه ، وقد اشترك في الحملة التي قادها المظفر الثاني لإنقاذ دمشق غير أن الحملة باءت بالفشل وأسر موفق الدين ومات في السجن[١]. ومن أعيان حماة الذين مارسوا مهنة الطب الحكيم زين الدين بن سعد الدين بن سعد الله بن واصل كان من أطباء المظفر الثاني [٢]. ومن أطباء حماة الطبيب أبو الثناء محمود بن عمر بن محمد بن إبراهيم الشيباني الحانوي ، المعروف بابن رقيقة ، (ت635هـ/1237م)، قدم حماة وصحب ملكها المنصور الأول ، كان سريع البديهة ، كامل المروءة ، بليغاً جيد النظم والنثر ، اشتهر بسرعة الرجز ، إذ كان ينظم الكتب الطبية في شعر رجزٍ حسن اللفظ ، وفي وقت قصير ، كان ملماً بعلوم كثيرة، أما الطب فقد فاق به أقرانه ، وجمع أقوال المتقدمين عليه في هذا المجال ، ليستفيد منها في ممارسته لعمله، وكان ضليعاً في طب وجراحة العيون ، ومن كتبه " لطف السائل وتحف السائل" و "موضحة الاشتباه في أدوية الباه " ، وصنع آلات طبية من الحديد ، ونجح في قدح الماء النازل في العين ، وأبصر بسببه عدد ممن كانوا في عداد العميان [٣] ، وفي هذا دلالة واضحة على المستوى الرفيع الذي وصل إليه علم الطب الإسلامي في حماة هذه الفترة المبكرة . كما كان الطبيب أبو الفضل موفق الدين أسعد بن حلوان الشهير بالمنفاخ (ت642هـ/ 1244م) ، عالماً طبيباً ، متفرداً في عصره ، عكف على دارسة الطب والاشتغال به حتى غدا علماً في تخصصه ، وخدم الأشرف بن العادل في منطقة الجزيرة ، ثم انفصل عنه ورحل إلى حماة ، ومكث بها حتى وافته المنية [٤]. ومنهم الطبيب صلاح الدين يوسف الحموي، وكان يمارس الطب بحماة حوالي سنة (696هـ/1296م) ، وله مؤلفات طبية من أشهرها كتاب : " نور العيون وجامع الفنون " والذي يعد من أهم المؤلفات في طب العيون[٥].

---

(١) أحمد عيسى : معجم الأطباء ، ص 203.

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، 227/5.

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص 707-717.

(٤) المصدر السابق ، ص 757 ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات ، 44/9.

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب ، 227/5 ، أحمد عيسى : معجم الأطباء ، ص 203 .

* **الصيدلة والكيمياء :**

الصيدلة : علم من فروع الطب ، متصل بعلم الأعشاب من حيث أشكالها وأنواعها وزمانها ، وخواصها وتميز جيدها من رديئها ، والفائدة منها ، أيضاً متصلة بعلم الحيوان والمعادن والكيمياء ، فإن الأدوية نباتية وحيوانية ومعدنية ، ثم هي تحتاج إلى معالجة وإلى نسب في التراكيب تقتضي المعرفة بالكيمياء[١].

وأما الكيمياء : فهو علم يعرف به طرق سلب الخواص من الجواهر المعدنية ، وجلب خاصية جديدة إليها على ما كان يعرف به أهل ذاك الزمان[٢].

وقد شعر العرب في القرن (2هـ/8م) بأهمية علم الكيمياء ، وذلك لأساسيته في بحوث الصيدلة والطب[٣] . كما نظم العرب مهنة الصيدلة ، فجعلوا على الصيادلة – وهم الذين يبيعون الأدوية – نقيباً يسمى رئيس العشابين ، وأخضعوا المهنة لرقابة عريف الحسبة ، حتى يحولوا دون غش الدواء[٤]. وكان على العشاب أو الصيدلاني أن يراعي عدة شروط لمزاولة مهنته منها : أن يكون ديناً نصوحاً أميناً ، ذا معرفة تامة بالأدوية ، فيعرف صحيحها من فاسدها[٥] ومن المشتغلين بهذا العلم في حماة : الطبيب أبو الثناء محمود بن عمر بن محمد بن إبراهيم الشيباني الحانوي ، المعروف بابن رقيقة (ت 635هـ/1237م) ، فقد تعاطى علوم الكيمياء ، وعمل منها أشياء مستطرفة [٦].كما أن الشيخ سيف الدين علي بن محمد بن سالم التغلبي ، أبو الحسن الآمدي (ت631هـ/1233م) ، كان مبرزاً في علوم عديدة منها العلوم الطبية[٧].

---

(١) فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ، ص 294 ؛ حاجي خليفة : كشف الظنون ، 106/2.

(٢) المصدر السابق ، 442/2.

(٣) عبد العزيز بن عبد الله : العلوم الكونية ، ص 13.

(٤) ابن بسام : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص 85 ؛ جلال موسى محمد : منهج البحث العلمي عند العرب ، ص247.

(٥) ابن الحاج : المدخل ، 344/2-346.

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص 704.

(٧) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص 427 ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، 400/42.

المبحث الخامس : العلوم البحتة

(الحساب ، الجبر ، الهندسة ، علم الحيل " الميكانيكا " ، الفلك).

أدى اتساع الدولة الإسلامية والتطور الحضاري للمجتمع الإسلامي إلى اهتمام واسع بشتى العلوم المختلفة ومنها العلوم البحتة ، والتي هي طبيعية للإنسان ، من حيث إنه ذو فكر، فهي غير مختصة بملة ، بل يوجد النظر فيها لأهل الملل كلهم ، ويستوون في مداركها ومباحثها، ويبني بعضهم على ما انتهى إليه الآخر[١] ، وتشمل على :

* **علم الحساب** : وهو علم بقواعد يعرف بها طرق استخراج المجهولات العددية من المعلومات العددية المخصوصة ، والمراد بالاستخراج : معرفة كمياتها[٢].

ولقد برع المسلمين في الحساب ، ووضعوا في ذلك مؤلفات كثيرة ، بحثوا فيها الأعداد وأنواعها وخواصها ، وتوصلوا إلى دراسات ونتائج أثارت إعجاب علماء الغرب في العصر الحديث وأدهشتهم ، فاعترف الكثير منهم بفضلهم وأسبقيتهم.

* كما وضعوا **علم الجبر** ، وأتوا فيه بالعجب العجاب ، حتى قالوا : " إن العقل ليدهش عندما يرى ما عمله العرب في الجبر "[٣] . وكيف لا وعلم الجبر ابتكار عربي إسلامي ، ، فقد أبدع فيه الخوارزمي ووضع فيه كتاباً أسماه : " الجبر والمقابلة " أفاد به البشرية[٤].

* **وأما علم الهندسة** ، فهي من العلوم القديمة التي كان لها دورها في جميع الحضارات ، وقد ترجمت الدراسات الهندسية عن كتب اليونان ، حيث جرت دراستها دراسة علمية فاحصة ، وأضاف المسلمون إليها إضافات كثيرة ومهمة[٥].

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ، 290/2.

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون ، 664/1.

(٣) طوقان : تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ، ص 61.

(٤) الخوارزمي هو محمد بن موسى (ت بعد 232هـ) ، وَكَانَ منقطعاً إِلَى خزانة كتب الحكمة للمأمون ، وهو من أصحاب علم الهيئة ، كان يعول عَلَى زيجه الأول والثاني ، ويعرف بالسند هند ، له من الكتب : " الزيج الأول " ، " الزيج الثاني " ، " الرخامة " ، " العمل بالاصطرلاب " ، " التاريخ " . القفطي أخبار العلماء ، 121/1.

(٥) علي عبد الله الدفاع : نوابغ علماء العرب والمسلمين في الرياضيات ، ص 51-52 ؛ العسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص 504.

* وفي **علم المثلثات** حصل تطور نوعي كبير ، إذ لولا جهود العلماء المسلمين " لما كان علم المثلثات على ما هو عليه الآن ، فإليهم يرجع الفضل الأكبر في وضعه بشكل علمي منظم مستقل عن علم الفلك "(١).

* كما اعتمد المسلمون على **علم الحيل " الميكانيكا "**(٢) في الكثير من منشأتهم الحضارية كبناء المساجد والدور ، والأسوار ، والأبراج ، والنواعير وغيرها.

ولقد نبغ علماء حماة في هذه العلوم وكان لهم دور بارز في الحياة العامة بحماة من خلال مؤلفاتهم في هذه العلوم أو ممارستهم العملية لها من بناء أسوار وأبراج وطواحين ، أو صنع آلات رياضية ونحوها ، فمن علماء حماة في هذه العلوم : الشيخ علم الدين قيصر الشهير بتعاسيف (ت649هـ/ 1251م) ، انتقل إلى حماة في عهد المظفر الثاني ، وأحسن إليه ، وأشرف تعاسيف على بناء وترميم بعض أجزاء مدينة حماة ، فأقام أبراجاً على أسوارها وأضحت من معالمها المميزة ، وأنشأ طاحوناً في الجانب السفلي من المدينة على ضفة العاصي، وجعل في أعلى الطاحون برجاً للمراقبة ، وصنع آلات رياضية (٣). ومنهم مهذب الدين بن الحاجب ، كان عالماً في عدة علوم منها الرياضيات والهندسة ، وكان متقناً للعلوم الرياضية وغيرها ، قوي النظر في صناعة الهندسة ، خدم في الساعات التي عند الجامع بدمشق(٤).

* **علم الهيئة (الفلك)** :

علم الفلك : هو العلم الذي ينظر في حركة الكواكب الثابتة والمتحركة والمتميزة ، ويستدل في تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك ، لزمت عنها لهذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية ، ومع معرفة تعداد الأفلاك ، من قبل الحركات السماوية المشاهدة الموجودة لكل واحد منها ، ومن رجوعها واستقامتها وإقبالها وإدبارها(٥).

---

(١) ن. م . س ، ص 101.

(٢) علم الحيل : أو منجانيقون ، وأحد أقسامها جر الأثقال بالقوة اليسيرة . الخوارزمي: مفتاح العلوم، ص 187.

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب ، 145/5 ؛ المختصر في أخبار البشر ، 428/1 ؛ الأدفوي : الطالع السعيد ، ص469-471.

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص 659-660 ؛ أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات ، ص 119.

(٥) ابن خلدون : المقدمة ، 290/2.

والفلك علم قديم ظهر منذ وجد الإنسان على هذه الأرض ، ويعرف أيضاً بعلم الهيئة، ويتصل علم الفلك بفروع كثيرة هي فصول في هذا العلم ك آلاته وأصوله من الإسطرلاب والجداول والتوقيت [١].

واهتم العلماء المسلمون بعلم الفلك ، ودفعهم إلى الاهتمام به تعيين سمت القبلة ، ووقت الزوال ، وأوائل الشهور القمرية وأواخرها ، لأن أوقات الصلوات الخمس تختلف من بلد إلى بلد ، وهكذا فإنهم طوروا علم الفلك ، وجعلوه علماً رياضياً مبنياً على الرصد والحساب والهندسة ؛ لتعليل ما يرى من الحركات والظاهر الفلكية والكونية ، ولم يقفوا فيه عند حد النظريات كما فعل اليونان ، بل فاقوا غيرهم في عمل الآلات التي رصدوا بها النجوم والكواكب[٢] ، مع علمهم بأن هذه الأفلاك مسيرة من الله وليس لها علاقة في تصريف أمور العالم السفلي ، وهو التنجيم المذموم في الشريعة.

وممن نبه على بلاء هذا التنجيم من الحمويين : الإمام أبو اليمن الكندي المقرئ النحوي اللغوي (ت613هـ/1216م) ، حيث قال :

دع المنجم يكبو في ضلالته إن ادعى علم ما يجري به الفلك

تفرد الله بالعلم القديم فلا الإنسان يشركه فيه ولا الملك[٣]

وقد برز من علماء الفلك في حماة الأيوبية جماعة منهم : أبو الثناء محمود بن عمر بن محمد بن إبراهيم الشيباني الحانوي ، المعروف بابن رقيقة ، مولده بحين [٤] ، وقدم حماة وصحب ملكها المنصور الأول ثم عاد إلى خلاط [٥] ، كان ملماً بعلوم كثيرة منها علوم الفلك ، وتوفي بحماة سنة (635هـ/1237م)[٦]. وأيضاً الشيخ علم الدين قيصر (ت 649هـ/1251م) ، صنع عدة

---

(١) عبد العزيز بن عبد الله : العلوم الكونية ، ص 111 ؛ نانسي الرواشده : الحياة العلمية في مرسية الإسلامية ، ص150.

(٢) ناجي معروف : المراصد الفلكية ببغداد ، ص 5 ؛ العسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص 505.

(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، 187/2 ؛ السيوطي : بغية الوعاة ، 22/1.

(٤) حيني : أو حاني بلد في ديار بكر . ياقوت ، 333/2.

(٥) خِلاط ، بلدة من الجزيرة المنطقة الواقعة بين نهر دجلة والفرات . ياقوت : معجم البلدان ، 380/2.

(٦) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ص 707.

آلات فلكية ، كما عمل كرة من الخشب المدهون ، رسم عليها جميع الكواكب المعروفة في ذلك الوقت [1] . كما برز في هذا العلم صاحب حماة الملك المؤيد عماد الدين ، اطلع على كتب كثيرة في علم الهيأة والعروض والأطوال[2]، كذلك مهر في علم الفلك قاضي القضاة الإمام العالم بدر الدين أبو عبد الله الكناني الحموي الشافعي (733هـ/1332م)، يذكر الصفدي أن القاضي شمس الدين ابن الحافظ أنه قال له : " كنت أقرأ عليه بدمشق وهو في بيت الخطابة رسالته في الإسطرلاب ، فقال لي يوما إذا جئت تقرأ في هذه فاكتمه فإن اليوم جاء إلى مغربي وقال يا مولانا قاضي القضاة رأيت اليوم واحدا يمشي في الجامع وفي كُمه آلة الزندقة فقلت وما هي فقال الإسطرلاب أو كما قال)[3].

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ، 145/5 ؛ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، 481/2؛ الأدفوي : الطالع السعيد ، ص 469–471 ؛ الغامدي : الشام قبيل الغزو المغولي ، ص 445.

(٢) الزركلي : الأعلام ، 319/1.

(٣) الوافي بالوفيات ، 161/1.



الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ..

لقد عشت في بحثي هذا بين عبق الماضي ونسيم الشام ، أنتقل بين أروقة الكتب ، وأرتشف حضارة المسلمين التي أنارت الدنيا في هاتيك الأيام ، في ظل الدولة الأيوبية ، التي أعادت القوة الداخلية للدولة الإسلامية بأمرين عظيمين : إسقاط الدولة العبيدية الشيعية وجعلها سنية ، والأمر الثاني كسر الصليبيين في حطين.

وقد رأيت أن أتناول الجزء العلمي من هذه الدولة ، من خلال دولة حماة الأيوبية ، وقد توصلت في بحثي إلى عدة نتائج ، من أهمها :

– توصلت في التمهيد إلى أن مدينة حماة تقع ضمن النطاق الجغرافي لبلاد الشام ، وقد تطورت مظاهرها بصورة واضحة في الدولة الأيوبية ، في ظل الأسرة التقوية.

– ففي الفصل الأول ومن خلال بحثي الأوضاع السياسية وأثرها في الحياة العلمية ، وجدت أن حماة انتقلت بين قيادات سياسية أهمها الدولة النورية التي أقامها عماد الدين زنكي ، وابنه نور الدين محمود ، ثم انتقل ملك البلاد الشامية والمصرية إلى ملك السلطان صلاح الدين الأيوبي عام (570هـ/1174م).

– تبين من البحث طول حكم أسرة ابن أخي صلاح الدين : تقي الدين عمر ، والتي عرفت باسم التقوية لحماة ، بدءا من عام (575هـ/1179م) وثم في ابنه الملك المنصور ، والذي يجمع المؤرخون على حسن سيرته بحماة واهتمامه بها ، وخلفه ابنه المظفر ثم تولى ابنه المنصور ناصر الدين الذي استعاد أملاك جده المنصور الأول ما عدا المعرة ، وكانت سياسة المهادنة التي انتهجها قد حمت مملكته من السقوط أمام المغول والمماليك بعد ذلك.

– وفي عهد المماليك أقر المظفر قطز المنصورَ على حماة بعد أن شاركه معركة عين جالوت ضد المغول، واستمرت علاقة الحمويين مع المماليك علاقة وطيدة ، ولاسيما في عهد السلطان قلاوون ، حين قصد قتال المغول ، عام (680هـ/1281م) ، فساعده الحمويون ، ثم في عهد ابن المنصور المظفر محمود ، والذي أسهم في فتح عكا عام (690هـ/1291م) ،

واستمرت الأسرة التقوية حتى وفاة ملك حماة الملك المظفر محمود بن المنصور محمد عام (698هـ/ 1298م).

– وقد توصلت من خلال بحث الأوضاع الاقتصادية في حماة إلى أننا لا نجد في تلك المصادر المعاصرة لتلك الحقبة اهتماماً واضحاً بالأوضاع الاقتصادية لبلاد الشام أو مدينة حماة على وجه الخصوص.

– وأبان البحث أن اقتصاد حماة تأثر بالأوضاع السياسية القائمة في تلك الفترة ، فتارة يزدهر وينهض ، وتارة يتدنى ويضعف ، وأنه تأثر سلباً بالزلزال العظيم الذي ضرب أرض الشام لمدة أشهر في عامي 553هـ و 552هـ ، فخرب حماة ، وكان لآثاره المدمرة تداعيات كبيرة على اقتصاديات بلاد الشام ومن ضمنها حماة، كما تأثر سلباً بما مر ببلاد الشام عام (658هـ/1259م) ، من اجتياح المغول لها وتخريبها ، إذ أمر هولاكو بحرق وهدم أسوار مدينة حماة.

– تبين في البحث كيف كان اقتصادها معتمداً على الزراعة وبعض الصناعات التقليدية كتجفيف الفواكه والنسيج والزيوت ، وكذا نشاط الحركة الاقتصادية بوجود الأسواق العامرة ، ووجود الحرف كمهنة الصرافة ، والتجارة الخارجية.

– ومن أهم نتائج بحث الأوضاع الاجتماعية بحماة ، أن الطابع العام للحياة في بلاد الشام – ومنها حماة – أنها حياة جهاد ، وإن كانت ثمة احتفالات بالأعياد ومواسم الحج والعمرة.

– وكانت التركيبة السكانية لأهل حماة متنوعة بين العنصر العربي والعنصر الكردي ، وطائفة من التجار الإفرنج البنادقة، وقد ويُقسم المجتمع إلى طبقة الحكام ، وكلهم من أصل كردي ، وطبقة أصحاب الإقطاعيا ت ، وكان لا ينتمي إليها إلاّ المقربون من الحكام من أمراء وملوك وأجناد وأصحاب الامتيازات ، وقد عانى أهل حماة من بعض أهل هذه الطبقة ، ومن جورهم وتسلطهم ، وطبقة رجال العلم والدين ، وكان لهذه الطبقة مكانتها عند الحكام والعامة على حد سواء ، وقرب حكام وملوك حماة هذه الطبقة إليهم ، ثم طبقة التجار ، وطبقة أصحاب الحرف والصناعات ، وطبقة الفلاحين ، وهم أغلب سكان حماة.

– ومن نتائج بحث الأوضاع الدينية بحماة ، تبين أن حماة كانت سنية ، وكان أشهر المذاهب الفقهية بحماة المذهب الحنفي ، والمذهب الشافعي ، كما ظهر وجود للمذهب الحنبلي، وأما الصوفية فقد ظهرت بقوة في حماة ، وانتشرت انتشارا واسعاً.

– وأظهر البحث في الفصل الثاني : (دور العلماء في الحياة العلمية) فبين من خلاله الدور المهم للعلماء في الحفاظ على المذهب السني ومقاومة المذاهب والتيارات الضالة ، حيث لم يقع بين أيدينا ما يشير إلى وجود تيارات أو مذاهب خارجة عن المذهب السني ؛ مذهب أهل السنة والجماعة ، الذين عملوا على إنشاء المدارس لنشر الحديث الشريف وتدريسه.

– كما كان من نتائج البحث إظهار دور العلماء في تنشيط الحياة العلمية ، فكان منهم القضاة، والفقهاء ، والعلماء ، والمدرسون ، والأدباء ، والأطباء ، ومنهم من تصدى للإفتاء ، ومنهم من ناظر وأجاز وأفاد ، ومنهم من توجه للتأليف ، كما رحل علماء حماة طلباً للعلم ومن ثم عادوا إلى حماة فجلسوا للقضاء والإفتاء والتدريس والإجازة ، مع وجود العديد من الأسر العلمية التي تولت التدريس ردحاً من الزمان ، كبيت بني القرناض ، وبيت المغيزل ، وبيت البارزي.

– وفي الفصل الثالث تم بحث مظاهر الاهتمام بالنشاط العلمي ، فتم إبراز اهتمام سلاطين حماة بالحياة العلمية ، من لدن نور الدين الذي أعاد رونق الإسلام في بلاد الشام ، وأشاع بها شعار الشرع ، وأحيا معالم الدين الدوارس ، وبنى للأئمة المدارس ، ثم صلاح الدين الأيوبي الذي عرف عنه حبه لسماع الحديث النبوي ، والحرص على طلبه، ثم ما كانت عليه الأسرة التقوية من اهتمامات بالعلم وأهله.

– وأظهر البحث أن الاهتمام بالحياة العلمية شارك فيه أيضاً الوزراء والأعيان في حماة ، وقد تمثلت جهودهم في عدة مجالات مختلفة منها : إنشاء دور العلم من مساجد ومدارس ، ووقف الأوقاف التي تقوم بكفايتها ، ورعاية العلماء وإكراهم ، والمشاركة في الحياة العلمية سواء عن طريق تلقي العلوم ، أو التأليف الذي لم يقتصر على العلماء دون الأعيان والوزراء ، وإقامة المجالس العلمية للمناظرات العلمية والأدبية.

– وفي مبحث الوراقة والوراقين ، تبين أن الوراقة في حماة كانت من المراكز المشار لها بالبنان في نسخ الكتب وتجليدها وبيعها . وكانت أسواقها تحتوي على العديد من الحوانيت المخصصة لبيع الكتب ونسخها.

– كما ظهر من خلال البحث اشتمال حماة الأيوبية على العديد من خزائن الكتب ، التي روعي فيها حفظ الكتاب من خلال الصيانة والنسخ ونظم الإعارة وغير ذلك ، من خلال الكتب الخاصة ، ومنها خزائن كتب قلعة حماة (مكتبات القصر) ، ومروراً بخزائن الكتب الخاصة بالعلماء ، وانتهاء بالمكتبات العامة.

– وفي مبحث العلاقات العلمية بين حماة والمراكز العلمية الأخرى ، ظهر من خلال البحث أن حماة الأيوبية كانت أحد مشاعل العلم في بلاد الشام فقصدها طلاب العلم من جميع مدن بلاد الشام والأقطار الإسلامية ، وذكر في البحث نماذج لهؤلاء العلماء في شتى العلوم ، فمنهم الآمدي وابن مالك النحوي ، والطبيب موفق المنفاخ ، وغيرهم.

وفي المقابل خرج من حماة عدد كبير من العلماء صوب بلاد الشام فمنهم من تولى القضاء أو جلس للإفتاء أو تصدر للتدريس والإفادة ، كابن رواحة الحموي ، وابن حبيش ، والطبيب عبد السلام ، وغيرهم.

– وفي الفصل الرابع أبان البحث دور المساجد بحماة ، وكيف كانت مفتوحة وحلقات العلم فيها كثيرة ومتنوعة ، ولاسيما الجامع الأعلى أو (الجامع الكبير) ، والجامع الأسفل (جامع النوري) ، سوى ما ألحق بالمدارس كجامع المدرسة العصرونية ، وغيرها.

– وتبين من البحث أيضاً أن الكتاتيب كانت منتشرة في حماة ، وكذا دور القرآن ودور الحديث ، إضافة إلى المدارس ، و الأربطة والزوايا وقد عمرت بالعلماء والطلاب ، وأظهر البحث الهيئة التعليمية لهذه الدور والأربطة والمدارس ، وكذا دور المجالس العلمية في حماة في النظم التعليمية على قلتها.

– وأظهر البحث أيضاً أن نظم التعليم تبلورت في العهد الأيوبي بعد سنين من ظهور المدارس ، وذلك نتيجة لتراكم الخبرات في مناهج التعليم أو في التطور الإداري ، وأظهر البحث

ما كان عليه العصر الأيوبي من مجانية التعليم ، مع بيان طرق التدريس التي كانت تميزت بكثرة ووفرة طرق وأساليب تلقينه ، مع إبراز دور الإجازات العلمية في النظم التعليمية.

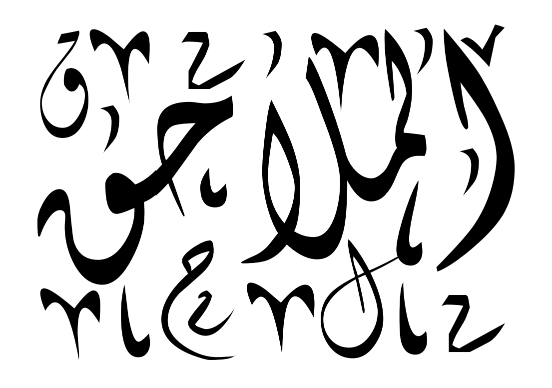
- كما تم بحث الوظائف التعليمية والألقاب العلمية ، في حماة الأيوبية ، كما أوضح البحث مناهج التعليم في حماة ، من خلال الكتب التي كانت تدرس ، من حديث وفقه وأصول الفقه ، وكتب اللغة ، وظهر من خلال البحث أثر الرحلة في طلب العلم في تنشيط الحياة العلمية بحماة الأيوبية.

- وفي الفصل الخامس تم دراسة الإنتاج العلمي لحماة الأيوبية ، من خلال الإنتاج العلمي في الدراسات الشرعية : التفسير وعلوم القرآن - الحديث - الفقه وأصوله ، من ظهور علماء كبار لهم مصنفات كثيرة لا يزال يعتمد عليها حتى يومنا هذا ، كما ظهرت بعض المحدثات من النساء ممن أسهمن في هذا الإنتاج العلمي.

- وفي مبحث علوم اللغة العربية وآدابها ، تبين غنى هذا الإنتاج في حماة الأيوبية ، ولاسيما لما نزلها أمير النحاة ابن مالك ، ومن أهلها الأديب أبو اليمن الكندي النحوي اللغوي ، والشاعر سعد الدين المحار ، وكذا في العلوم الاجتماعية ، والعلوم العقلية ، والعلوم التطبيقية والطبيعية.

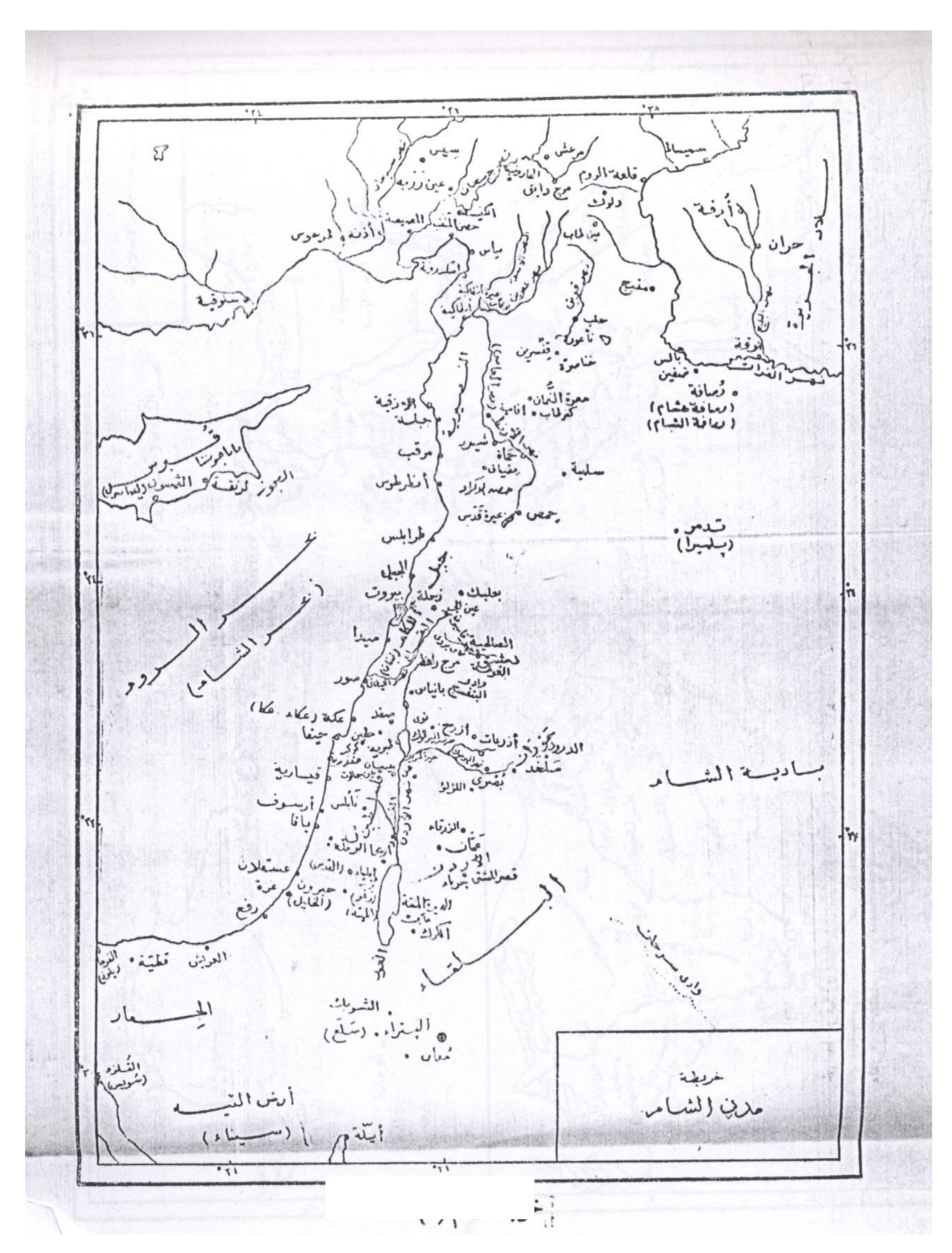
الباحثة

سميرة السعيدي


الملاحق

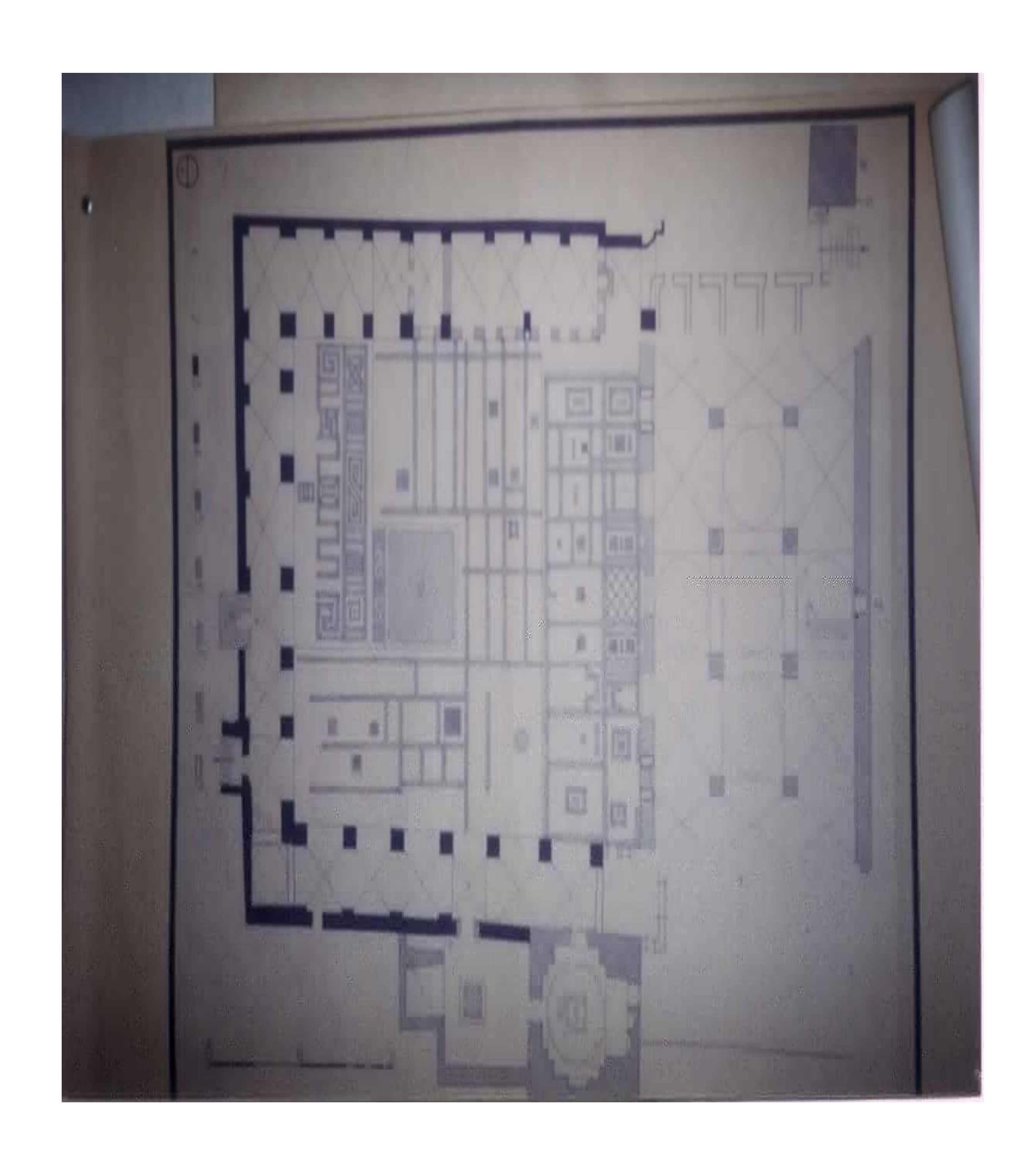
م	الحاكم	فترة حكمه
1	تقي الدين " الملك المظفر " عمر بن نور الدين	(1178-1191م)
2	ناصر الدين " الملك المنصور" محمد بن تقي الدين عمر	(1191-1221م)
3	صلاح الدين " الملك الناصر" قلج أرسلان بن ناصر الدين محمد	(1221-1229م)
4	تقي الدين " الملك المظفر " محمود بن ناصر الدين محمد	ثم خلع بعد دخول المغول البلاد (1229-1244م) خلع بعد دخول المغول البلاد
5	سيف الدين " الملك المنصور " محمد بن تقي الدين محمود	(1244-1260م)
6	تقي الدين " الملك المظفر " محمود بن سيف الدين محمد	(1284-1299م)
7	سنقر	(1299-1310م)
8	أبو الفداء عماد الدين المؤيد إسماعيل بن نور الدين	(1310-1332م)
9	" الملك الأفضل " محمد بن عماد الدين إسماعيل	(1331-1332م) خلعه المماليك

قائمة بحكام حماة



اللوحة رقم (1)

خريطة مدن الشام نقلاً عن الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى



اللوحة رقم (2)

رسم تخطيطي للجامع الكبير في مدينة حماة[١]

(١) المديرية العامة للآثار والمتاحف بمحافظة حماة.



اللوحة رقم (3)

جامع نور الدين زنكي بحماة والبيمارستان النوري الملتصق بجداره الجنوبي والمدرسة المؤيدية الملحق بالجامع في جهته الشرقية[1]

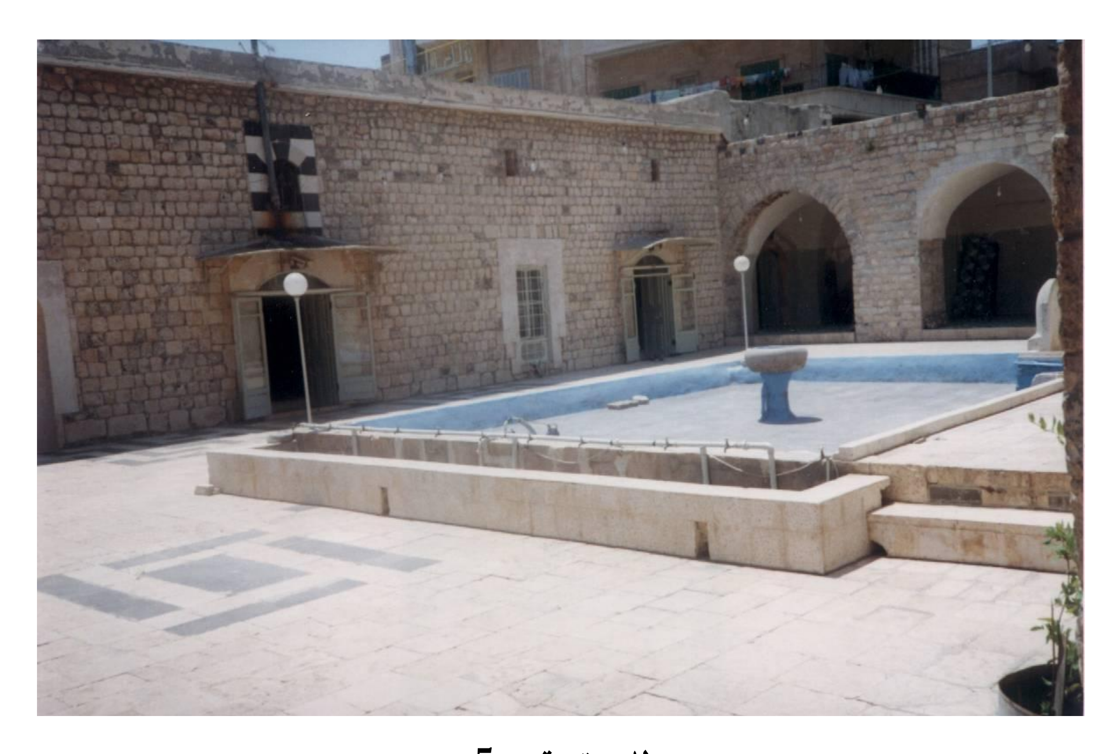
---

(١) المديرية العامة للآثار والمتاحف بمحافظة حماة.



اللوحة رقم (4)

تظهر محراب جامع نور الدين زنكي بحماة



اللوحة رقم (5)

تظهر صحن جامع نور الدين زنكي والميضأة ومداخل بيت الصلاة والرواق الغربي للجامع



اللوحة رقم (6)

تظهر سقف الرواق الشرقي لجامع نور الدين زنكي بحماة



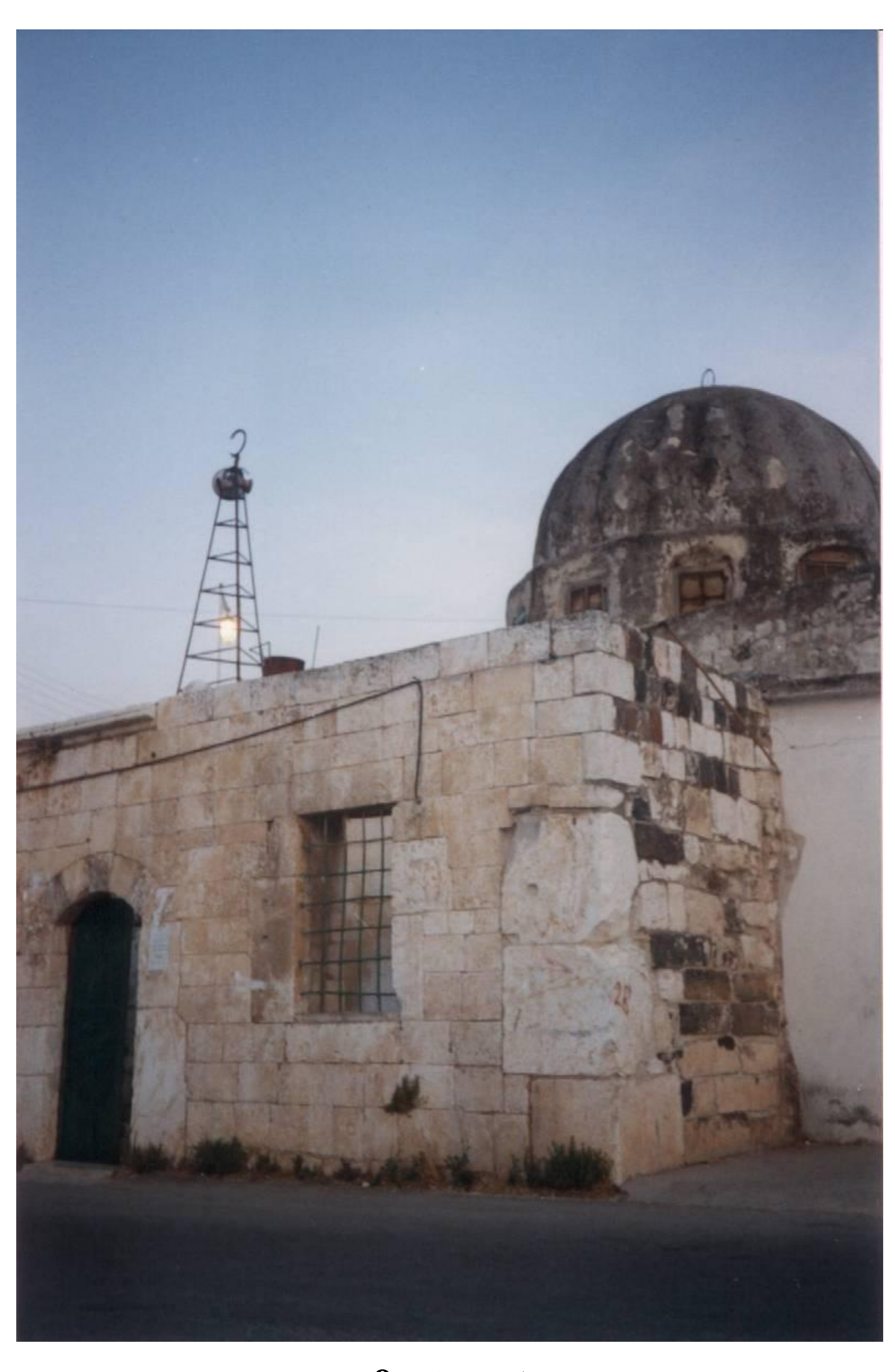
اللوحة رقم (7)

تظهر الرواق الغربي والشمالي وميضأة ومئذنة جامع نور الدين زنكي بحماة



اللوحة رقم (8)

تظهر مدخل الجامع العزي بحماة



اللوحة رقم (9)

تظهر طرز العمارة المستخدمة في الجامع العزي بحماة

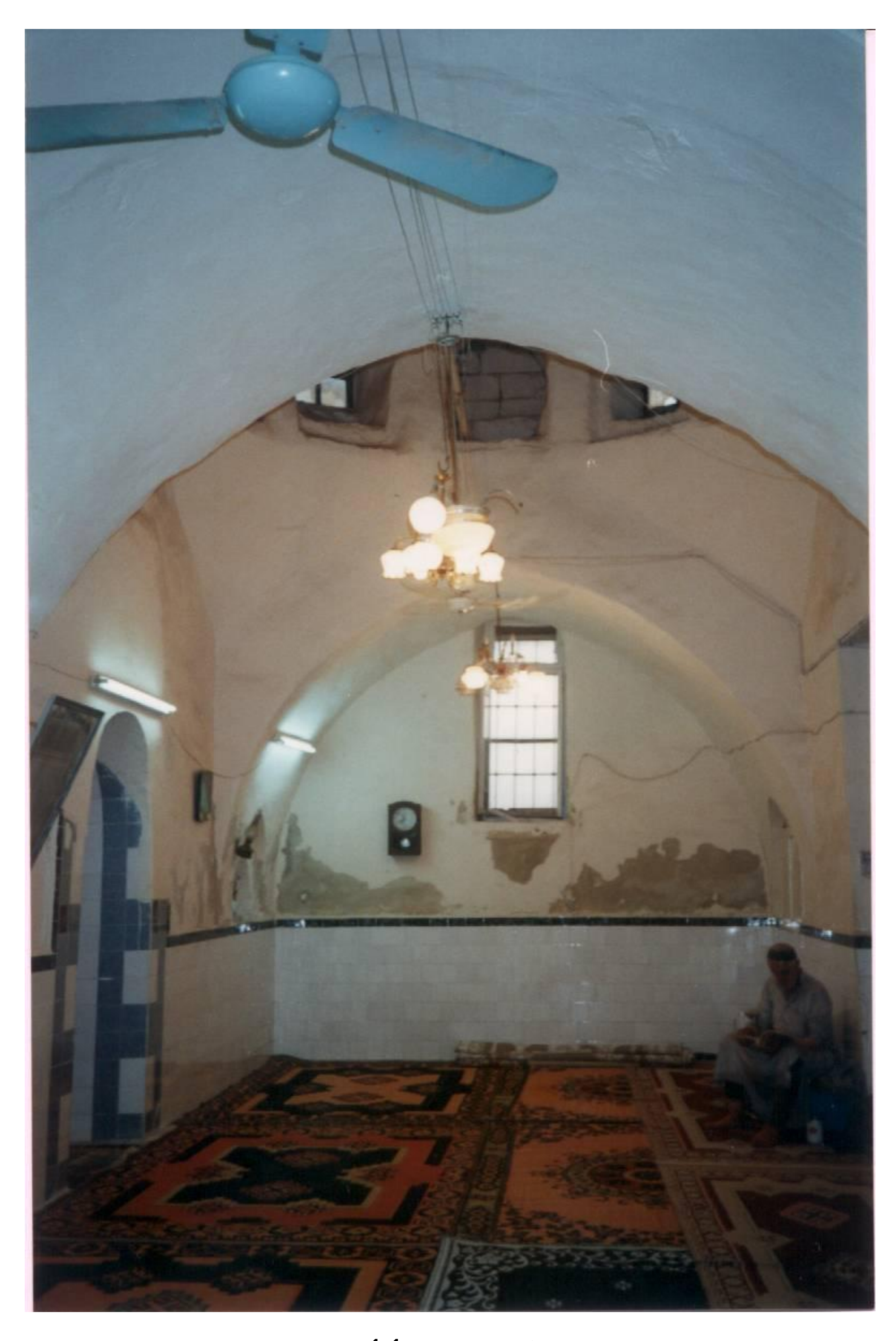


اللوحة رقم (10)

تظهر قبة الجامع العزي بحماة من الداخل

اللوحة رقم (11)

تظهر بيت الصلاة للجامع العزي



اللوحة رقم (11)

تظهر بيت الصلاة للجامع العزي



اللوحة رقم (12)

تظهر الحجرين الموجودين في الجامع العزي والمنقوش على إحداهما اسم منشأ المدرسة العزية وسنة البناء ، وعلى الأخرى اسم منشأ الجامع وسنة البناء



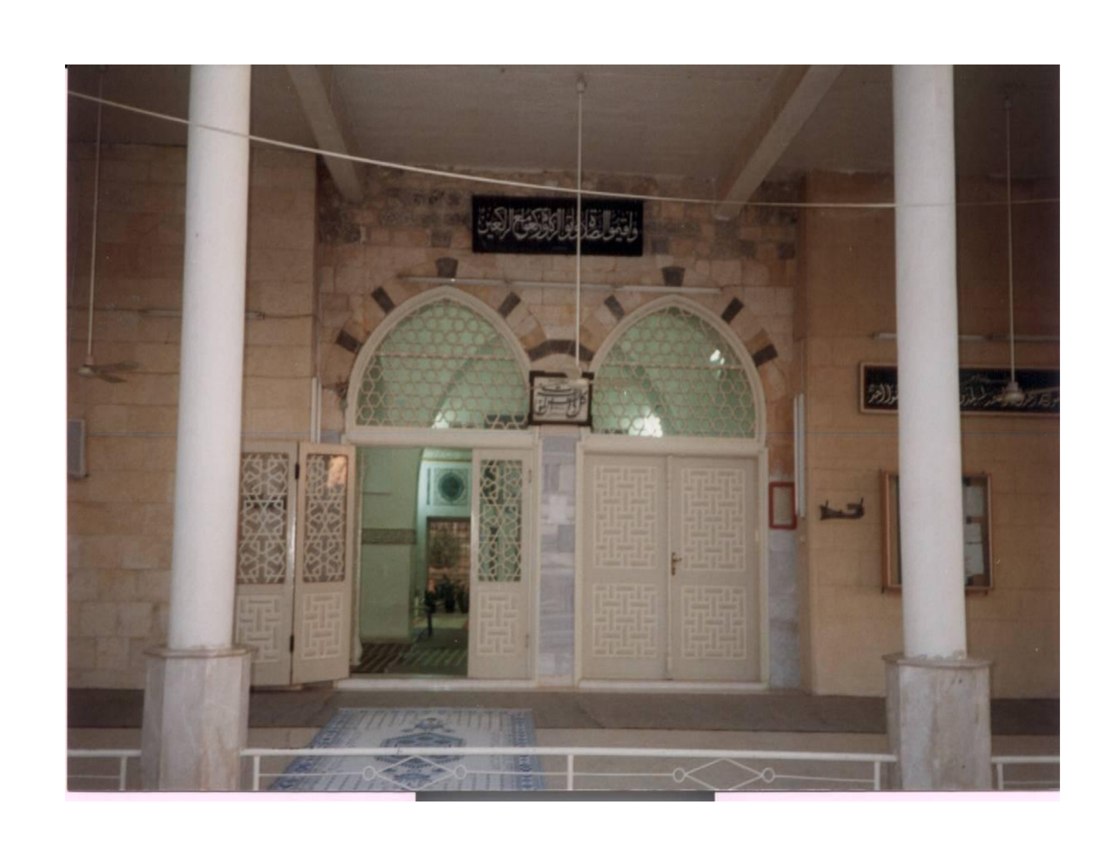
اللوحة رقم (13)

تظهر إحدى العامودين الرخاميين لجامع أبي الفداء بحماة والذين نحتا على شكل حيتين



اللوحة رقم (14)

تظهر الجدار الجنوبي لجامع أبي الفداء بحماة والقبة التي علة الجامع

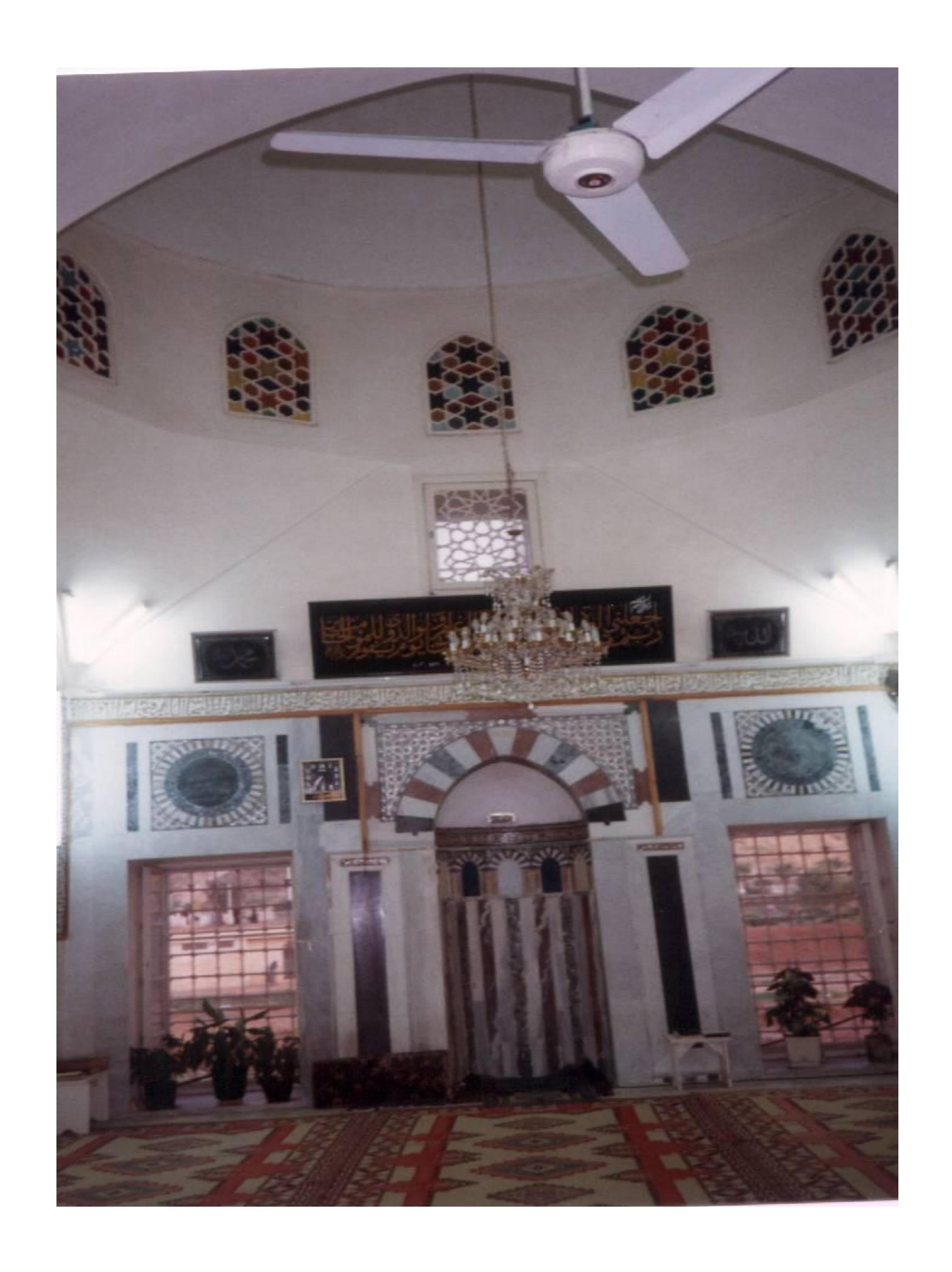


اللوحة رقم (15)

تظهر مدخلي بيت الصلاة لجامع أبي الفداء بحماة

اللوحة رقم (16)

تظهر الفنون الزخرفية التي زينت محراب وقبة جامع أبي الفداء بحماة



اللوحة رقم (16)

تظهر الفنون الزخرفية التي زينت محراب وقبة جامع أبي الفداء بحماة



اللوحة رقم (17)

تظهر المحراب الذي توسط الجدار الجنوبي للمدرسة المؤيدية بحماة والعامودين الذين نقش على تاجيهما اسم باني المدرسة


ثبت المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :-

- **ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أبو العباس أحمد** (**ت 668هـ/1269م**) :

– عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1965م.

- **ابن الأثير ، علي بن محمد بن أبي الكرم** (**ت 630هـ/ 1233م**) :

– الكامل في التاريخ ، القاهرة ، 1953م . وطبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 4 ، 2003م.

– التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ، تحقيق عبد القادر طليمات ، دار الكتب الحديثة، القاهرة ، ومكتبة المثنى ببغداد.

- **ابن الأثير ، مجد الدين بن محمد الجزري** (**ت 606 هـ/ 1210م**) :

– جامع الأصول في أحاديث الرسول ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط ، مكتبة الحلواني ، ط1 ، 1389هـ/1969م.

– النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر الز واوي ، ومحمود الطناحي ، المكتبة العلمية، بيروت ، 1399هـ/1979م.

- **ابن بسام ، محمد بن أحمد المحتسب** :

– نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق : حسام الدين السامرائي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، 1968م.

- **ابن الجزري ، شمس الدين بن محمد** (**ت 883هـ/ 1429م**) :

– غاية النهاية في طبقات القراء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط3 ، 1402هـ /1982م.

- **ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي** (**ت 597هـ/1200م**) :

– تلبيس إبليس ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2008م ، تحقيق : السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1405 هـ/1985م.

– زاد المسير في علم التفسير ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط3 ، 1404هـ.

– الطب الروحاني ، مطبعة الترقي ، دمشق ، 1348هـ.

- **ابن الحاج ، محمد بن محمد الفاسي (ت 737هـ/1336م)** :

– المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها ، دار الكتب العربية ، بيروت ، ط1 ، 1415هـ/ 1995م.

- **ابن الصلاح ، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت 643هـ/ 1245م)** :

– علوم الحديث ، تحقيق : نور الدين عنتر ، دار الفكر ، دمشق.

- **ابن العديم ، كمال الدين عمر بن العديم (ت 660هـ/1262م)** :

– بغية الطلب في تاريخ حلب ، عني بنشره : علي سويم ، مطبعة الجمعية التاريخية التركية ، أنقره ، 1396هـ/1976م.

- **ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي (ت 1089هـ/1678م)** :

– شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

- **ابن الغزي ، محمد بن عبد الرحمن (ت 1167هـ/ 1753م)** :

– ديوان الإسلام ، تحقيق : سيد كسروي حسن ، بيروت ، 1990م.

- **ابن الفرات ، محمد بن عبد الرحيم (ت 807هـ/1404م)** :

– تاريخ الدول والملوك (تاريخ ابن الفرات) ، تحقيق : حسن الشماع ، البصرة ، 1967م.

- **ابن النفيس ، علاء الدين علي بن أبي الحرم (ت 687هـ/1288م)** :

– المختصر في علوم أصول الحديث النبوي ، تحقيق : يوسف زيدان ، الدار المصرية اللبنانية ، ط1 ، 1412هـ.

- **ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله اللواتي (ت 779هـ/ 1377م)** :

– تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة) ، دار صادر ، بيروت ، 1985م.

- **ابن تغري بردي ، جمال الدين يوسف (ت 874هـ/ 1469م)** :

– المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، تحقيق : محمد أمين ، ونبيل عبد العزيز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1985م.

– النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الهيئة العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، 1391هـ/1971م.

● **ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم (ت 728هـ/1327م) :**

– مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن قاسم العاصمي الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين ، الرياض.

– منهاج السنة النبوية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، إدارة الثقافة والنشر ، ط1 ، 1406هـ/1986م.

● **ابن جبير ، أبو الحسن بن أحمد (ت 614هـ/1217م) :**

– تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار " رحلة ابن جبير " ، دار التراث ، بيروت ، 1388هـ/1968م.

● **ابن جماعة ، إبراهيم بن سعد الله (ت 733هـ/1332م) :**

– تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

● **ابن حبيب ، الحسن بن عمر (ت 779هـ/1377م) :**

– تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، تحقيق : محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 1982م.

● **ابن حجر ، شهاب الدين أحمد بن علي (ت 852هـ/1443م) :**

– الإصابة في تمييز الصحابة ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار النهضة ، القاهرة . وطبعة دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1412هـ.

– الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق : محمد سيد جاد الحق ، دار الكتاب الحديث ، حيدر آباد ، ط2 ، 1385هـ/1966م.

– فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة ، بيروت.

– نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر .

● **ابن حجة الحموي ، تقي الدين أبو بكر بن علي (ت 837هـ/1450م) :**

– ثمرات الأوراق ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، 1407هـ/ 1987م.

- **ابن حنبل ، أحمد بن محمد (ت 241هـ/ 855م)** :

– المسند ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط2 ، 1420هـ/ 1999م.

- **ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/ 1405م)** :

– المقدمة ، تحقيق : درويش الجويدي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط2 ، 1416هـ.

- **ابن خلكان ، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ/ 1282م)** :

– وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان ، تحقيق : الدكتور إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ، ط4 ، 2005م.

- **ابن رجب الحنبلي ، عبد الرحمن بن أحمد (ت 795هـ/ 1392م)** :

– الذيل على طبقات الحنابلة ، دار المعرفة ، بيروت.

- **ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع الزهري** :

– الطبقات الكبرى ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1968م.

- **ابن شداد ، عز الدين محمد بن علي (ت 684هـ/ 1285م)** :

– الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تحقيق سامي الدهان ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، 1382هـ.

- **ابن طولون ، شمس الدين محمد بن طولون الدمشقي (ت 953هـ/ 1546م)** :

– القلائد الجوهرية في تاريخ الصوالحية ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ط8.

- **ابن عساكر ، على بن الحسن بن هبة الله (ت 563هـ/ 1167م)** :

– تاريخ دمشق ، دار الفكر ، بيروت ، ط1 ، 1419هـ/1998م.

- **ابن فضل الله العمري ، شهاب الدين أحمد (ت 749هـ/ 1348م)** :

– مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق : أيمن فؤاد سيد ، نشر المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة.

- **ابن قاضي شهبه ، تقي الدين الأسدي (ت 851هـ/ 1448م)** :

– طبقات النحويين واللغات ، تحقيق : محسن غياض ، مطبعة النعمان ، النجف.

- **ابن قدامة ، عبد الله بن أحمد المقدسي (ت620هـ/1223م) :**

– المغني ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، عبد الفتاح الحلو ، القاهرة ، ط1 ، 1406هـ.

- **ابن قنفذ ، أبو العباس أحمد بن الخطيب (ت809هـ/1406م) :**

– الوفيات ، تحقيق : عادل نويهض ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ط3 ، 1400هـ/ 1980م.

- **ابن كثير ، إسماعيل بن عمر القرشي (ت774هـ/1372م) :**

– البداية والنهاية ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1423هـ . وطبعة مكتبة المعارف، بيروت.

- **ابن ماجه ، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني :**

– السنن ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر بيروت.

- **ابن مالك ، جمال الدين بن محمد الطائي (ت672هـ/ 1273م) :**

– شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ، تحقيق : عدنان الدوري ، بغداد ، 1397هـ/ 1977م.

- **ابن مسكوية : أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت 421هـ/1030م) :**

– تهذيب الأخلاق ، تحقيق : قسطنطين رزق ، نشر الجامعة الأمريكية ، بيروت ، 1966م.

- **ابن منظور ، أبو الفضائل جمال الدين محمد (ت711هـ/1311م) :**

– لسان العرب ، دار صادر ، بيروت.

- **ابن منظور ، محمد بن مكرم :**

– مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، تحقيق : رياض عبد الحميد مراد وروحية النحاس ومحمد مطيع الحافظ ، دار الفكر.

- **ابن هشام ، عبد الملك بن هشام المعافري (ت213هـ/828م) :**

– السيرة النبوية ، دار الجيل ، بيروت ، 1411هـ.

- **ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت697هـ/1297م) :**

– مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق : الدكتور حسنين محمد ربيع ، دار الكتب ، القاهرة ، 1977م.

- **أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل (ت 732هـ/1331م) :**

– المختصر في تاريخ البشر ، المطبعة الحسنية ، القاهرة ، ط1.

- **أبو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي (ت 665هـ/1266م) :**

– الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق : محمد حلمي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، 1962م . وطبعة تحقيق : إبراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 1418هـ.

– ذيل الروضتين ، نشره عزة العطار ، 1367هـ/1947م.

- **أبو نعيم ، أحمد بن عبد الله الأصبهاني :**

– حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط4 ، 1405هـ.

- **الأدفوي ، كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوي (748هـ/1347م) :**

– الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد ، تحقيق : سعد محمد حسن ، القاهرة.

- **الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد :**

– تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

- **الأسنوي ، جمال الدين عبد الرحيم (ت 772هـ/1370م) :**

– طبقات الشافعية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1407هـ/1987م.

- **الأصفهاني : جمال الدين محمد بن محمد (ت 597هـ/1200م) :**

– البرق الشامي ، تحقيق : فالح صالح حسين ، مؤسسة عبد الحميد شومان ، الطبعة الأولى ، 1987م.

– خريدة القصر وجريدة العصر ، تحقيق : آذرتاش آذرنوش ، الدار التونسية للنشر، تونس ، ط2 ، 1986م.

- **البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (256هـ/869م) :**

– الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط1 ، 1422هـ.

- **البغدادي ، إسماعيل باشا (ت1339هـ/1920م)** :

– هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، طبع بعناية وكالة المعارف ، استانبول ، سرة1951م . أعادت طبعه بالأوفست دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

- **البلاذري ، ابي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر(ت 279هـ/ 893م)** :

– فتوح البلدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1420هـ.

- **الترمذي ، محمد بن عيسى أبو عيسى (ت 297هـ/909م)** :

– الجامع الصحيح سنن الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.

- **الجرجاني ، علي بن محمد بن علي** :

– التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط5 ، 1405هـ.

- **الجوزي ، سبط ابن الجوزي** :

– مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، مكتبة المثنى ، بغداد ، 1952م.

- **حاجي خليفة ، المولى مصطفى بن عبد القسطنطيني** :

– كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، بيروت ، 1402هـ/1982م.

- **الخطيب البغدادي : أحمد بن علي بن ثابت (ت 463هـ/1070م)** :

– تاريخ بغداد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان.

– الكفاية في علم الرواية ، الطبعة الأولى ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة.

- **الخوارزمي ، محمد بن أحمد بن يوسف (ت 387هـ/ 997م)** :

– مفتاح العلوم ، تقديم وإعداد : عبد اللطيف محمد العبد ، دار النهضة العربية ، القاهرة.

- **الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/ 1347م)** :

– الأمصار ذوات الآثار ، تحقيق : قاسم على سعد ، دار البشائر الإسلامية ، ط1.

– تاريخ الإسلام ، حيدر آباد ، دار المعارف النظامية ، ط1 ، 1337هـ.

– تذكرة الحفاظ ، دار إحياء التراث العربي ، 1347هـ.

- سير أعلام النبلاء ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ط1 ، 1424هـ.

- وطبعة تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، 1402هـ.

- العبر في خبر من غبر ، القاهرة.

- معرفة القراء ، الكبار على الطبقات والأعصار ، تحقيق : بشار معروف ورفاقه ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 1404هـ/1984م.

- ميزان الاعتدال ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان.

- **الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر** :

- مختار الصحاح ، تحقيق : محمود خاطر ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1989م ، وطبعة عام 1415هـ/1995م.

- **الزرنوجي** :

- تعليم المتعلم ، تحقيق : مصطفى عاشور ، مكتبة القرآن ، القاهرة.

- **السبكي ، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت 771هـ/ 1369م)** :

- معيد النعم ومبيد النقم ، دار الحداثة ، بيروت ، 1983م.

- طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : محمود محمد الطناحي وَ عبد الفتاح محمد الحلو ، دار هجر للطباعة ، ط2 ، 1413هـ.

- فتاوى السبكي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان.

- **السخاوي ، علم الدين علي بن محمد (ت 643هـ/ 1245م)** :

- جمال القراء وكمال الإقراء ، تحقيق : علي حسين البوابن مكتبة التراث ، مكة ، ط 1 ، 1408هـ/1987م.

- **السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ/ 1496م)** :

- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، تحقيق فرانز روزنتال ، ترجمة صالح العلي ، بغداد.

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة.

- فتح المغيث شرح ألفية الحديث ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1 ، 1403هـ.

- **السهروردي ، أبو حفص عمر بن محمد (ت 632هـ/ 1234م) :**

– عوارف المعارف ، مكتبة القاهرة ، 1393هـ/1973م.

- **السمعاني ، عبد الكريم بن محمد (ت 911هـ/ 1505م) :**

– آداب الإملاء والاستملاء ، تحقيق : أحمد محمد عبد الرحمن ، المطبعة المحمودية ، ط1 ، 1414هـ.

- **السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ/ 1505م) :**

– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل ، المكتبة العصرية ، بيروت.

– تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار الفكر ، بيروت ، 1409هـ.

- **الشاطبي ، إبراهيم بن موسى بن محمد (ت 790هـ/ 1388م) :**

– الموافقات في أصول الشريعة ، تحقيق : عبد الله دراز ، دار المعرفة ، بيروت.

- **الشيزري ، عبدالرحمن بن نصر بن عبدالله العدوى (ت 780هـ) :**

– نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، دار الثقافة ، تحقيق : السيد الباز العريني ، بيروت ، ط 1 ، 1401هـ.

- **الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ/ 1362م) :**

– أعيان العصر وأعوان النصر ، تحقيق : علي أبو زيد وآخرون ، دار الفكر ، دمشق ، ط1، 1419هـ/1998م.

– الوافي بالوفيات ، تحقيق مجموعة من الباحثين ، دار النشر فرانز شتايز بفسبادن ، ط2 ، 1394هـ .

- **الصنعاني ، الأمير محمد بن إسماعيل :**

– توضيح الأفكار بشرح تنقيح الأنظار ، إحياء التراث العربي ، ط1 ، 1366هـ.

- **طاش كبرى زاده ، أحمد بن مصطفى :**

– مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، تحقيق : خليل إبراهم جفال ، دار الكتاب العلمية ، ط1 ، بيروت.

- **العيني ، بدر الدين محمد بن أحمد (ت 832هـ/1429م) :**

– عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق : محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1409هـ/1989م.

- **الفيروزآبادي ، محمد بن يعقوب (ت 817هـ/1414م) :**

– البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، تحقيق : محمد المصري ، جمعية إحياء التراث الإسلامي ، الكويت ، ط1 ، 1407هـ.

– القاموس المحيط ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط2 ، 1323هـ/ 2003م.

- **القابسي ، أبوالحسن علي بن خلف (ت 403هـ/1012م) :**

– الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمن ، تحقيق : أحمد فؤاد الأهواني ، دارالمعارف ، القاهرة ، 1968م.

- **القلقشندي ، أحمد بن علي (ت 821هـ/1418م) :**

– صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، تحقيق : د. يوسف علي طويل ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1987م.

- **القنوجي ، أبو الطيب السيد صديق حسن :**

– أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم ، تحقيق : عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية – بيروت ، 1978م.

- **الكتبي ، محمد بن شاكر بن أحمد (ت 764هـ/1362م) :**

– فوات الوفيات ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1951م.

- **مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجج القشيري (ت 216هـ/831م) :**

– صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، الفيصلية ، مكة.

- **المقري ، شهاب الدين أحمد التلمساني (ت 1040 هـ/1630م) :**

– نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1968م.

- **المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ/1441م) :**

– السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1418هـ .

– المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار التحرير للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1270هـ/1068م . وطبعة مكتبة دار الثقافة الدينية.

- **النسائي ، أحمد بن شعيب (ت 303هـ/915م) :**

– سنن النسائي ، بيروت ، ط2 ، 1409هـ/1988م.

- **النعيمي ، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت 927هـ/1520م) :**

– الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، القاهرة ، ط1 ، 1410هـ/1990م.

- **النهرواني ، قطب الدين محمد المكي (ت 979هـ/1571م) :**

– الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا ، المكتبة التجارية ، مكة ، ط1 ، 1416هـ/1996م.

- **النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف الدين (ت 676هـ) :**

– التبيان في آداب حملة القرآن ، الوكالة العامة للتوزيع ، دمشق ، ط1 ، 1403هـ/1983م.

- **اليافعي ، عبد الله بن أسعد بن علي (ت 768هـ/1366م) :**

– مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1417هـ/1997م.

- **ياقوت ، أبو عبد الله الحموي (ت 626هـ/1228م) :**

– معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت.

- **اليونيني ، موسى بن أحمد بن قطب الدين (ت 726هـ/1326م) :**

– ذيل مرآة الزمان ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، ط1 ، 1374هـ/1954م.

ثانياً : المراجع :–

- **الأبراشي ، محمد :**

– التربية الإسلامية وفلاسفتها ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ط5 ، 1986م.

- **أبو الفتوح ، محمد :**

– منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة.

- **أحمد ، أحمد رمضان :**

– المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ، 1397هـ/ 1977م.

- **أحمد ، أحمد عبد الرزاق :**

– الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط 1 ، 1411هـ/1991م.

- **الإسكندري ، أحمد مصطفى عناني :**

– الوسيط في الأدب العربي وتاريخه ، دار المعارف ، القاهرة.

- **الألباني ، محمد ناصر الدين :**

– السلسلة الصحيحة ، مكتبة المعارف ، الرياض.

- **الأهواني ، أحمد فؤاد :**

– التربية في الإسلام دراسات في التربية ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، 1975م.

- **باشا ، حسن :**

– الألقاب الإسلامية في التاريخ والآثار ، القاهرة ، 1957م.

- **بدران ، الشيخ عبد القادر أحمد :**

– منادمة الأطلال ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 1405هـ/1985م.

- **بدوي ، أحمد :**

– الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، دارنهضة مصر ، القاهرة ، 1972م.

- **بدوي ، عبد الرحمن :**

– موسوعة الفلسفة ، مكتبة النهضة ، القاهرة.

- **بدوي ، عبد المجيد أبو الفتوح :**

– التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي ، ط1 ، 1403هـ/ 1983هـ.

- **جودة ، صادق أحمد داود :**

– المدارس العصرونية في بلاد الشام ، مؤسسة الرسالة ، 1986م.

- **حمادة ، محمد ماهر :**

– المكتبات في الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، 1398هـ/1978م.

- **حيدر ، كامل :**

– العمارة العربية الإسلامية ، نشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1995م.

- **الخطيب ، أحمد سعيد :**

– المعنى القرآني فى ضوء اختلاف القراءات ، جامعة الأزهر ، 1425هـ.

- **الخطيب ، محمد محمد عبد القادر :**

– دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ، مطبعة الحسين الإسلامية ، ط1 ، 1411هـ/ 1991م.

- **خليفة ، شعبان عبد العزيز :**

– الكتب والمكتبات في العصور الواسطى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ، ط1 ، 1997م.

- **الدفاع ، علي عبد الله :**

– نوابغ علماء العرب والمسلمين في الرياضيات ، دار جون وايلي وأبناؤه ، 1978م.

- **الديوه جي ، سعيد :**

– التربية والتعليم في الإسلام ، منشورات مكتبة بسام ، العراق.

- **رانسيمان ، ستيفن :**

– تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة : الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت.

- **الزركلي ، خير الدين بن محمود :**

– الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط5 ، 1980م.

- **سبانو ، أحمد غسان :**

– مملكة حماة الأيوبية ، مطبعة خالد بن الوليد ، دار قتيبة ، دمشق ، 2000هـ/ 1984م.

- **السلفي ، محمد لقمان :**

– اهتمام المحدثين بنقد الحديث سنداً ومتناً ، 1408هـ/1988م.

- **السيد ، أيمن فؤاد :**

– المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي ، من أبحاث تاريخ المدارس في مصر.

- **شلبي ، أحمد :**

– تاريخ التربية الإسلامية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط6 ، 1978م.

- **شميساني ، حسن :**

– مدارس دمشق في العصر الأيوبي ، بيروت ، 1403هـ/1983م.

- **شواط ، الحسين بن محمد :**

– مدرسة الحديث في القيروان ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، ط1 ، 1411هـ.

- **الصابوني ، الشيخ أحمد :**

– تاريخ حماة ، الطبعة الثانية ، حماة.

- **الصالح ، صبحي :**

– علوم الحديث ومصطلحه ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط15 ، 1984م.

- **صبرة ، عفاف :**

– مدارس في العصر الأيوبي ، ضمن أبحاث ندوة المدارس في مصر الإسلامية ، نشره عبد العظيم رمضان.

- **الصقار ، فؤاد :**

– دراسات في الجغرافيا البشرية ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط3 ، 1975م.

- **ضيف ، شوقي** :

– عصر الدول والإمارات بالشام ، دار المعارف.

- **الطحان ، محمود** :

– أصول التخريج ودراسة الأسانيد ، مكتبة المعارف ، الرياض.

- **طوقان ، قدري حافظ** :

– تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ، دار الشروق ، القاهرة.

- **عبد الباقي ، محمد فؤاد** :

– المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، القاهرة.

- **عبد الحميد ، أمال رمضان** :

– الحياة العلمية في الإسكندرية في العهد المملوكي ، مطبعة العمرانية ، القاهرة ، 1427هـ.

- **عبد العال ، حسن** :

– التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، القاهرة.

- **عبد الله : عبد العزيز بن عبد الله** :

– العلوم الكونية التجريبية في المغرب،كيف تطورت خلال ألف عام ، مكتبة منار العرفان، الرباط.

- **عبد المهدي ، عبد الجليل** :

– المدارس في بيت المقدس في العصرين الأ يوبي والمملوكي ودورها في الحركة الفكرية ، مكتبة الأقصى ، عمان ، الأردن ، 1981م.

- **عبد الوهاب ، محمد** :

– مختصر سيرة الرسول ﷺ ، الفيصلية ، مكة.

- **عبود ، عبد الغني** :

– التعليم مدى الحياة في الإسلام ، دار الفكر العربي ، ط1 ، 1977م.

- **عسيري ، مريزن سعيد** :

– الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، مكتبة الطالب الجامعي، مكة،ط1 ، 1407هـ.

– تعليم الطب في المشرق الإسلامي " نظمه ومناهجه حتى نهاية القرن السابع الهجري " . مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، ط 1، 1412هـ.

- **عطا ، زبيدة :**

– مصر والشام في عهد الأيوبيين والمماليك ، القاهرة : دار النهضة العربية ، 1972م.

- **علي ، علي السيد :**

– القدس في العصر المملوكي ، القاهرة : دار الفكر ، ط1 ، 1986م.

- **عواد ، كوركيس :**

– خزائن الكتب القديمة في العراق " منذ أقدم العصور حتى سنة 1000 للهجرة " ، دار الرائد العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 406هـ/1986م.

- **عميرة ، عبد الرحمن عميرة :**

– التصوف الإسلامي منهجاً وسلوكاً ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة.

- **عيسى ، أحمد :**

– تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، بيروت ، 1410هـ/ 1981م.

– معجم الأطباء (ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء) ، بيروت ، 1420هـ/1982م.

- **الغامدي ، علي محمد :**

– عودة بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة ، ط 1 ، 1408هـ/ 1988م.

- **غني ، قاسم :**

– تاريخ التصوف في الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ، جامعة الدول العربية ، الإدارة الثقافية.

- **فروخ ، عمر :**

– تاريخ العلوم عند العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط3 ، 1980م.

- **فكري ، أحمد :**

– مساجد القاهرة ومدارسها ، دار المعارف ، القاهرة ، 1969م.

- **الكتاني ، محمد بن جعفر** :

– الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ، دار الفكر ، بيروت ، ط2 ، 1980م.

- **كحالة ، عمر رضا** :

– معجم المؤلفين ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1414هـ/1993م.

- **كرد ، محمد علي** :

– خطط الشام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1970م.

- **محمد ، جلال موسى** :

– منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982م.

- **مصطفى ، متولي** :

– مدخل إلى تاريخ التربية الإسلامية.

- **مصطفى ، إبراهيم وَزملاءه** :

– المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، 1989م.

- **معروف ، ناجي** :

– المراصد الفلكية ببغداد في العصر العباسي ، دار الجمهورية ، بغداد ، 1387هـ/1967م.

- **مقدسي ، جورج** :

– نشأة الكليات معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب ، مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.

– الموسوعة العربية العالمية عن : دائرة المعارف العالمية.

- **النباهين ، علي السالم** :

– نظام التربية الإسلامية في عصر دولة المماليك في مصر، دار الفكر العربي ، ط1 ، 1981م.

- **النبراوي ، رأفت محمد** :

– أسعار السلع الغذائية والجوامك في عصر دولة المماليك الجراكسة ، الرياض ، منشورات كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، ط1 ، 1411هـ/1990م.

- **النشار ، السيد السيد :**

– تاريخ المكتبات في مصر في العصر المملوكي ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط1 ، 1413هـ/ 1993م.

- **الهرفي ، محمد بن علي :**

– شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام ، دار الإصلاح للطبع والنشر ، القاهرة ، 1979م.

- **الوشلي ، عبد الله قاسم :**

– المسجد ودوره التعليمي عبر العصور من خلال الحلق العلمية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 1408هـ/1988م.

ثالثاً : الرسائل الجامعية :–

- **الحازمي ، ناصر محمد علي :**

– الحياة العلمية في دمشق في العصر الأيوبي " 569–659هـ/1173–1260م " ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، مكة ، 1421هـ.

- **عطا ، إبراهيم :**

– تطور منهج تعليم القراءة في المرحلة الابتدائية منذ نشأتها حتى اليوم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، 1980م.

- **القثامي ، متعب حسين :**

– مملكة حماة في العصر الأيوبي " 574هـ/1178م–698هـ/1299م " ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، قسم الدراسات العليا التاريخية ، مكة ، 1413هـ/1993م.

رابعاً : الدوريات والمجلات :-

- **البيطار ، أمينة :**

– التعليم في الشام في العصر الأيوبي ، مقالة نشرت في مجلة تاريخ العرب والعالم ، العدد 70، بيروت ، أغسطس ، 1984م .

- **الحبش ، محمد علي :**

– حماة في رحاب التاريخ والجمال ، المجلة العربية ، سنة 25 ، عدد 279 ، ربيع الآخر ، 1421هـ.

- **شحادة ، كامل :**

– البيمارستان النوري ، مجلة العمران ، عدد 29-30.

- **عبد المهدي ، عبد الجليل :**

– المؤسسات التعليمية والثقافية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي ، مجلة مآب المجمع لبحوث الحضارة الإسلامية.

- **عدرة ، هشام :**

– جوامع ومساجد مدينة حماة السورية القديمة ، مجلة الحج والعمرة ، السنة 61 ، العدد 1 ، محرم ، 1427هـ.

- **العظم ، إحسان :**

– حماة في عصر أبي الفداء ، مجلة المعرفة ، العدد 154 ، 1974م.

- **عياش ، ثناء نجاتي :**

– أسباب انتشار المدارس في العصر الأيوبي ، مجلة الفيصل ، العدد 317 ، ذو القعدة ، 1423هـ/ يناير ، 2003م.

- **قيطار ، عدنان :**

– الحركة الفكرية في مدينة حماة قديماً وحديثاً ، مجلة العمران ، 29-30 ، 1969م.

- **كامل ، عباس :**

– المدارس الإسلامية ودور العلم وعمارتها الأثرية ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 3 ، السنة 3 ، 1397هـ.

- **الكيلاني ، شوقي :**

– تطور التعليم في حماة مراحله ، مجلة العمران ، عدد 29-30 ، 1969م.

- **مجلة الفداء** :

– لمحة تاريخية عن أربعة جوامع أثرية في حماة ، مؤسسة الوحدة للصحافة والنشر ، دمشق ، 2009م.

- **مجلة المعرفة (السورية)** :

– العدد 154 ، 1974م ، عدد خاص عن أبي الفداء.

- **المنجد** :

– إجازات السماع في المخطوطات القديمة ، مجلة معهد المخطوطات العربية سنة ، 1374هـ/1955م.

- **هويدي ، عبد المنعم** :

– مظاهر النهضة العلمية في مصر في القرنين السادس والسابع ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، الملك عبد العزيز ، السنة 2 ، العدد2 ، 1396هـ/ 1397هـ.

فهرس الموضوعات


بحمد الله تم